

(١٠٠٥)

العقم والعقيم

في التفسير الموضوعي

من مصنفات التفسير

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٥هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

https://t.me/dralhoshan تليجرام

WWW.NSOOOS.COM

"وقيل: إنه سؤال حال تكون له معها الولد، أيرد إلى الشباب وامرأته ولود، أم على حالهما في العقم والكبر.

فقال: (كذلك) على حالكما.

(رب اجعل لي ءاية)

أي: علامة لوقت الحمل، وذلك ليعجل السرور به، فكانت العلامة أن منع كلام الناس ولم يمنع من ذكر الله.

والرمز: الإيماء الخفي.

وتكرير الاصطفاء؛ لأن الأول: الاصطفاء بالعبادة والولاية. والثاني: بولادة عيسى عن غير ازدواج و [أمشاج].." (١)

"(فتولى بركنه)

أعرض بجموعه وجنوده.

وقيل: بجانبه، ومنه الركون بمعنى الميل، لأنه يكون إلى جانب. (الريح العقيم)

هي الدبور: لأنها لا تلقح بل تقشع السحاب، وهذا أصح مما روى ابن أبي ذئب: "أنها الجنوب"، ومما روى ابن جريج عن مجاهد: "إنها." (٢)

"قوله تعالى: (وليعلم الذين أوتوا العلم) أي من المؤمنين. وقيل: أهل الكتاب. (أنه) أي أن الذي أحكم من آيات القرآن هو (الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم) أي تخشع وتسكن. وقيل: تخلص. (وإن الله لهاد الذين آمنوا) قرأ أبو حيوة:" وإن الله لهاد الذين آمنوا" بالتنوين. (إلى صراط مستقيم) أي يثبتهم على الهداية.

[سورة الحج (٢٢): آية ٥٥]

ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم (٥٥)

قوله تعالى: (ولا يزال الذين كفروا في مرية منه) يعني في شك من القرآن، قاله ابن جريج. وغيره: من الدين،

---

(١) باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن، النيسابوري، بيان الحق ٢٩٠/١

(٢) باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن، النيسابوري، بيان الحق ١٣٧١/٣

وهو الصراط المستقيم. وقيل: مما ألقى الشيطان على لسان محمد صلى الله عليه وسلم، ويقولون: ما باله ذكر الأصنام بخير ثم ارتد عنها. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي:" في مرية" بضم الميم. والكسر أعرف، ذكره النحاس. (حتى تأتيهم الساعة) أي القيامة. (بغتة) أي فجأة. (أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) قال الضحاك: عذاب يوم لا ليلة له وهو يوم القيامة. النحاس: سمي يوم القيامة عقيما لأنه ليس يعقب بعده يوما مثله، وهو معنى قول الضحاك. والعقيم في اللغة عبارة عمن لا يكون له ولد، ولما كان الولد يكون بين الأبوين وكانت الأيام تتوالى قبل وبعد، جعل الاتباع فيها بالبعدية كهيئة الولادة، ولما لم يكن بعد ذلك اليوم يوم وصف بالعقيم. وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة: المراد عذاب يوم بدر، ومعنى عقيم لا مثل له في عظمه، لأن الملائكة قاتلت فيه. ابن جريج: لأنهم لم ينظروا فيه إلى الليل، بل قتلوا قبل المساء فصار يوما لا ليلة له. وكذلك يكون معنى قول الضحاك أنه يوم القيامة، لأنه لا ليلة له. وقيل: لأنه لم يكن فيه رأفة ولا رحمة، وكان عقيما من كل خير، ومنه قوله تعالى:" إذ أرسلنا عليهم **الريح العقيم** «١» " [الذاريات: ٤١] أي التي لا خير فيها ولا تأتي بمطر ولا رحمة.

---

(١). راجع ج ١٧ ص ٥٠.." (١)

"قوله تعالى: (وعادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا) كله معطوف على" قوم نوح" إذا كان" قوم نوح" منصوبا على العطف، أو بمعنى اذكر. ويجوز أن يكون كله منصوبا على أنه معطوف على المضمر في" فدمرناهم" أو على المضمر في" جعلناهم" وهو اختيار النحاس، لأنه أقرب إليه. ويجوز أن يكون منصوبا بإضمار فعل، أي اذكر عادا الذين كذبوا هودا فأهلكهم الله بالريح العقيم، وثمودا كذبوا صالحا فأهلكوا بالرجفة. و" أصحاب الرس" والرس في كلام العرب البئر التي تكون غير مطوية، والجمع رساس. قال «١»:

تنابلة يحفرون الرساسا ... يعني آبار المعادن

". قال ابن عباس: سألت كعبا عن أصحاب الرس قال: صاحب" يس" الذي قال:" يا قوم اتبعوا المرسلين" «٢» قتله قومه ورسوه في بئر لهم يقال لها الرس طرحوه فيها، وكذا قال مقاتل. السدي: هم أصحاب قصة" يس" أهل أنطاكية، والرس بئر بأنطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار مؤمن آل" يس" فنسبوا إليها. وقال علي رضي الله عنه: هم قوم كانوا يعبدون شجرة صنوبر فدعا عليهم نبيهم، وكان من ولد يهوذا، فيبست الشجرة فقتلوه

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٢/٨٧

ورسوه في بئر، فأظلتهم سحابة سوداء فأحرقتهم. وقال ابن عباس: هم قوم بأذربيجان قتلوا أنبياء فجفت أشجارهم وزروعهم فماتوا جوعا وعطشا. وقال وهب بن منبه: كانوا أهل بئر يقعدون عليها وأصحاب مواشي، وكانوا يعبدون الأصنام، فأرسل الله إليهم شعيبا فكذبوه وآذوه، وتمادوا على كفرهم وطغيانهم، فبينما هم حول البئر في منازلهم انهارت بهم وبديارهم، فخسف الله بهم فهلكوا جميعا. وقال قتادة: أصحاب الرس وأصحاب الأيكة أمتان أرسل الله إليهما شعيبا فكذبوه فعذبهما الله بعذابين. قال قتادة: والرس قرية بفلج اليمامة. وقال عكرمة: هم قوم رسوا نبيهم في بئر حيا. دليله ما روى محمد بن كعب القرظي عمن حدثه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" أول الناس يدخل الجنة يوم القيامة عبد أسود وذلك أن الله تعالى بعث نبيا إلى قومه فلم يؤمن به إلا ذلك الأسود فحفر أهل القرية بئرا وألقوا فيه نبيهم حيا وأطبقوا عليه حجرا ضخما

---

(١). هو النابغة الجعدي. والتنابلة: رجال قصار.

(٢). راجع ج ١٥ ص ١٧ فما بعد.." (١)

"" فأخذتهم الرجفة" وأخذت عادا وثمودا. وزعم الزجاج: أن التقدير وأهلكنا عادا وثمودا. وقيل: المعنى واذكر عادا إذ أرسلنا إليهم هودا فكذبوه فأهلكناهم، وثمودا أيضا أرسلنا إليهم صالحا فكذبوه فأهلكناهم بالصيحة كما أهلكنا عادا بالريح العقيم. (وقد تبين لكم) يا معشر الكفار (من مساكنهم) بالحجر والأحقاف آيات في إهلاكهم فحذف فاعل التبين. (وزين لهم الشيطان أعمالهم) أي أعمالهم الخسيسة فحسبوها رفيعة. (فصدهم عن السبيل) أي عن طريق الحق. (وكانوا مستبصرين) فيه قولان: أحدهما وكانوا مستبصرين في الضلالة، قاله مجاهد. والثاني: كانوا مستبصرين قد عرفوا الحق من الباطل بظهور البراهين. وهذا القول أشبه، لأنه إنما يقال فلان مستبصر إذا عرف الشيء على الحقيقة. قال الفراء: كانوا عقلاء ذوي بصائر فلم تنفعهم بصائرهم. وقيل: أتوا ما أتوا وقد تبين لهم أن عاقبتهم العذاب.

[سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ٩٣ الى ٤٠]

وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين (٣٩) فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣٢/١٣

أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (٤٠)

قوله تعالى: (وقارون وفرعون وهامان) قال الكسائي: إن شئت كان محمولا على عاد، وكان فيه ما فيه، وإن شئت كان على" فصدهم عن السبيل" وصد قارون وفرعون وهامان. وقيل: أي وأهلكنا هؤلاء بعد أن جاءتهم الرسل (فاستكبروا في الأرض) عن الحق وعن عبادة الله. (وما كانوا سابقين أي فائتين. وقيل: سابقين في الكفر بل قد سبقهم للكفر قرون كثيرة فأهلكناهم. (فكلا أخذنا بذنبه قال الكسائي:" فكلا" منصوب ب" أخذنا" أي أخذنا كلا بذنبه. (فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) يعني قوم لوط. والحاصب ريح يأتي بالحصباء وهي الحصى الصغار. وتستعمل في كل عذاب." (١)

"قاله مجاهد وقتادة. كن آخر شوال من يوم الأربعاء إلى يوم الأربعاء وذلك" سبع ليال وثمانية أيام حسوما" [الحاقة: ٧] قال ابن عباس: ما عذب قوم إلا في يوم الأربعاء. وقيل:" نحسات" باردات، حكاه النقاش. وقيل: متتابعات، عن ابن عباس وعطية. الضحاك: شداد. وقيل: ذات غبار، حكاه ابن عيسى. ومنه قول الراجز:

قد اغتدى قبل طلوع الشمس ... - للصيد في يوم قليل النحس

قال الضحاك وغيره: أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين، ودرت الرياح عليهم في غير مطر، وخرج منهم قوم إلى مكة يستسقون بها للعباد، وكان الناس في ذلك الزمان إذا نزل بهم بلاء أو جهد طلبوا إلى الله تعالى الفرج منه، وكانت طلبتهم ذلك من الله تعالى عند بيته الحرام مكة مسلمهم وكافرهم، فيجتمع بمكة ناس كثير شتى، مختلفة أديانهم، وكلهم معظم لمكة، عارف حرمتها ومكانها من الله تعالى. وقال جابر بن عبد الله والتيمي: إذا أراد الله بقوم خيرا أرسل عليهم المطر وحبس عنهم كثرة الرياح، وإذا أراد الله بقوم شرا حبس عنهم المطر وسلط عليهم كثرة الرياح. وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو" نحسات" بإسكان الحاء على أنه جمع نحس الذي هو مصدر وصف به. الباقون:" نحسات" بكسر الحاء أي ذوات نحس. ومما يدل على أن النحس مصدر قوله:" في يوم نحس مستمر" [القمر: ١٩] ولو كان صفة لم يضف اليوم إليه، وبهذا كان يحتج أبو عمرو على قراءته، واختاره أبو حاتم. واختار أبو عبيد القراءة الثانية وقال: لا تصح حجة أبي عمرو، لأنه أضاف اليوم إلى النحس فأسكن، وإنما كان يكون حجة لو نون اليوم ونعت وأسكن، فقال:" في يوم نحس" [القمر: ١٩] وهذا لم يقرأ به أحد نعلمه. وقال المهدوي: ولم يسمع في" نحس" إلا الإسكان. قال الجوهري: وقرى في قوله" في يوم نحس" [القمر: ١٩] على الصفة، والإضافة أكثر وأجود.

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣٤٤/١٣

وقد نحس الشيء بالكسر فهو نحس أيضا، قال الشاعر:

أبلغ جذاما ولخما أن إخوتهم ... طيا وبهراء قوم نصرهم نحس

ومنه قيل: أيام نحسات." لنذيقهم" أي لكي نذيقهم" عذاب الخزي في الحياة الدنيا" أي العذاب بالريح العقيم." ولعذاب الآخرة أخزى " أي أعظم وأشد." وهم لا ينصرون."." (١)

"[سورة الشورى (٤٢): الآيات ٤٩ الى ٥٠]

لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور (٤٩) أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير (٥٠)

قوله تعالى:" لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء" فيه أربع مسائل: الأولى- قوله تعالى:" لله ملك السماوات والأرض" ابتداء وخبر." يخلق ما يشاء" من الخلق." يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور" قال أبو عبيدة وأبو مالك ومجاهد والحسن والضحاك: يهب لمن يشاء إناثا لا ذكور معهن، ويهب لمن يشاء ذكورا لا إناثا معهم، وأدخل الألف واللام على الذكور دون الإناث لأنهم أشرف فميزهم بسمة التعريف. وقال واثلة بن الأسقع: إن من يمن المرأة تبكيرها بالأنثى قبل الذكر، وذلك أن الله تعالى قال:" يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور" فبدأ بالإناث." أو يزوجهم ذكرانا وإناثا" قال مجاهد: هو أن تلد المرأة غلاما ثم تلد جارية، ثم تلد غلاما ثم تلد جارية. وقال محمد بن الحنفية: هو أن تلد توأما، غلاما وجارية، أو يزوجهم ذكرانا وإناثا. قال القتبي: التزويج ها هنا هو الجمع بين البنين والبنات، تقول العرب: زوجت إبلي إذا جمعت بين الكبار والصغار." ويجعل من يشاء عقيما" أي لا يولد له، يقال: رجل عقيم، وامرأة عقيم. وعقمت المرأة تعقم عقما، مثل حمد يحمد. وعقمت تعقم، مثل عظم يعظم. وأصله القطع، ومنه الملك العقيم، أي تقطع فيه الأرحام بالقتل والعقوق خوفا على الملك. وريح عقيم، أي لا تلقح سحابا ولا شجرا. ويوم القيامة يوم عقيم، لأنه لا يوم بعده. ويقال: نساء عقم وعقم، قال الشاعر «١»:

عقم النساء فما يلدن شبيهه ... إن النساء بمثله عقم

---

(١). في لسان العرب:" قال أبو دهبل يمدح عبد الله بن الأزرق المخزومي. وقيل هو للحزين الليثي".." (٢)

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣٤٨/١٥

(٢) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٤٨/١٦

"(وقال ساحر أو مجنون) (أو) بمعنى الواو، لأنهم قالوهما جميعا. قاله المؤرج والفراء، وأنشد بيت جرير:

أثعلبة الفوارس أو رياحا ... عدلت بهم طهية والخشابا «١»

وقد توضع (أو) بمعنى الواو، كقوله تعالى: (ولا تطع منهم آثما أو كفورا) «٢» والواو بمعنى أو، كقوله تعالى: (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) وقد تقدم جميع هذا «٣».أخذناه وجنوده) لكفرهم وتوليهم عن الايمان. نبذناهم)

أي طرحناهم ي اليم وهو مليم)

يعني فرعون، لأنه أتى ما يلام عليه.

[سورة الذاريات (٥١): الآيات ٤١ الى ٤٢]

وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم (٤١) ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم (٤٢)

قوله تعالى: (وفي عاد) أي وتركنا في عاد آية لمن تأمل. (إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) وهي التي لا تلقح سحابا ولا شجرا، ولا رحمة فيها ولا بركة ولا منفعة، ومنه امرأة عقيم لا تحمل ولا تلد. ثم قيل: هي الجنوب. روى ابن أبي ذئب عن الحرث بن عبد الرحمن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الريح العقيم الجنوب وقال مقاتل: هي الدبور كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم (نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور). وقال ابن عباس: هي النكباء. وقال عبيد بن عمير: مسكنها الأرض الرابعة وما فتح على عاد منها إلا كقدر منخر الثور. وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد أيضا أنها الصبا، فالله أعلم. قوله تعالى: (ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم) أي كالشيء الهشيم، يقال للنبت إذا يبس وتفتت: رميم وهشيم. قال ابن عباس: كالشيء الهالك البالي، وقاله مجاهد. ومنه قول الشاعر «٤»:

---

(١). طهية- كسمية-: حي من تميم نسبوا إلى أمهم، والخشاب: بطون من تميم أيضا.

(٢). راجع ج ١٩ ص (١٤٧)

(٣). راجع ج ٥ ص (١٧)

(٤). هو جرير يرثى ابنه.." [1]

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٧/٥٠

"فرج عن نبيه صلى الله عليه وسلم بالريح يوم الأحزاب، فقال تعالى:" فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها «١» ". ويقال: نفس الله عن فلان كربة من كرب الدنيا، أي فرج عنه. وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: (من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة). أي فرج عنه. وقال الشاعر:

كأن الصبا ريح إذا ما تنسمت ... على كبد مهموم تجلت همومها

قال ابن الأعرابي: النسيم أول هبوب الريح. وأصل الريح روح، ولهذا قيل في جمع القلة أرواح، ولا يقال: أرياح، لأنها من ذوات الواو، وإنما قيل: رياح من جهة الكثرة وطلب تناسب الياء معها. وفي مصحف حفصة" وتصريف الأرواح". العاشرة- قوله تعالى:" وتصريف الرياح" قرأ حمزة والكسائي" الريح" على الإفراد، وكذا في الأعراف والكهف وإبراهيم والنمل والروم وفاطر والشورى والجاثية، لا خلاف بينهما في ذلك. ووافقهما ابن كثير في ال أعراف والنمل والروم وفاطر والشورى. وأفرد حمزة" الريح لواقح «٢» ". وأفرد ابن كثير" وهو الذي أرسل الريح «٣» " في الفرقان. وقرأ الباقون بالجمع في جميعها سوى الذي في إبراهيم والشورى فلم يقرأهما بالجمع سوى نافع، ولم يختلف السبعة فيما سوى هذه المواضع. والذي ذكرناه في الروم هو الثاني" الله الذي يرسل الرياح «٤» ". ولا خلاف بينهم في" الرياح مبشرات". وكان أبو جعفر يزيد بن القعقاع يجمع الرياح إذا كان فيها ألف ولام في جميع القرآن، سوى" تهوي به الريح" و" الريح العقيم". فإن لم يكن فيه ألف ولام أفرد. فمن وحد الريح فلأنه اسم للجنس يدل على القليل والكثير. ومن جمع فلاختلاف الجهات التي تهب منها الرياح. ومن جمع مع الرحمة ووجد مع العذاب فإنه فعل ذلك اعتبارا بالأغلب في القرآن، نحو:" الرياح مبشرات" و" الريح العقيم" فجاءت في القرآن مجموعة مع الرحمة مفردة مع العذاب، إلا في يونس في قوله:" وجرين بهم بريح طيبة". وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا هبت الريح: (اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا). وذلك لأن ريح العذاب شديدة ملتئمة الاجزاء كأنها جسم

---

(١). راجع ج ١٤ ص ١٤٣.

(٢). راجع ج ١٠ ص ١٥.

(٣). راجع ج ١٣ ص ٣٩.

(٤). راجع ج ١٤ ص ٤٤.." (١)

"العالمين. وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم

«١» ". وقال: فتقديره تتركون مثل ذلك من أزواجكم، ولو لم يبح مثل ذلك من الأزواج لما صح ذلك، وليس المباح من الموضع الآخر مثلا له، حتى يقال: تفعلون ذلك وتتركون مثله من المباح. قال الكيا: وهذا فيه نظر، إذ معناه: وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم مما فيه تسكين شهوتكم، ولذة الوقاع حاصلة بهما جميعا، فيجوز التوبيخ على هذا المعنى. وفي قوله تعالى:" فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله" مع قوله:" فأتوا حرثكم" ما يدل على أن في المأتى اختصاصا، وأنه مقصور على موضع الولد. قلت: هذا هو الحق في المسألة. وقد ذكر أبو عمر بن عبد البر أن العلماء لم يختلفوا في الرتقاء التي لا يوصل إلى وطئها أنه عيب ترد به، إلا شيئا جاء عن عمر بن عبد العزيز من وجه ليس بالقوي أنه لا ترد الرتقاء ولا غيرها، والفقهاء كلهم على خلاف ذلك، لأن المسيس هو المبتغى ب ا لنكاح، وفي إجماعهم على هذا دليل على أن الدبر ليس بموضع وطئ، ولو كان موضعا للوطي ما ردت من لا يوصل إلى وطئها في الفرج. وفي إجماعهم أيضا على **أن العقيم التي** لا تلد لا ترد. والصحيح في هذه المسألة ما بيناه. وما نسب إلى مالك وأصحابه من هذا باطل وهم مبرءون من ذلك، لأن إباحة الإتيان مختصة بموضع الحرث، لقوله تعالى:" فأتوا حرثكم"، ولأن الحكمة في خلق الأزواج بث النسل، فغير موضع النسل لا يناله مالك النكاح، وهذا هو الحق. وقد قال أصحاب أبي حنيفة: إنه عندنا ولائط الذكر سواء في الحكم، ولأن القذر والأذى في موضع النجو «٢» أكثر من دم الحيض، فكان أشنع. وأما صمام البول فغير صمام الرحم. وقال ابن العربي في قبسه: قال لنا الشيخ الإمام فخر الإسلام أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين فقيه الوقت وإمامه: الفرج أشبه شي بخمسة وثلاثين، وأخرج يده عاقدا بها. وقال: مسلك البول ما تحت الثلاثين، ومسلك الذكر والفرج ما اشتملت عليه الخمسة، وقد حرم الله تعالى الفرج حال الحيض لأجل النجاسة العارضة. فأولى أن يحرم الدبر لأجل النجاسة اللازمة. وقال مالك لابن وهب وعلي بن زياد لما أخبراه أن ناسا بمصر

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٩٨/٢

(١). آية ١٦٥ سورة الشعراء.

(٢). النجو: ما يخرج من البطن من ريح وغائط.." [١]

"(قوله تعالى:) ولما جاء أمرنا) أي عذابنا بهلاك عاد. (نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا) لأن أحدا لا ينجو إلا برحمة الله تعالى، وإن كانت له أعمال صالحة. وفي صحيح مسلم والبخاري وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وسلم" لن ينجي أحدا منكم عمله" قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال:" ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه". وقيل: معنى" برحمة منا" بأن بينا لهم الهدى الذي هو رحمة. وكانوا أربعة آلاف. وقيل: ثلاثة آلاف. (ونجيناهم من عذاب غليظ) أي عذاب يوم القيامة. وقيل: هو **الريح العقيم كما** ذكر الله في" الذاريات" «١» وغيرها وسيأتي. قال القشيري أبو نصر: والعذاب الذي يتوعد به النبي أمته إذا حضر ينجي الله منه النبي والمؤمنين معه، نعم! لا يبعد أن يبتلي الله نبيا وقومه فيعمهم ببلاء فيكون ذلك عقوبة للكافرين، وتمحيصا للمؤمنين إذا لم يكن مما توعدهم النبي به. (قوله تعالى:) وتلك عاد) ابتداء وخبر. وحكى الكسائي أن من العرب من لا يصرف" عادا" فيجعله اسما للقبيلة. (جحدوا بآيات ربهم) أي كذبوا بالمعجزات وأنكروها. (وعصوا رسله) يعني هودا وحده، لأنه لم يرسل إليهم من الرسل سواه. ونظيره قوله تعالى:" يا أيها الرسل كلوا من الطيبات" «٢» [المؤمنون: ٥١] يعني النبي صلى الله عليه وسلم وحده، لأنه لم يكن في عصره رسول سواه، وإنما جمع هاهنا لأن من كذب رسولا واحدا فقد كفر بجميع الرسل. وقيل: عصوا هودا والرسل قبله، وكانوا بحيث لو أرسل إليهم ألف رسول لجحدوا الكل. (واتبعوا أمر كل جبار عنيد) أي اتبع سقاطهم رؤساءهم. والجبار المتكبر. والعنيد الطاغي الذي لا يقبل الحق ولا يذعن له «٣». قال أبو عبيد: العنيد والعنود والعاند والمعاند المعارض بالخلاف، ومنه قيل للعرق الذي ينفجر بالدم عاند. وقال الراجز:

إني كبير لا أطيق العندا «٤»

قوله تعالى: (وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة) أي ألحقوها. (ويوم القيامة) أي وأتبعوا يوم القيامة مثل ذلك، فالتمام على قوله:" ويوم القيامة". (ألا إن عادا كفروا ربهم)

---

(١). راجع ج ١٧ ص ٥٠.

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٩٤/٣

(٢). راجع ج ١٢ ص ١٢٧.

(٣). في ع: ينقاد.

(٤). صدر البيت:

إذا رحلت فاجعلوني وسطا

. [.....]." (١)

"لم يقل: لنرمي عليهم حجارة؛ لاقتضاء مادة الرمي كونه بقصد، وقوة الإرسال تقتضي أن يكون عن غير قصد، فهو إشارة إلى أنهم قوم لا [يؤبه بهم*]، يشهد لهذا التفريق ما ذكره الفقهاء في رمي [الجمار*] وإرسالها.

وفي المدونة قال ابن القاسم: إن وضع الحصاة وضعا أو طرحها لم يجزه.

قوله تعالى: ﴿غير بيت ... (٣٦)﴾

أتى بدلالة الاقتضاء، ولم يقل: غير أهل بيت تشريفا للبيت، قيل على مذهب أهل السنة: أن الإيمان والإسلام متغايران يلزم أن يكون المخرج غير المخرج منه واللازم باطل فالملزوم مثله، إذ لا يجوز أن يقول: أخرجنا من فيها من الناس فما وجدنا فيها غير البقر، وأجيب: بأنهما متغايران تغاير الأعم والأخص، كقولك: زيد عالم وزيد عليم، فتقول: أخرجت العلماء فما وجدت فيها إلا العليم أو العلامة، قيل: هذا في المثال يصح حيث يخرج شيء ويبقى شيء، وأما هنا فالمخرج منه إذ لم يبق فيها أحد من المؤمنين، أجيب: باحتمال أن يكون فيها بيوت جملة مؤمنين، لكنهم متفاوتون، بعضهم مؤمنون مسلمون، وبعضهم مؤمنون فقط، فأخرجوا في جماعة الأيك، فإن قلت: لعل المراد أنهم كانوا منقسمين إلى مؤمن وكافر ولم يكن فيهم منافق يظهر الإسلام ويبطن الكفر، بل إنكارهم الكل كانوا متظاهرين بالمخالفة، قلت: هذا بعيد لأن العبرة بالباطن لا بالظاهر.

قوله تعالى: ﴿وفي موسى ... (٣٨)﴾

كررت قصة موسى عليه السلام في القرآن [لتكرار سؤال اليهود*] إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٥٤/٩

قوله تعالى: (إلى فرعون بسلطان مبين).

[قدم*] ذكر فرعون على السلطان المبين؛ لأنه المقصود بالتخويف به.

أبو حيان: وهذا مثل:

علفتها تبنا وماء باردا

أي وسقيتها ماء، انتهى، يريد لأن مدينة قوم لوط تركت بحيرة مالحة يراه الناس اليوم على طريق الشام إلى الحجاز فتركت فيها آية، ولم يترك موسى عليه السلام آية بل جعل آية، فجاء التقدير: وجعلنا في موسى آية، مثل وسقيتها ماء.

قوله تعالى: ﴿وفي عاد إذ أرسلنا عليهم **الريح العقيم** (٤١)﴾." (١)

"(ألم يأتهم) أي المنافقين، رجوع إلى الغيبة عن الخطاب ففيه التفات وهو استفهام بمعنى التقرير والتحذير، أي قد أتاهم (نبأ الذين من قبلهم) أي خبرهم الذي له شأن، وهو ما فعلوه من التكذيب وما فعل بهم من الإهلاك، ولما شبه حالهم بحالهم فيما سلف على الإجمال في المشبه بهم، ذكر منهم هاهنا ست طوائف قد سمع العرب أخبارهم لأن آثارهم باقية، وبلادهم بالشام والعراق واليمن، وكل ذلك قريب من أرض العرب، فكانوا يمرون عليهم ويعرفون أخبارهم.

(قوم نوح) وقد هلكوا بالإغراق وأهلكوا بالطوفان وهم أولهم (و) ثانيهم قوم (عاد) وقد أهلكوا **بالريح العقيم** (و) ثالثهم قوم (ثمود) وقد أخذوا بالصيحة وأهلكوا بالرجفة (وقوم إبراهيم) وقد سلط الله عليهم البعوض وقيل أهلكوا بسلب النعمة عنهم وهم رابعهم (وأصحاب مدين) وهم قوم شعيب وقد أخذتهم الرجفة وأهلكوا بعذاب يوم الظلة وهي غمامة أطبقت عليهم وهم خامسهم (و) سادسهم أصحاب (المؤتفكات) وهي قرى قوم لوط وقد أهلكهم الله بما أمطر عليهم من الحجارة، فإن كانت مرادة به فهي على حقيقتها وإن كان المراد مطلق قرى المكذبين وهي لم تخسف بأجمعها فيكون المراد به مجازا انقلاب حالها من الخير إلى الشر تشبيها له بالخسف على." (٢)

"(ولا يزال الذين كفروا في مرية منه) أي في شك من القرآن؛ وقيل من الدين الذي يدل عليه ذكر الصراط المستقيم، وقيل من الرسول وقيل من إلقاء الشيطان فيقولون ما باله ذكر الأصنام بخير، ثم رجع عن

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٧٠/٤

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٤٣/٥

ذلك؛ وقرئ مرية بضم الميم، وهما لغتان مشهورتان، وظاهر كلام أبي البقاء أنهما قراءتان، قال السمين: ولا أحفظ الضم هنا.

(حتى تأتيهم الساعة) أي القيامة أو الموت (بغتة) أي فجأة (أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) وهو يوم القيامة لأنه لا يوم بعده فكان بهذا الاعتبار عقيما وهو في اللغة من لا يكون له ولد، ولما كانت الأيام تتوالى جعل ذلك كهيئة الولادة، ولما لم يكن بعد ذلك اليوم يوم وصف بالعقم، وقيل يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر، قاله ابن عباس، وعن أبي بن كعب نحوه، وعن سعيد بن جبير وعكرمة مثله.

وعن مجاهد قال: يوم القيامة لا ليلة له، وعن الضحاك وسعيد مثله أيضا؛ وقيل إن اليوم وصف بالعقم لأنه لا رأفة فيه ولا رحمة فكأنه عقيم من الخير، ومنه قوله تعالى: (فأرسلنا عليهم الريح العقيم) أي التي لا خير فيها ولا تأتي بمطر وفيه استعارة بالكناية بأنه شبه اليوم المنفرد عن سائر الأيام، والزمان الذي لا خير فيه **بالنساء العقم تشبيها** مضمرا في النفس، **وإثبات العقم تخييل**؛ فإن الأيام بعضها نتائج لبعض، فكل يوم يلد مثله.." (١)

"مسومة عند ربك للمسرفين (٣٤) فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين (٣٥) فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين (٣٦) وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم (٣٧) وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين (٣٨) فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون (٣٩) فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم (٤٠) وفي عاد إذ أرسلنا عليهم **الريح العقيم** (٤١) ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم (٤٢) وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين (٤٣) فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون (٤٤) فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين (٤٥) وقوم نوح من قبل إنهم كانوا قوما فاسقين (٤٦) والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون (٤٧)." (٢)

"(و) تركنا (في) قصة إهلاك (عاد) آية (إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) وهي التي لا خير فيها ولا بركة لا تلقح شجرا ولا تحمل مطرا إنما هي ريح العذاب والإهلاك، قال علي: هي النكباء وهي كل ريح هبت بين ريحين لتنكبها وانحرافها عن مهاب الرياح المعروفة، وهي رياح متعددة لا ريح واحدة، قال ابن عباس: **الريح العقيم الشديدة** التي لا تلقح شيئا، وعنه قال: لا تلقح الشجر ولا تثير السحاب، واختلف فيها فقيل: الجنوب، والأظهر أنها الدبور.

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٧٢/٩

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢٠٣/١٣

" لقوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا: وأهلكت عاد بالدبور "**؛ العقم ههنا** مستعار للمعنى المذكور على سبيل التبعية، شبه ما في الريح من الصفة التي تمنع من إنشاء مطر أو إلقاح شجر بما في المرأة من الصفة المذكورة التي تمنع من الحمل، ثم **قيل العقيم وأريد** به ذلك المعنى بقرينة وصف الريح." (١)

"به، أو سماها عقيما، لأنها أهلكتهم وقطعت دابرهم، أفاده الكرخي، وفي الشهاب **أصل العقم اليبس** المانع من قبول الأثر، كما قاله الراغب، وهو فعيل، بمعنى فاعل أو مفعول، فلما أهلكتهم وقطعت نسلهم شبه ذلك الإهلاك بعدم الحمل لما فيه من إذهاب النسل، وهذا هو المراد هنا ثم وصف سبحانه هذه الريح فقال:." (٢)

"إيجاز البيان عن معاني القرآن ، ج ١ ، ص : ١٩٠

من العذراء البتول «١».

والحصور : الممنوع عن إتيان النساء «فعول» بمعنى «مفعول» : كناقة حلوب ، وطريق ركوب «٢» ، ويقال للملك : حصير «٣» لأنه محجوب عن الناس فهو محصور.

٤٠ أنى : يكون على التعجب لا التشكك استعظاما للقدرة على نقض العادة «٤» ، أو هو سؤال حاله من الولد ، أيرد إلى الشباب وامرأته ولودا ، فقال كذلك : أي على حالكما **في العقم والكبر** «٥».

٤١ رب اجعل لي آية : علامة لوقت الحمل لتعجل السرور به «٦» ،

---

(١) ذكر البغوي نحو هذا القول في تفسيره : ١/ ٢٩٩ ، وأضاف المؤلف في وضح البرهان : ١/ ٢٤٠ : «و أنه يكلم في المهد ويحيي الموتى».

(٢) معاني الفراء : ١/ ٢١٣ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٩٢ ، وتفسير الطبري : (٦/ ٣٧٦ - ٣٨٠) ، واللسان : ٤/ ١٩٤ (حصر).

وأورد الفخر الرازي هذا القول في تفسيره : ٨/ ٤٠ ، ثم قال : «و هذا القول عندنا فاسد لأن هذا من صفات النقصان ، وذكر صفة النقصان في معرض المدح لا يجوز ولأن على هذا التقدير لا يستحق به ثوابا ولا تعظيما.

والقول الثاني - وهو اختيار المحققين - أنه الذي لا يأتي النساء لا للعجز بل للعفة والزهد ، وذلك لأن

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢٠٦/١٣

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢٠٧/١٣

الحصور هو الذي يكثر منه حصر النفس ومنعها كالأكول الذي يكثر منه الأكل وكذا الشروب ، والظلوم ، والغشوم ، والمنع إنما يحصل أن لو كان المقتضى قائما ، فلو لا أن القدرة والداعية كانتا موجودتين ، وإلا لما كان حاصرا لنفسه فضلا عن أن يكون حصورا ، لأن الحاجة إلى تكثير الحصر والدفع إنما تحصل عند قوة الرغبة والداعية والقدرة ، وعلى هذا «الحصور» بمعنى الحاصر ، فعول بمعنى فاعل» ا ه.

(٣) أساس البلاغة : ١/ ١٧٧ (حصر).

(٤) ذكره الماوردي في تفسيره : ١/ ٣٢١ دون عزو ، وانظر تفسير ابن كثير : ٢/ ٣١.

(٥) معاني الزجاج : ١/ ٤٠٨ ، معاني النحاس : (١/ ٣٩٥ ، ٦٣٩) ، ونقله الماوردي في تفسيره : ١/ ٣٢١ ، والبغوي في تفسيره : ١/ ٣٠٠ ، عن الحسن.

ونسبه ابن الجوزي في زاد المسير : ١/ ٣٨٤ إلى الحسن ، وابن الأنباري ، وابن كيسان.

قال ابن عطية في المحرر الوجيز : ٣/ ١٠٦ : «و هذا تأويل حسن يليق بزكريا عليه السلام».

(٦) معاني الزجاج : ١/ ٤٠٩ ، وقال ابن عطية في المحرر الوجيز : ٣/ ١٠٨ : «سأل علامة على وقت الحمل ليعرف متى يحمل بيحيى»..» (١)

«إيجاز البيان عن معاني القرآن ، ج ٢ ، ص : ٧٦٦

أو التقدير : إنه لحق حقا مثل نطقكم «١». ومن رفع «٢» جعله صفة لحق ، والمعنى في الجميع : إنه لحق مثل أنكم ممن ينطق حق.

٢٥ قوم منكرون : غرباء لا تعرفون.

٢٦ فراغ : مال في خفية «٣».

و«الصرة» «٤» : الصيحة «٥» ، من «الصرير».

٣٣ حجارة من طين : محجر ، كقوله «٦» : من سجيل لا من حجارة البرد التي أصلها الماء.

٣٨ وفي موسى : أي : آية فيه «٧» ، عطف على وتركنا فيها آية.

٣٩ فتولى بركنه : أعرض بجموعه وجنوده «٨».

٤١ **الريح العقيم** : الدبور «٩» ، لا تلقح وتقشع السحاب.

---

(١) ينظر توجيه هذه القراءة في معاني القرآن للفراء : ٣/ ٨٥ ، ومعاني الزجاج : ٥/ ٥٤ ، والكشف

---

(١) إيجازالبيان عن معاني القرآن، ١/١٩٠

لمكي : ٢/ ٢٨٧.
(٢) قراءة حمزة ، والكسائي ، وشعبة عن عاصم.
السبعة لابن مجاهد : ٦٠٩ ، والتبصرة لمكي : ٣٣٥ ، والتيسير للداني : ٢٠٣.
(٣) ينظر معاني القرآن للفراء : ٣/ ٨٦ ، وتفسير الطبري : ٢٦/ ٢٠٨ ، ومعاني الزجاج : ٥/ ٥٤ ، والمفردات : ٢٠٨.
(٤) من قوله تعالى : فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها ... [آية : ٢٩].
(٥) معاني القرآن : ٣/ ٨٧ ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة : ٤٢١ ، وتفسير الطبري : ٢٦/ ٢٠٩ ، والمفردات : ٢٧٩.
(٦) بعض آية : ٨٢ ، سورة هود ، وآية : ٧٤ ، سورة الحجر ، وآية : ٤ سورة الفيل.
(٧) إعراب القرآن للنحاس : ٤/ ٢٤٦ ، وتفسير القرطبي : ١٧/ ٤٩ ، والبحر المحيط : ٨/ ١٤٠.
(٨) ذكره ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن : ٤٢٢ ، والطبري في تفسيره : ٢٧/ ٣.
ونقله الماوردي في تفسيره : ٤/ ١٠٥ ، والقرطبي في تفسيره : ١٧/ ٤٩ عن ابن زيد.
(٩) يدل عليه الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن ابن عباس مرفوعا : «نصرت بالصبا ، وأهلكت عاد بالدبور».
صحيح مسلم : ٢/ ٦١٧ ، كتاب صلاة الاستسقاء ، باب في ريح الصبا والدبور».
وانظر تفسير الطبري : ٢٧/ ٤ ، وتفسير الماوردي : ٤/ ١٠٦ ، وتفسير البغوي : ٤/ ٢٣٣.." (١)

"والسائبة: يشربها الرجال دون النساء، فظن بعض المفسرين أن المراد بما في بطون الأنعام ألبانها، وروي عن ابن عباس، ولا ينبغي أن يكون هو معنى الآية ولكن محمل كلام ابن عباس أن ما في البطون يشمل الألبان لأنها تابعة للأجنة وناشئة عن ولادتها.

والخالصة: السائغة، أي المباحة، أي لا شائبة حرج فيها، أي في أكلها، ويقابله قوله: ﴿ومحرم﴾.

وتأنيث ﴿خالصة﴾ لأن المراد بما الموصولة ﴿الأجنة﴾ فروعي معنى "ما" وروعي لفظ "ما" في تذكير ﴿محرم﴾.

والمحرم: الممنوع، أي ممنوع أكله، فإسناد الخلوص والتحريم إلى الذوات بتأويل تحريم ما تقصد له وهو الأكل أو هو والشرب بدلالة الاقتضاء.

(١) إيجازالبيان عن معاني القرآن، ٧٦٦/٢

والأزواج جمع زوج، وهو وصف للشيء الثاني لغيره، فكل واحد من شيئين اثنين هو زوج، ولذلك سمي حليل المرأة زوجا وسميت المرأة حليلة الرجل زوجا، وهو وصف يلازم حالة واحدة فلا يؤنث ولا يثنى ولا يجمع. وقد تقدم عند قوله تعالى: ﴿وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ في سورة البقرة [٣٥].
وظاهر الآية أن المراد أنه محرم على النساء المتزوجات لأنهم سموهن أزواجا، وأضافوهن إلى ضميرهم، فتعين أنهن النساء المتزوجات بهم كما يقال: امرأة فلان. وإذا حملناه على الظاهر وهو الأولى عندي كان ذلك دالا على أنهم كانوا يتشاءمون بأكل الزوجات لشيء ذي صفة كانوا يكرهون أن تصيب نساءهم: مثل العقم، أو سوء المعاشرة مع أزواج، والنشوز، أو الفراق، أو غير ذلك من أوهام أهل الجاهلية وتكاذيبهم، أو لأنه نتاج أنعام مقدسة، فلا تحل للنساء، لأن المرأة مرموقة عند القدماء قبل الإسلام بالنجاسة والخباثة، لأجل الحيض ونحو ذلك، فقد كانت بنو إسرائيل يمنعون النساء دخول المساجد، وكان العرب لا يؤاكلون الحائض، وقالت كبشة بنت معد يكرب تعير قومها:
ولا تشربوا إلا فضول نسائكم ... إذا ارتملت أعقابهن من الدم
وقال جمهور المفسرين: أطلق الأزواج على النساء مطلقا، أي فهو مجاز مرسل بعلاقة الإطلاق والتقييد، فيشمل المرأة الأيم ولا يشمل البنات، وقال بعضهم: أريد به البنات أي بمجاز الأول فلعلهم كانوا يتشاءمون بأكل البنات منه أن يصيبهن عسر التزوج، أو ما يتعيرون منه، أو نحو ذلك. وكانت الأحوال الشائعة بينهم دالة على المراد.." (١)

"والإرسال: حقيقته توجيه رسول أو رسالة فيعدى إلى المفعول الثاني "بإلى" ويضمن معنى الإرسال من فوق، فيعدى إلى المفعول الثاني بعلى، قال تعالى: ﴿وأرسل عليهم طيرا أبابيل﴾ [الفيل:٣] ﴿وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾ [الذريات:٤١] فحرف "على" دل على أن جملة أرسلنا مفرعة تفريع العقاب لا تفريع زيادة الآيات.
والطوفان: السيح الغالب من الماء الذي يغمر جهات كثيرة ويطغى على المنازل والمزارع. قيل هو مشتق من الطواف لأن الماء يطوف بالمنازل، أي: تتكرر جريته حولها. ولم يدخل الطوفان الأرض التي كان بها بنو إسرائيل وهي أرض جاسان.
والجراد: الحشرة الطائرة من فصيلة الصرصر والخنافس له أجنحة ستة ذات ألوان صفر وحمر تنتشر عند طيرانه، يكون جنودا كثيرة يسمى الجند منها رجلا. وهو مهلك للزرع والشجر، يأكل الورق والسنبل وورق

---

(١) التحرير والتنوير، ٨٣/٧

الشجر وقشره، فهو من أسباب القحط. أصاب أرض قوم فرعون ولم يصب أرض بني إسرائيل.

والقمل: بضم القاف وتشديد الميم المفتوحة في القراءات المشهورة اسم نوع من القراد عظيم يسمى الحمنان بضم الحاء المهملة وميم ساكنة ونونين واحدته حمنانة وهو يمتص دم الإنسان وهو غير القمل بفتح القاف وسكون الميم الذي هو من الحشرات الدقيقة التي تكون في شعر الرأس وفي جلد الجسد يتكون من تعفن الجلد لوسخه ودسومته ومن تعفن جلد الرأس كثيرا، أصاب القبط جند كثير من الحمنان عسر الاحتراز عنه ولعله أصاب مواشيهم.

والضفادع جمع ضفدع وهو حيوان يمشي على أرجل أربع ويسحب بطنه على الأرض ويسبح في المياه، ويكون في الغدران ومناقع المياه، صوته مثل القراقر يسمى نقيقا. أصابهم جند كثير منه يقع في طعامهم يرتمي إلى القدور، ويقع في في العيون والأسقية وفي البيوت فيفسد ما يقع فيه وتطؤه أرجل الناس فتتقذر به البيوت، وقد سلمت منه بلاد جاسان منزل بني إسرائيل.

والدم معروف، قيل: أصابهم رعاف متفش فيهم، وقيل: صارت مياه القبط كالدم في اللون، كما في التوراة، ولعل ذلك من حدوث دود أحمر في الماء فشبه الماء بالدم، وسلمت مياه جاسان قرية بني إسرائيل.

وسمى الله هاته ﴿آيات﴾ لأنها دلائل على صدق موسى لاقترانها بالتحدي، ولأنها." (١)

"في أحوال مخصوصة، أو بتركيب شيء مع شيء مثل نزول البرد من السحاب وانفجار العيون من الأرض بقصد أو على وجه المصادفة.

وقوله: ﴿وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾ أطلق الإنزال على تمكين الناس من الأمور التي خلقها الله لنفعهم، قال تعالى: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا﴾ في سورة البقرة [٢٩]، إطلاقا مجازيا لأن ما خلقه الله لما كان من أثر أمر التكوين الإلهي شبه تمكين الناس منه بإنزال شيء من علو باعتبار أنه من العالم اللدني، وهو علو معنوي. أو باعتبار أن تصاريف الأمور كائن في العوالم العلوية، وهذا كقوله تعالى: ﴿وأنزل لكم من الأنعام ثمانية﴾ في سورة الزمر [٦]. وقوله تعالى: ﴿يتنزل الأمر بينهن﴾ في سورة الطلاق [١٢]. والقدر - بفتح الدال -: التقدير. وتقدم عند قوله تعالى: ﴿فسالت أودية بقدرها﴾ في سورة الرعد [١٧]. والمراد بـ ﴿معلوم﴾ أنه معلوم تقديره عند الله تعالى.

[٢٢] ﴿وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين﴾

انتقال من الاستدلال بظواهر السماء وظواهر الأرض إلى الاستدلال بظواهر كرة الهواء الواقعة بين السماء

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٥٤/٨

والأرض، وذلك للاستدلال بفعل الرياح والمنة بما فيها من الفوائد.
والإرسال: مجاز في نقل الشيء من مكان إلى مكان. وهذا يدل على أن الرياح مستمرة الهبوب في الكرة الهوائية. وهي تظهر في مكان آتية إليه من مكان آخر وهكذا...
و ﴿لواقح﴾ حال من ﴿الرياح﴾. وقع هذا الحال إدماجا لإفادة معنيين كما سيأتي عن مالك – رحمه الله –.
و ﴿لواقح﴾ صالح لأن يكون جمع لاقح وهي الناقة الحبلى. واستعمل هنا استعارة للريح المشتملة على الرطوبة التي تكون سببا في نزول المطر، كما استعمل في ضدها العقيم ضد اللاقح في قوله تعالى: ﴿وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾ [سورة الذاريات:٤١].." (١)
"والضر بضم الضاد ما يتضرر به المرء في جسده من مرض أو هزل، أو في ماله من نقص ونحوه.
وفي قوله تعالى: ﴿وأنت أرحم الراحمين﴾ التعريض بطلب كشف الضر عنه بدون سؤال فجعل وصف نفسه بما يقتضي الرحمة له، ووصف ربه بالأرحمية تعريضا بسؤاله، كما قال أمية بن أبي الصلت:
إذا أثنى عليك المرء يوما ... كفاه عن تعرضه الثناء.
وكون الله تعالى أرحم الراحمين لأن رحمته أكمل الرحمات لأن كل من رحم غيره فإما أن يرحمه طلبا للثناء في الدنيا أو للثواب في الآخرة أو دفعا للرقة العارضة للنفس من مشاهدة من تحق الرحمة له فلم يخل من قصد نفع لنفسه، وإما رحمته تعالى عباده فهي خلية عن استجلاب فائدة لذاته العلية.
ولكون ثناء أيوب تعريضا بالدعاء فرع عليه قوله تعالى: ﴿فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر﴾ . والسين والتاء للمبالغة في الإجابة، أي استجبنا دعوته العرضية بإثر كلامه وكشفنا ما به من ضر، إشارة إلى سرعة كشف الضر عنه، والتعقيب في كل شيء بحسبه. وهو ما تقتضيه العادة في البرء وحصول الرزق وولادة الأولاد.
والكشف: مستعمل في الإزالة السريعة. شبهت إزالة الأمراض والأضرار المتمكنة التي يعتاد أنها لا تزول إلا بطول بإزالة الغطاء عن الشيء في السرعة.
والموصول في قوله تعالى: ﴿ما به من ضر﴾ مقصود منه الإبهام. ثم تفسيره بـ"من" البيانية لقصد تهويل ذلك الضر لكثرة أنواعه بحيث يطول عدها. ومثله قوله تعالى: ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾ إشارة إلى تكثيرها. ألا ترى إلى مقابلته ضدها بقوله تعالى: ﴿ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون﴾، لإفادة أنهم يهرعون

---

(١) التحرير والتنوير، ١٣/٣٠

إلى الله في أقل ضر وينسون شكره على عظيم النعم، أي كشفنا ما حل به من ضر في جسده وماله فأعيدت صحته وثروته.

والإيتاء: عطاء، أي أعطيناه أهله، وأهل الرجل أهل بيته وقرابته. وفهم من تعريف الأهل بالإضافة أن الإيتاء إرجاع ما سلب منه من أهل، يعني بموت أولاده وبناته، وهو على تقدير مضاف بين من السياق، أي مثل أهله بأن رزق أولاده بعدد ما فقد، وزاده مثلهم فيكون قد رزق أربعة عشر ابنا وست بنات من زوجه التي كانت بلغت سن العقم.." (١)

"من هو كاذب كفار﴾ . فالمراد بالهدى في كلتا الآيتين عناية الله بتيسيره وإلا فإن الله هدى الفريقين بالدعوة والإرشاد فمنهم من اهتدى ومنهم من كفر.

وكتب في المصحف ﴿لهاد﴾ بدون ياء بعد الدال واعتبار بحالة الوصل على خلاف الغالب. وفي الوقف يثبت يعقوب الياء بخلاف البقية.

[٥٥] ﴿ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾

لما حكى عن الذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم أن ما يلقيه لهم الشيطان من إبطال ما جاءت به الرسل يكون عليهم فتنة، خص في هذه الآية الكافرين بالقرآن بعد أن عمهم مع جملة الكافرين بالرسل، فخصهم بأنهم يستمر شكهم فيما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ويترددون في الإقدام على الإسلام إلى أن يحال بينهم وبينه بحلول الساعة بغتة أو بحلول عذاب بهم قبل الساعة، فالذين كفروا هنا هم مشركو العرب بقرينة المضارع في فعل ﴿لا يزال﴾ وفعل ﴿حتى تأتيهم﴾ الدالين على استمرار ذلك في المستقبل. ولأجل ذلك قال جمع من المفسرين: إن ضمير ﴿في مرية منه﴾ عائد إلى القرآن المفهوم من المقام. والأظهر أنه عائد إلى ما عاد عليه ضمير ﴿أنه الحق من ربك فيؤمنوا به﴾.

و ﴿الساعة﴾ علم بالغلبة على يوم القيامة في اصطلاح القرآن، واليوم: يوم الحرب. وقد شاع إطلاق اسم اليوم على وقت الحرب. ومنه دعيت حروب العرب المشهورة "أيام العرب".

والعقيم: المرأة التي لا تلد؛ **استعير العقيم للمسؤوم** لأنهم يعدون المرأة التي لا تلد مشؤومة.

فالمعنى: يأتيهم يوم يستأصلون فيه قتلا. وهذا إنذار بيوم بدر.

[٥٦-٥٩] ﴿الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا

---

(١) التحرير والتنوير، ٩٣/١٧

وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم." (١)

"أي يؤاخذه به. والمعنى: أنه مستوجب العقاب كما قال ﴿فلا تلوموني ولوموا أنفسكم﴾ [ابراهيم: ٢٢].

والمعنى أن قصة موسى وفرعون آية للذين يخافون العذاب الأليم فيجتنبون مثل أسباب ما حل بفرعون وقومه من العذاب وهي الأسباب التي ظهرت في مكابرة فرعون عن تصديق الرسول الذي أرسل إليه، وأن الذين لا يخافون العذاب لا يؤمنون بالبعث والجزاء لا يتعظون بذلك لأنهم لا يصدقون بالنواميس الإلهية ولا يتدبرون في دعوة أهل الحق فهم لا يزالون معرضين ساخرين عن دعوة رسولهم متكبرين عليه، مكابرين في دلائل صدقه، فيوشك أن يحل بهم من مثل ما حل بفرعون وقومه، لأن ما جاز على المثل يجوز على المماثل، وقد كان المسلمون يقولون: إن أب جهل فرعون هذه الأمة.

[٤١] [٤٢] ﴿وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون [٤١]ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم [٤٢]﴾ .

نظم هذه الآية مثل نظم قوله ﴿وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون﴾ [الذاريات:٣٨] انتقل إلى العبرة بأمة من الأمم العربية وهم عاد وهم أشهر العرب البائدة.

و ﴿الريح العقيم﴾ هي: الخلية من المنافع التي ترجى لها الرياح من إثارة السحاب وسوقه، ومن إلقاح الأشجار بنقل غبرة الذكر من ثمار إلى الإناث من أشجارها، أي الريح التي لا نفع فيها، أي هي ضارة. وهذا الوصف لما كان مشتقا مما هو من خصائص الإناث كان مستغنيا عن لحاق هاء التأنيث لأنها يؤتى بها للفرق بين الصنفين والعرب يكرهون العقم في مواشيهم، أي ريح كالناقة العقيم لا تثمر نسلا ولا درا، فوصف الريح بالعقيم تشبيه بليغ في الشؤم، قال تعالى ﴿أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾ [الحج: ٥٥].

وجملة ﴿ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم﴾ صفة ثانية، أوحال، فهو ارتقاء في مضرة هذا الريح فإنه لا ينفع وأنه يضر أضرارا عظيمة.

وصيغ ﴿تذر﴾ بصيغة المضارع لاستحضار الحالة العجيبة. و ﴿شيء﴾ البقرة: من ال في معنى المفعول ل ﴿تذر﴾ فإن "من" لتأكيد النفي والنكرة المجرورة ب"من" هذه نصف في نفي الجنس ولذلك كانت عامة، إلا أن هذا العموم مخصص بدليل العقل لأن الريح إنما تبلي الأشياء التي تمر عليها إذا كان شأنها

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٢٢/١٧

أن يتطرق إليها البلى، فإن الريح لا تبلي الجبال ولا البحار ولا الأودية وهي تمر عليها وإنما تبلي الديار والأشجار والناس والبهائم، ومثله." (١)

"٢٤ هذا لأن لامه واو فهو من عتا يعتو إذا خضع عاقب له معنيان من العقوبة على الذنب ومن العقبى ومنه وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم أي اصبتم عقبا أعجاز نخل أصولها أعجز الشيء إذا فات ولم يقدر عليه ومنه وما هم بمعجزين وما كان الله ليعجزه من شيء وأما معاجزين بالألف فمعناه مسابقين عال يعيل عيلة أي افتقر ومنه ووجدك عائلا وعال يعول عدل عن الحق وعال يعول أيضا كثر عياله والأشهر أن يقال في هذا المعنى أعال بالألف عرج يعرج بفتح الراء في الماضي وضمها في المضارع صعد وارتقى ومنه المعارج وعرج بالكسر في الماضي والفتح في المستقبل صار أعرج عتبى معناه الرضى ومنه فما هم من المعتبين ولا هم يستعتبون العتاب العدل أعد بالألف يسد الشيء هيأه وعد بغير الألف من العدد عرش سرير الملك ومنه ورفع أبويه على العرش وأهكذا عرشك وعرش الله فوق السماء وتعرشون تبنون وعلى عروشها سقوفها عورة أصل معناه الانكشاف فيما يكره كشفه ولذلك قيل عورة الإنسان عورات أي أوقات انكشاف وبيوتنا عورة أي خالية معرضة للسراق عافر له معنيان المرأة العقيم واسم فاعل من عقر الحيوان عبر يعبر له معنيان من عبارة الرؤيا ومنه إن كنتم للرؤيا تعبرون ومن الجواز على الموضع ومنه عابر سبيل عمون جمع عم وهو صفة على وزن فعل بكسر العين من العمى في البصر أو في البصيرة علا يعلو تكبر ومنه قوما عالين وعلا في الأرض والعلي اسم الله والمتعالي والأعلى من العلو بمعنى الجلال والعظمة وقيل بمعنى التنزيه عن عما لا يليق به عزب الشيء غاب ومنه لا يعزب عن ربك أي لا يخفى عنه عصبة جماعة من العشرة إلى الأربعين علقة واحدة العلق وهو الدم عاصف ريح شديدة عصف ورق الزرع

حرف الغين غشاوة غطاء إما حقيقة أو مجاز غمام هو السحاب غلف جمع أغلف وهو كل شيء جعلته في غلاف أي قلوبنا محجوبة غرفة." (٢)

"٧٠ من القرية لينجوا من العذاب الذي أصاب أهلها ووصفهم بالمؤمنين وبالمسلمين لأنهم جمعوا الوصفين وقد ذكرنا معنى الإسلام والإيمان في الأحزاب

---

(١) التحرير والتنوير، ٣٢/٢٧

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ل ا بن جزى، ٤٥/١

وفي موسى معطوف على قوله وفي الأرض آيات للموقنين أو على قوله وتركنا فيها آية فتولى بركنه معنى تولى أعرض عن الإيمان وركنه سلطانه وقوته وقالوا ساحر أو مجنون أي قالوا إن موسى ساحر أو مجنون فأو للشك أو للتقسيم وقيل بمعنى الواو وهذا ضعيف ولا يستقيم هنا وهو مليم أي فعل مايلام عليه يعني فرعون الريح العقيم وصفها بالعقم لأنها لا بركة فيها من إنشاء المطر أو إلقاح الشجر كالرميم أي الفاني المنقطع والعموم هنا يراد به الخصوص فيما أذن للريح أن تهلكه وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين فيه قولان أحدهما أن الحين هي الثلاثة الأيام بعد عقرهم الناقة والآخر أن الحين من بعد ما بعث صالح عليه السلام إلى حين هلاكهم وعلى هذا يكون فعتوا مترتبا بعد تمتعهم وأما على الأول فيكون إخبارا عن حالهم غير مرتب على ما قبله فأخذتهم الصاعقة يعني الصيحة التي صاحها جبريل وهم ينظرون أي يعاينونها لأنها كانت بالنهار والسماء بنيناها بأيد أي بقوة وانتصاب السماء بفعل مضمر وإنا لموسعون فيه ثلاثة أقوال أحدها أن معناه قادرون فهو من الوسع وهو الطاقة ومنه على الموسع قدره أي القوي على الإنفاق والآخر جعلنا السماء واسعة أو جعلنا بينها وبين الأرض سعة والثالث أوسعنا الأرزاق بمطر السماء فنعم الماهدون الماهد الموطئ للموضع ومن كل شئ خلقنا زوجين أي نوعين مختلفين كالليل والنهار والسواد والبياض والصحة والمرض وغير ذلك ففروا إلى الله أمر بالرجوع إليه بالتوبة والطاعة وفي اللفظ تحذير وترهيب أتواصوا به توقيف وتعجيب أي هم بمثابة من أوصى بعضهم بعضا أن يقول ذلك فتول عنهم منسوخ بالسيف فما أنت بملوم أي قد بلغت الرسالة فلالوم عليك وما خلقت." (١)

"فصل في لحن من قال : الأرياح وقد لَحَنَ عَمَارَةُ بْنُ بِلاَلٍ ، فقال " الأَرْيَاحَ " في شعره ، فقال له أبو حَاتِمٍ : " إنَّ الأَرْيَاحَ لا تجُوزُ " فقال له عمارةُ : ألاَ تَسْمَعُ قولهم : رِيَاحٌ ؟ فقال أبو حاتمٍ : هذا خلاف ذلك ، فقال : صَدَقْتَ ، ورجع.

قال أبُو حَيَّان : وفي محفوظي قديماً ؛ أنَّ " الأَرْيَاح " جاء في شعر بعض فُصَحَاءِ العَرَب المستَشْهَد بكلامهم ، كأنَّهم بنوه على المفرد ، وإن كانت علّضة القلب مفقودةً في الجمع ، كما قالوا : " عيدٌ وأعْيَادٌ " والأصلُ " أَعْوَاد " ؛ لأنَّه من : " عَادَ يَعُودُ " ، لكنه لما ترك البَدَل ، جعل كالحرف الأصليِّ.

قال شِهابُ الدِّين : ويؤيد ما قاله الشَّيْخُ أن التزامَهُمُ " الياء " في " الأَرْيَاحِ " ؛ لأجل اللَّبس [بينه ، وبين " أَرْوَاح " جمع " رُوح " ، كام قالوا : التُزمت الياء في " أعْيَاد ؛ فَرْقاً] بينه وبين " أعْوَاد " جمع عود الحطب ؛ كما قالوا في التصغير : " عُيَيْد " دون " عُوَيْد " ؛ وعلَّلوه باللَّبْس المذكور.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ٨٧/٣

وقال أبو عليٍّ : [يجمع] في القليل " أرْوَاح " وفي الكثير " رِيَاح ".

قال ابن الخطيب وابن عطِيَّة : " وجاءت في القرآن مجموعةً مع الرَّحمة ، مفردةً مع العذابِ ، إلاَّ في قوله تعالى : ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس : ٢٢] وهذا أغلب وقوعها في الكلام ، وفي الحديث : " اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا رِيَاحاً ، وَلاَ تَجْعَلْهَا رِيحاً " ؛ لأنَّ رِيحَ العذَابِ شديدةٌ ملتئمةُ الأجْزاءِ ، كأنَّهَا جسْمٌ واحدٌ ، وريح الرَّحْمَة ليِّنَةٌ متقطِّعَةٌ ، وإنما أُفْرِدَتْ مع الفُلْكِ - يعني في يونس - لأنَّها لإجراء السُّفُن ، وهي واحدةٌ متَّصِلَةٌ ؛ ثمَّ وصفت بالطَّيِّبَةِ ، فزال الاشتراك بينها ، وبين ريح العذاب ".

انتهى.

وردَّ بعضهم هذا ؛ باختلاف القُرَّاء في اثْنِي عَشَرَ موضعاً في القرآن ، وهذا لا يَرُدُّه لأنَّ من جمع في الرَّحمة ، فقد أتى بالأصل المُشِار إليه ، ومن أفرد في الرّحمة ، فقد أراد الجنس ، [وأما الجمع في العذاب ، فلم يأتِ أصلاً] ، وإما الإفراد فإن وصف ، كما في يونس من قوله : " بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ " فإنَّه مزيلٌ للَّبس ، وإن أطْلَقَ ، كان للعذَابِ ، كما في الحديث ، وقد تختصُّ اللفظة في القرآن بشيءٍ ، فيكون أمارةً له ، فمن ذلك : ان عامَّة ما في القرآن من قوله : ﴿يُدْرِيكَ﴾ [الشورى : ١٧] مبهمٌ غير مبيَّن ، قال تعالى : ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى : ١٧] وما كان من لفظ " أَدْرَاك " فإنَّه مفسَّر ؛ كقوله تعالى : ﴿وَمَآ أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ [القارعة : ١٠ - ١١].

١٣٠

وقرأ حَمْزَةُ ، والكسائيُّ هنا " الرِّيح " بالإفراد ، والباقون بالجَمع ، فالجمع لاختلاف أنواعها : جَنُوباً ودَبُوراً وصَباً وغير ذلك ، وإفرادها على إرادة الجنس ، وكلُّ ريح في القرآن ليس فيها ألفٌ ولامٌ ، اتفق القرَّاء على توحيدها ، وما فيها ألف ولام ، اختلفوا في جمعها ، وتوحيدها ، إلاَّ **الرِّيح العقيم في** سورة الذَّاريات[٤١] ، اتفقوا على توحيدها ، والحرف الأوَّل من سورة الروم ﴿الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ [الروم : ٤٦] اتفقوا على جمعها ، والرِّياح : تذكَّر ، تؤنَّث.

فصل في بيان تصريف الرياح وأمَّا تصريفها : فإنها تُصرَّفُ إلى الشَّمال والجنوب والقبول والدَّبور ، وما بين كلِّ واحدٍ من هذه المهابِّ ، فهي نكباء ، وقيل في تصريفها : إنها تارةً تكون ليِّنة ، وتارةً تكون عاصفةٌ ، [وتارةً حارَّةً] ، وتارة باردةً.

قال ابن عبَّاس - رضي الله تعالى عنهما - : أعظم جنود الله تعالى الرِّيح ، والماء ، وسمِّيت الرِّيح ريحاً ؛ لأنها تريح النفوس.

قال القاضي شريح : ما هبَّت ريحٌ إلاَّ لشفاء سقيم ، ولسقيم صحيحٍ.

والبشارة في ثلاثة من الرِّياح ، في الصَّبا ، والشَّمال ، والجنوب ، وأمَّا الدَّبور ، فهي : الرِّيح العقيم ، لا بشارة فيها.

وقيل : الرِّياح ثمانيةٌ : أربعةٌ للرَّحمة : المبشرات ، والنَّاشرات ، والذَّاريات ، والمرسلات ، وأربعة للعذاب : العقيم ، والصَّرصر في البرِّ ، والعاصف والقاصف في البحر.

روى أبو هريرة – رضي الله تعالى عنه – : فروح الله سبحانه وتعالى] تأتي

١٣١

(١) ".

"العاقر.

الثالث : تنكير الرزق في قوله : " رِزْقاً " فإنه يدل على تعظيم حال ذلك الرزق كأنه قيل : رزق وإنه رزق عديب فلولا أنه خارق للعادة لم يفد الغرض اللائق بسياق الآية.

الرابع : أنه – تعالى – قال : ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَآ آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء : ٩١] ولولا أنه ظهر عليها الخوارق وإلا لم يصح ذلك.

الخامس : تواتُر الروايات على أن زكريا – عليه السلام – كان يجد عندها فاكهةَ الصيف في الشتاء ، وفاكهة الشتاء في الصيف فثبت أن الذي ظهر في حق مريم عليها الصلاة والسلام كان خارقاً للعادة ، وإذا ثبت ذلك فنقول : إمّا أنه كان معجزةً لبعض الأنبياء أو ما كان كذلك ، والأول باطل ؛ لأن النبيَّ الموجودَ في ذلكَ الزمانِ زكريا – عليه السلام – ولو كان ذلك معجزةً له لكان عالماً بحاله ، ولم يَشْتبه أمْرُه عليه ، ولم يَقُلْ لـ " مريم " أنَّى لَكِ هَذَا ؟ وأيضاً فقوله ﴿هـُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾ مُشْعِرٌ بأنه لما سألها ذكرت له أن ذلك من عند الله ، فهنالك طمع في انخراق العادةِ في حصول الولد من المرأة الشيخة العقيم العاقر وذلك يدل على أنه ما وقف على تلك الأحوال إلا من إخبار مريم ، وإذا كان كذلك ، وإذا ثبت أن تلك الخوارق ما كانت معجزةً لزكريا – عليه السلام – فلم يَبْقَ إلاَّ أنها كانت لمريم عليها السلام إما بسبب ابنها أو لعيسى عليه الصلاة والسلام كرامة لمريم ، وعلى التقديرين فالمقصود حاصل.

قال أبو علي الجبائي : لم لا يجوز أن يقال تلك الخوارق كانت معجزات زكريا – عليه السلام – لوجهين : الأول : أن زكريا دعا لها على الإجمال أن يوصل الله إليها رزقها ، وأنه كان غافلاً عما يأتيها من الأرزاق

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٨١

من عند الله ، فإذا رأى شيئاً بعينه في وقت معيَّن قال لها : أنَّى لكِ هذا ؟ فقالت هو من عند الله ، فعند ذلك يعلم أن الله أظهر بدعائه تلك المعجزةَ.

الثاني : يحتمل أن يكون زكريا شاهد عند مريم رزقاً معتاداً ، إلا أنه كان يأتيها من السماء ، وكان زكريا يسألها عن ذلك ، حَذَراً من أن يكون يأتيها من عند إنسان يبعثه إليها ، فقالت : هو من عند الله لا من عند غيره.

وأيضاً لا نسلم أنه كان قد ظهر على مريم شيء من الخوارق ، بل معنى الآية أن الله – تعالى – كان قد سبب لها رزقاً على أيدي المؤمنين الذين كانوا يرغبون في الانفاق على الزاهداتِ العابداتِ ، فكأن زكريا عليه الصلاة والسلام لمّا رأى شيئاً من ذلك خاف أنه رُبَّما أتاها ذلك الرزق من جهةٍ لا ينبغي ، فكان يسألها عن كيفية الحال.

والجواب عن الأول والثاني : أنه لو كان معجزاً لزكريا لكان زكريا مأذوناً له من عند الله في طلب ذلك ، ومتى كان مأذوناً له في ذلك الطلب كان عالماً – قطعاً – بأنه يحصل ، وإذا علم ذلك امتنع أن يطلب منها كيفية الحال ، ولم يكن لقول : ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾ فائدة.

والجواب عن الثالث : أنه – على هذا التقدير – لا يبقى لاختصاص مريم بمثل هذه الواقعة وجه.

أيضاً فإن كان في قلبه احتمال أنه ربما أتاها هذا الرزق من الوجه الذي لا يليق ، فبمجرد إخبارها كيف يعقل زوال تلك التهمة ؟ فسقطت هذه الأسئلة.

واحتج المعتزلة على امتناع الكرامات بأنها دلالات صدق الأنبياء ، ودليل النَّبِيّ لا يوجد مع غير النبي ، كما أن الفعل المُحْكَم – لما كان دليلاً على العلم لا جرم – لا يوجد في حَقِّ غَيْرِ العالِم.

والجواب من وجوه : الأول : أن ظهور الفعل الخارق للعادة دليل على صدق المدَّعِي ، فإن ادَّعَى صاحبهُ النبوةَ ، فذلك الفعل الخارق للعادة يدل على كونه نبيًّا ، وإن ادَّعَى الولايةَ ، فذلك يدل على كونه وليًّا.
١٨٦

والثاني : قال بعضهم : " الأنبياء مأمورون بإظهارها ، والأولياء مأمورون بإخفائها ".

والثالث : أن النبي يدَّعي المعجزة ويقطع به ، والولي لا يمكنه القطع به.

الرابع : أن المعجزة يجب انفكاكها عن المعارضة ، والكرامة لا يجب انفكاكها عن المعارضة.

قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ يُحْتَمَل أن يكون من جملة كلام مريم – عليها السلام – فيكون منصوباً.

ويحتمل أن يكون مستأنفاً ، من كلام الله تعالى ، وتقدم الكلامُ على نظيره.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ١٦٧

" هنا " هو الاسم ، واللام للبعد ، والكاف حرف خطاب ، وهو منصوب على الظرف المكاني بـ " دَعَا " وزان " ذلك " ، وهو منصوب على الظرف المكاني ، بـ " دعا " أي : في ذلك المكان الذي راى فيه ما رأى من أمر مريمَ ، وهو ظرف لا يتصرف بل يلزم النصبَ على الظرفية بـ " مِنْ " وَ " إِلَى ".

قال الشاعر : [الرجز] ١٤٢٦ - قَدْ وَرَدَتْ مِنْ أمكِنَهْ

مِنْ هَاهُنَا وَمِنْ هُنَهْ

". (١)

"شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ أي : يحفظ أعمال العباد حتى يجازيهم عليها.

وقيل : يحفظني من شركم ومكركم.

وقيل : حفيظ من الهلاكِ إذا شاء ، ويهلك إذا شاء.

قوله : ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ أي : عذابنا ، وهو ما نزل بهم من **الريحِ العقيم ،** عذَّبهم الله بها سبع ليال ، وثمانية أيَّام ، تدخلُ في مناخرهم وتخرجُ من أدْبَارهم وتصرعهم على الأرض على وجوههم حتى صارُوا ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة : ٧].

﴿نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ﴾ وكانُوا أربعة آلاف " بِرَحْمَةٍ مِنَّا " بنعمة مِنَّا.

وقيل : المراد بالرحمة : ما هداهُم إليه من الإيمان.

وقيل : المرادُ أنَّهُ لا ينجو أحد ، وإن اجتهد في الإيمان والعمل الصالح إلاَّ برحمةٍ من الله تعالى.

ثم قال : ﴿وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ فالمرادُ بالنَّجاةِ الأولى : هي النَّجَاةُ من عذاب الدُّنيا , والنَّجاةُ الثانية من عذاب القيامةِ.

والمرادُ بقوله : " ونَجَّيْنَاهُم " أي : حكمنا بأنَّهُم لا يستحقون ذلك العذاب الغليظ.

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٥٠٤

ولما ذكر قصة عاد خاطب قوم محمدٍ صلى الله عليه وسلم فقال : ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ وهو إشارة إلى قبورهم وآثارهم كأنه قال : سِيحُوا في الأرض فانظرُوا إليها واعتبروا.

قوله : " جَحَدُوا " جملةٌ مستأنفة سيقت للإخبار عنهم بذلك ، وليْسَتْ حالاً ممَّا قبلها ، و " جَحَدَ "

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٠٥٣

يتعدَّى بنفسه ، ولكنه ضُمِّنَ معنى "كَفَر " ، فيُعدَّى بحرفه ، كما ضمَّن "كَفَر " معنى " جَحَدَ " فتعدَّى بنفسه في قوله بعد ذلك : "كَفَرُوا ربَّهُمْ ".

وقيل : إنَّ "كَفَر "ك " شَكَر " في تعدِّيه بنفسه تارةً وبحرفِ الجر أخرى.

واعلم أنَّه تعالى وصفهم بثلاث صفاتٍ.

الأولى : قوله : ﴿جَحَدُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ أي : جحدوا دلائل المعجزات على الصِّدقِ ، أو حجدُوا دلائل المحدثات على وجودِ الصانع الحكيمِ.

والثانية : قوله : ﴿وَعَصَوْاْ رُسُلَهُ﴾ ومعناه : أنهم إذا عصوا رسُولاً واحداً ؛ فقد عصوا جميع الرُّسُلِ لقوله : ﴿لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ [البقرة : ٢٥٨].

والثالثة : قوله : ﴿وَاتَّبَعُوا اْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ والمعنى : أنَّ السَّفلة كانُوا يقلدون الرؤساء في قولهم ﴿مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [المؤمنون : ٣٣].

وتقدَّم اشتقاقُ " الجبّار " [المائدة : ٢٢].

والعَنِيدُ والعَنُود والمُعَاند : المنازع المعارض قاله أبو عبيدٍ وهو الطَّاغي المتجاوزُ في الظُّلم من قولهم : " عَنَدَ يَعْنِد " إذا حاد

٥١٠

عن الحقّ من جانبٍ إلى جانب.

ومنه " عندي " الذي هو ظرف ؛ لأنه في معنى جانب ، من قولك : عندي كذا ، أي : في جانبي.

ثم قال : ﴿وَأُتْبِعُواْ فِي هَـاذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ أي : أردفُوا لعنة تلحقهم ، وتصاحبهم في الدنيا وفي الآخرة.

واللعنة : هي الإبعادُ ، والطَّردُ عن الرَّحمةِ.

ثم بيَّن السَّبب في نزول هذه الاحوال فقال : ﴿أَلا اا إِنَّ عَاداً كَفَرُواْ رَبَّهُمْ﴾ أي : كفروا بربهم فحذف الباء.

وقيل : هو من باب حذف المضافِ ، أي كفروا نعمة ربِّهم.

ثم قال : ﴿أَلاَ بُعْداً لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ قيل : بُعْداً من رحمةِ الله ، وقيل : هلاكاً.

وللبعد معنيان : أحدهما : ضدَّ القربِ ، يقال منه : بَعُدَ يَبْعُدُ بُعْداً.

والآخر : بمعنى الهلاك فيقال منه : بَعِد يَبعِدُ بَعَداً وبَعُداً.

فإن قيل : اللعن هو البُعْدُ ، فلمَّا قال : ﴿وَأُتْبِعُواْ فِي هَـاذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فما فائدةُ قوله : ﴿أَلاَ بُعْداً لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ ؟ .

فالجواب : كانوا عاديَيْن.

فالأولى هم قوم هود الذين ذكرهم الله في قوله ﴿أَهْلَكَ عَاداً الأُولَى ﴾ [النجم : ٥٠].

والثانية أصحاب إرم ذات العمادِ.

وقيل : المبالغة في التَّنْصيصِ تدلُّ على مزيد التأكيد.

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٥١٠

قوله تعالى : ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً﴾ القصة.

الكلامُ على أوَّلها كالذي قبلها.

والعامَّةُ على منع " ثمُود " الصَّرْف هنا لعلَّتين : وهما

٥١١

." (١)

"شيئاً من طَلع ذكور النخلِ ؛ فيدخله بين ظهراني طلع الإناث ، [ومعنى] ذلك في سائر الثمار [ظهور الثمرة] من التِّين ، وغيره ، حتَّى تكون الثَّمرة مرئية ، حين ينظر إليها ، والمعتبر عند مالك . رضي الله عنه . وأصحابه فيما يذكر من الثِّمار التذكر ، وفيما لا يذكر أن يثبت من نواره ما يثبت ويسقط ما يسقط ، وفي الزروع ظهوره من الأرض ".

فصل قال . عليه الصلاة ولاسلام . " مِنَ ابتَاعَ نَخْلاً بَعْدَ أن تُؤبَّر ، فَثمَرتُهَا لِلبَائعِ ، إلاَّ أن يَشْتَرِطَ المُبتَاعُ " فلا يدخل الثمر المؤبَّر مع الأصولِ ف ياالبيع إلا بالشرط ؛ لأنها موجودة يحاطُ بها أَمَنَةً من السقوط غالباً ، بخلاف التي لم تؤبَّر ، إذ ليس سقوطها غالباً ، بخلاف التي لم تؤبر ، إذ ليس سقوطها مأموناً ، فلم يتحقق لها وجود ، فلم يجز للبائع اشتراطها ، ولا استثناؤها ؛ لأنها كالجنين.

فصل هل يجوز لمن اشترى النخل فقط أن يشتري الثمر قبل طيبه ؟ اشترى النَّخل ، وبقي الثمر للبائع ، جاز لمشتري الأصل شراءُ الثمرة قبل طيبها ، في المشهور عن مالكٍ . رحمه الله . ويرى لها حكم التعبيةِ ، وإن انفردت بالعقدِ ، وعنه في رواية أنه لا يجوز ، وبه قال الشافعيُّ ، وأبو حنيفة ، والثَّوريُّ ، وأهل الظاهر.

فصل في النهي عن بيع الملاقح والمضامين نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن بَيعِ المَلاقحِ والمَضامِنِي والمَلاقِحُ : الفحول من الإبلن ، الواحد مقلحٌ ، والمَلاقِحُ ما في بطون النوقِ من الأجنَّة ، الواحدة : مَلْقُوحةٌ ، من قولهم : لَقحْتُ ، كالمَحْمُومِ من حَمّ ، والمَجْنُون من جنّ ، وفي هذا جاء النَّهيُ.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٨٦٨

قال أبو عبدية : المَضامِينُ ما في البطونِ وهي الأجنَّةِ ، والمَلاقِيحُ : ما في أصلابِ الفحُولِ ، وهو قول سعيد بن المُسيَّبِ ، وغيره.

وقيل : بالعكسِ.

٤٤٦

ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع [المَجْر] وهو بيع ما في بطُونِ الأمَّهاتِ.

قال ابن عابس ـ رضي الله عنهما ـ ما هَبَّتْ ريح قَطُّ إلاَّ جَثَا النبيُّ صلى الله عليه وسلم عَلى رُكْبَتَيْهِ ، وقال : " اللَّهُمَّ اجْعلهَا رحْمةً ، ولا تَجْعلهَا عَذاباً ، اللَّهُمَّ اجْعَلهَا رِيَاحاً ولا تَجْعلهَا رِيحاً " قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في كتاب الله ـ عز وجل ـ : ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً﴾ [القمر : ١٩] ، ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [الذاريات : ٤١] وقال تعالى : ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ [الحجر : ٢٢] وقال تعالى : ﴿يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ [الروم : ٤٦].

قوله تعالى : ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾ ، قد تقدّم أنَّ الماء : هل ننزل من السماء أو من السحاب.

وقوله : ﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾ ، قال الأزهريُّ : " تَقُولُ العربُ لِكُلِّ ما فِي بُطونِ الأنْعَامِ ، ومِنَ السَّماءِ ، أو نَهْرٍ يَجْري : أسْقَيْتُه ، أي : جعلته شَرْباً له ، وجعلتُ له منها مَسْقى لشرب أرضه أو ماشيته ، فإذا كانت السُّقْيَا لِسقْيهِ ، قالوا : سَقاهُ ، ولم يقولوا : أسْقَاه ".

ويؤكده اختلاف القراء في قوله : ﴿نُّسْقِيكُمْ مِّمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ [النحل : ٦٦] ، فقرؤا باللغتين ، وسيأتي بيانهما في السورة التي بعدها ، ولم يختلفوا في قوله : ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ [الإنسان : ٢١] ، ـ وفي قوله : ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ [الشعراء : ٧٩].

قال أبو علي : سَقَيْتُه حتَّى رَوِيَ ، وأسْقَيتهُ نَهْراً ، جعلتهُ شُرْباً ، وقوله : ﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾ جعلناه سُقْياً لكم ، وربما قالوا في " أسْقَى " سَقَى ؛ كقول لبيدٍ يصفُ سحاباً : [الوافر] ٣٢٧٣. أقُولُ وصَوْبُهُ منِّي بَعِيدٌ

يَحُطُّ السَّيْبُ مِنْ قُللِ الجِبَالِ

جزء : ١١ رقم الصفحة : ٤٣٨

سَقَى قَوْمِي بَنِي مَجْدٍ وأسْقَى

نُمَيْراً والقَبائِلَ مِنْ هِلالِ

فقوله : " سَقَى قَوْمِي " ليس يريد به ما يروى عطاشهم ، ولكن يريد رزقهم سَقْياً لبلادهم ، يخصبون بِها ،

وبعيدٌ أن يَسْأَلَ لِقومِهِ ما يروي العطاش به ولغيرهم ما يخصبون به ، فأما سَقَيَا السَّقيَّة ، فلا يقال فيها : أسْقاهُ.

وأما قول ذي الرُّمة : [الطويل] ٣٢٧٤. وأسْقِيهِ حتَّى كَادَ ممَّا أبُثُّهُ

تُكلِّمُنِي أحْجَارهُ ومَلاعِبُه

[يريد بقوله : " أسقيه " : أدعو له بالسقاء ، وأقول : سقاه الله].

٤٤٧

". (١)

"عبلة وأبو حيوة بتنوين الصفة وإعمالها في الموصول.

والمعنى : أن الله يهدي الذين آمنوا إلى طريق قويم وهو الإسلام.

قوله تعالى : ﴿وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرْيَةٍ﴾ الآية.

لما بين حال الكافرين أولاً ثم حال المؤمنين ثانياً عاد إلى شرح حال الكافرين مرة أخرى ، فقال : ﴿وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرْيَةٍ﴾ شك ونفاق " مِنْه " أي : من القرآن ، أو من الرسول ، أو مم ألقاه الشيطان.

والمِرية والمُرية بالكسر والضم لغتان مشهورتان ، وظاهر كلام أبي البقاء أنهما قراءتان.

قوله : ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ﴾ وهذا يدل على أن الأعْصَار إلى قيام الساعة لا تخلو ممن هذا وصفه.

" بغْتَة " أي : فجأة من دون أن يشعروا ، ثم جعل الساعة لكفرهمِ ، وأنهم يؤمنون عند أشراط الساعة على وجه الإلجاء.

وقيل : أراد بالساعة الموت.

﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَق ِيمٍ﴾.

قال الأكثرون : هو يوم بدر.

وقال عكرمة والضحاك : هو يوم القيامة.

والعقيم **من العُقْم ،** وفيه قولان : أحدهما : أنه السد ، يقال : امرأة مَعْقُومة الرَّحم أو مسدودته عن الولادة. وهو قول أبي عبيد.

والثاني : أن أصله القطع ، ومنه (المُلْك عَقِيم) أي : لأنه يقطع صلة الرحم بالتراحم عليه ، **ومنه العقيم لانقطاع** ولادتها.

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣١٤٧

والعقم انقطاع الخبر ، ومنه يوم عقيم ، قيل : لأنه لا ليلة بعده ، ولا يوم فشبه بمن انقطع نسله ، وقيل : لأنهم لا يرون فيه خيراً.

وقيل : لأن كل ذات حمل تضع حملها في ذلك اليوم ، فكيف يحصل الحمل فيه.

هذا إن أريد به يوم القيامة.

وإن أريد به يوم بدر فقيل : لأن أبناء الحرب تقتل فيه ، فكأن النساء لم يلدنهم فيكنّ عُقماً ، يقال : رجل عَقِيم وامرأة عَقيم ، أي : لا يولد لهما.

والجمع عقم.

وقيل : لأنه الذي لا خير فيه ، يقال : ريح عقيم إذا لم تنشئ مطراً ، ولم تلقح شجراً.

١٢٨

وقيل : إنه لا مثل له في عظم أمره ، وذلك لقتال الملائكة فيه.

والقول الأول أولى لأنه لا يجوز أن يقال : ﴿وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ ويكون المراد إلى يوم بدر ، لأن من المعلوم أنهم في مرية بعد يوم بدر.

فإن قيل : لمّا ذكر الساعة ، فلو حملتم اليوم العقيم على يوم القيامة لزم التكرار.

قلنا : ليس كذلك لأن الساعة مقدمات القيامة ، واليوم العقيم كما مر نفس ذلك اليوم على أن الأمر لو كان كما قال لم يكن تكراراً ، لأن في الأول ذكر الساعة ، وفي الثاني ذكر عذاب ذلك اليوم.

وإن أريد بالساعة وقت الموت ، وبعذاب يوم عقيم القيامة فالسؤال زائل.

قوله : ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ للَّهِ﴾ ، وهذا من أقوى ما يدل على أن اليوم العقيم هو هذا اليوم ، وأراد أنه لا مالك في ذلك اليوم سواه.

و " يَوْمَئِذٍ " منصوب بما تضمنه " لِلَّهِ " من الاستقرار ، لوقوعه خبراً.

و " يَحْكُم " يجوز أن يكون حالاً من اسم الله ، وأن يكون مستأنفاً ، والتنوين في " يَوْمَئِذٍ " عوض من جملة ، فقدرها الزمخشري : يوم يؤمنون.

وهو لازم لزوال المِرْيَة ، وقدره أيضاً : يوم نزول مِرْيَتِهِم.

ثم بيَّن تعالى كيف يحكم بينهم وأنه يصير المؤمنين إلى جنات النعيم والكافرين إلى عذاب مهين.

قوله : " والَّذِيْنَ كَفَرُوا " مبتدأ ، وقوله : " فأولَئِكَ " وما بعده خبره ودخلت الفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط بالشرط المذكور ، و " لَهُم " يحتمل أن يكون خبراً عن " أولَئِكَ " و " عَذَاب " فاعل به لاعتماده

على المخبر عنه.
وأن يكون خبراً مقدماً وما بعده مبتدأ ، والجملة خبر " أولئك ".
جزء : ١٤ رقم الصفحة : ١١٦
قوله : " والَّذِينَ هَاجَرُوا " مبتدأ ، وقوله : " لَيَرْزُقَنَّهُم " جواب قسم مقدر ، والجملة القسمية وجوابها خبر قوله : " والَّذِينَ هَاجَرُوا ".
وفيه دليل على وقوع الجملة القسمية خبراً للمبتدأ.
ومن يمنع يضمر قولاً هو الخبر يحكي به هذه الجملة القسمية.
وهو قول مرجوح.
قوله : " رِزْقاً " يجوز أن تكون مفعولاً ثانياً على أنه من باب الرعي والذبح أي : مرزوقاً حسناً.
وأن يكون مصدراً مؤكداً.
١٣٠
." (١)

"قوله : ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحاً فَرَأَوْهُ مُصْفَرّاً﴾ لما بين أنهم عند توقف الخير يكونون مُنِيبِينَ آيِسِينَ ، وعند ظهوره يكونون مستبشرين بين أن تلك الحالة أيضاً لا يدومون عليها بل لو أصاب زرعهم ريحٌ مفسِد لكفروا فهم متقلبون غير تأمّين نظرهم إلى الحالة لا إلى المآلِ.
فصل سمى النافعة رياحاً ، والضارة ريحاً لوجوه : أحدها : أن النافعة كثيرة ألنواع كبيرة الأفراد ، فجمعها لأن في كل يوم وليلة (تَهُبُّ) نفحات من الرياح النافعة ، (و) لا تهب الريح الضارة في أعوام بل الضارة لا تهب في الدهور.
الثاني : أن النافعة لا تكون إلا رياحاً وأما الضارة فنفحة واحدة تقتل كريح السَّمُوم.
الثالث : جاء في الحديث " أن ريحاً هَبَّتْ فقال عليه (الصلاة و) السلام : " اللَّهم اجْعلها رِيَاحاً وَلاَ تَجْعَلْهَا رِيحاً " إشارة إلى قوله تعالى : ﴿يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرىً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الأعراف : ٥٧] وقوله : ﴿يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ [الروم : ٤٦] وإشارة إلى قوله تعالى : ف ﴿أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [الذاريات : ٤١] وقوله : ﴿رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ تَنزِعُ النَّاسَ﴾ [القمر : ١٩ ، ٢٠].
فصل معنى الآية ولئن أرسلنا ريحاً أي مُضِرّة أفسدت الزرعَ فرأوه مصفراً بعد الخُضْرَة لظلّوا لصاروا من بعد

---
(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٧٣٥

اصفرار الزرع يكفرون يجحدون ما سلف من النعمة يعني أنهم يفرحون عند الخَصْب ، ولو أرسلت عذاباً على زرعهم (جحدوا) سالِفَ نعمتي.

قوله : " فَرَأَوْهُ " أي فرأوا النبات لدلالة السياق عليه أو على الأثر ، لأن الرحمة هي

٤٢٧

الغيث وأثرها هو النبات وهذا ظاهر على قراءة الإفراد ، وأما على قراءة الجمع فيعود على المعنى.

وقيل : الضمير للسَّحَابِ.

وقيل : للريح.

وقرأ (جَنَاح) بْنُ حبيش مُصْفَاراً بألف و " لظلوا " جواب القسم الموطأ لَهُ " بِلَئِنْ " وهو ماض لفظاً مستقبل معنى ، كقوله : ﴿مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ﴾ [البقرة : ١٤٥] والضمير في " من بعده " يعود على الاصفرار المدلول عليه بالصفة كقوله : ٤٠٤٥ - إِذَا نُهِيَ السَّفِيهُ جَرَى إِلَيْهِ

....

جزء : ١٥ رقم الصفحة : ٤٢٧

أي السَّفَهُ ، لدلالة السفيه عَلَيهِ.

قوله (تَعَالى :) ﴿فَإِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى ﴾ لما علم رسوله وجوه الأدلة ووعد وأوعد ولم يزدهم دعاؤه إلا فراراً وكفراً وإصراراً ، قال : ﴿فَإِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى ﴾ وقد تقدم الكلام على نحو ﴿فَإِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ﴾ إلى آخره في الأنبياء ، وفي النمل.

واعلم أن إرشاد الميّتِ محالٌ والمحالُ أبعد من الممكن ثم إرشاد الأصمّ صعبٌ فإنه لا يسمع الكلام وإنما يفهم بالإشارة والفهام بالإشارة صعب ثم إرشاد الأعمى أيضاً صعب وإنك إذا قلت له الطريق على يمينك يدور إلى يمينه لكنه لا يبقى عليه بل يَحيد عن قرب ، وإرشاد الأصَمُ أصعب ولهذا تكون المعاشرة مع الأعمى أسْهَل من المعاشرة مع الأصم الذي لا يسمع لأن غايته الإفهامُ بالكلام وليس كلّ ما يفهم بالكلام يفهم بالإشارة ، فإن المعدومَ والغائب لا إشارة إليه فقال : ﴿فَإِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى ﴾ (ثم قال : وَلاَ الصُمَّ وَلاَ تَهْدِي العُمْيَ) وقال في الأصم : ﴿إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ﴾ ؛ ليكون أدخل في الامتناع لأن الأصمَّ وإن كان يَفْهم فإنما يفهم بالإشارة ، (فإذَا وَلَّى لا يكون نظره إلى المشير فامتنع إفهامه بالإشارة أيضاً) ثم قال : ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَن ضَلاَلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلاَّ مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ لما نفى

." (١)

"الإنسان ، فكان ذكر الإنثا اللاتي من جملة ما يشاؤه الإنسان أهم ، والأهم واجب التقديم ، وليليَ الجنس التي كانت العرب تعده بلاء (ذكر) البلاء ، وآخر الذكور ، فلما أخرهم تدارك تأخيرهم وهم أحقَّاء بالتقديم وبالتَّعريف ، لأن تعريفهم فيه تنويه وتشهير ، كأنه قال : ويهب لمن يشاء الفرسان الاعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم.

ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حظه من التقديم والتأخير وعرف أن تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتضى آخر فقال : " ذُكْرَاناً وإنَاثاً " (كَمَا قَالَ : إنَّا) ﴿خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَى ﴾ [الحجرات : ١٣] فجعل فيه ﴿الزوجين الذكر والأنثى﴾.

فصل قال ابن الخطيب : وفي الآية سؤالات : الأول : أنه قدم الإناث في الذكر على الذكور أولاً ، ثم قدم الذكر على الإناث ثانياً فما السبب في هذا التقديم والتأخير ؟ الثاني : أنه ينكّر الإناث وعرف الذكور وقال في الصنفين معاً ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً﴾.

الثالث : لما كان حصول الولد هبة من الله تعالى فيكفي في عدم حصوله أن لا يهب فأيّ حاجة في عدم حصوله إلى قوله : ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيماً﴾.

الرابع : هل المراد بهذا الحكم جمع معيَّنون أو الحكم على الإنسان المطلق ؟ والجواب على الأول : أن الكريم يسعى في أن يقع الحتم على الخير والراحة فإذا وهب الأنثى أولاً ثم أعطي الذكر بعده فكأنه نقله من الغم إلى الفرح ، وهذا غاية الكرم ، أما إذا أعطي الذكر أولاً ثم أعطي الأنثى ثانياً فكأنه نقله من الفرح إلى الغم ، فذكر الله تعالى هبة الأنثى أولاً ، ثم ثنَّى بهبة الذكر حتى يكون قد نقله من الغم إلى الفرح فيكون أليق بالكرم.

قيل : من يُمْنِ المرأة تبكيرها بالأنثى قبل الذكر ؛ لأن الله بدأ بالإناث وأما تقديم ذكر الذكور على الإناث ثانياً ؛ لأن الذكر أكمل وأفضل من الأنثى ، والأفضل مقدم على المفضول.

وأما الجواب عن تنكير الإناث وتعريف الذكور فهو أن المقصود منه التبيه على أن الذكور أفضل من الأنثى وأما قوله : ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً﴾ وهو أن كل شيئين يقرن أحدهما بالآخر ، فهما زوجان وكل واحد منهما يقال له : زوج والكناية في " يُزَوِّجُهُمْ "

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٠٨٠

٢١٩
عائدة على الإناث والذكور والمعنى يجعل الذكور والإناث أزواجاً أي يجمع له بينهما فيولد له الذكور والإناث.

وأما الجواب عن قوله " عقيماً " فالعقيم هو الذي لا يلد ولا يولد له يقال : رَجُلٌ عَقِيمٌ ، وامْرَأَةٌ عَقِيمٌ ، وأصل العقم القطع ومنه قيل : الملك عقيمٌ ، لأنه يقطع فيه الأرحام بالقتل والعقوق.

وأما الجواب عن الرابع فقال ابن عباس ـ (رضي الله عنهما) ـ : يَهبُ لمن يشاء إناثاً ، يريد لوطاً وشعيباً لم يكن لهما إلا البنات ، و ﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ الذُّكُورَ﴾ يريد : إبراهيم لم يكن له إلا الذكور ، ﴿أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً﴾ يريد محمداً صلى الله عليه وسلم كان له من البنين ثلاثة على الصحيح القاسم وعبدالله ، وإبراهيم ، ومن البنات إربع : زينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيماً﴾ يريد يحيى وعيسى ـ عليهما الصَّلاة والسَّلام ..

وقال أكثر المفسرين : هذا على وجه التمثيل ، وإنما الحكم عام في كل الناس ؛ لأن المقصود بيان نفاذ قدرة الله تعالى في تكوين الأنبياء كيف شاء ، فلا معنى للتخصيص.

ثم إنه تعالى خت الآية بقوله : ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾.

قال ابن عباس ـ (رضي الله عنهما) ـ : عليم بما خلق قدير ما يشاء أن يخلقه.

والله أعلم.

جزء : ١٧ رقم الصفحة : ٢١٤

قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً...

﴾ الآية لما بين حال قدرته وعلمه وحكمته أتبعه ببيان أنه كيف يخص أنبياءه بوحيه وكلامه.

ووقوله : " أَنْ يُكَلمَهُ " " أن " ومنصوبها اسم كان و " لِبَشَرٍ " خبرها.

وقال أبو البقاء : " أن " والفعل في موضع رفع

٢٢٠

". (١)

"إذ ليس فيها ذكر يعود على صاحب الحال ، وإن كانت حالاً من مفعول " أَخَذْنَاهُ " فالواو ليست واجبة ؛ إذ في الجملة ذكرٌ يعودُ عليه.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ ، ص/٤٤٧٦

وقد يقال : إنَّ الضمير في " نَبَذْنَاهُمْ " يعود على " فِرْعَوْنَ " وعلى " جُنُودِهِ " فصار في الحال ذكر يعود على بعض ما شَمِلَه الضمير الأول.

وفيه نظر ، إذ يصير نظير قولك : جَاءَ السُّلْطَانُ وَجُنُودُهُ فأكرمتهم راكباً فَرَسَهُ ، فتجعل " راكباً " حَالاً من بعض ما اشتمل عليه ضمير " أكرمتهم ".

فصل ومعنى " مليم " أي أَتَى بما يُلاَم عليه من دعوى الربوبيّة وتكذيب الرسول.

جزء : ١٨ رقم الصفحة : ٩١

قوله تعالى : ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا﴾ الكلام عليه قد تقدم عَلَى نظيره.

واعلم أن المراد بهذه الحكايات تسلية قلب النبي – صلى الله عليه وسلم – وتذكيره بحال الأنبياء.

فإن قيل : لِمَ لَم يذكر في " عَادٍ " و " ثمُودَ " أنبياءهم كما ذكر إبراهيم وموسى ولوطاً – عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ والسلام – ؟ !.

فالجواب : أنه ذكر ست حكايات ، حكاية إبراهيم وبشارته وحكاية قوم لوط ونجاة مَنْ كان فيها من المؤمنين وحكاية موسى ، ففي هذه الحكايات الثلاثة ذكر الرسل والمؤمنين لأن الناجين منهم كانوا كثيرين ، فأما في حق إبراهيم وموسى فظاهر وأما في حق لوطٍ فلأن الناجين وإن كَانُوا أَهْلَ بَيْتٍ واحد لكن المهلكين أيضاً كانوا أهل بُقْعَةٍ واحدة.

وأما عاد وثمود وقوم نوح فكان عدد المهلكين بالنسبة إلى الناجين أضعافَ المهلكين من قوم لوط عليهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَم ؛ فذكر الحكايات الثلاث الأول للتسلية بإهلاك العدو والكل مذكور للتسلية بدليل قوله تعالى في آخر هذه الآيات : ﴿كَذَلِكَ مَآ أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات : ٥٢] إلى أن قال : ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ [الذاريات : ٥٤] وقال في سورة هود بعد الحكايات : ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَآءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ﴾ [هود : ١٠٠] إلى أن قال : ﴿وَكَذالِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود : ١٠٢].

٩٤

قوله : ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ وهي التي لا خير فيها ولا بركة ، ولا تلقح شَجَراً ، ولا تَحْمل مطراً لأنها تكسر وتقلع فكيف تلقح ؟ !.

واعلم أن الفَعِيلَ لا يلحق به تاء التأنيث (إن كان بمعنى مفعول وكذلك) إذا كان بمعنى فَاعِل في بعض الصُّور.

وقد تقدم ذكر سببه ، وهو أن فَعِيلاً لما جاء للمفعول والفاعل جميعاً ولم يتميز المفعول عن الفاعل فأولى أن لا يتميز المؤنث عن المذكر فيه لأنه (لو تميز) لَتَميَّزَ الفاعل عن المفعول قبل تمييز المؤنث والمذكر ، لأن الفاعلَ جزءٌ من الكلام محتاجٌ إليه ، وا‍لمفعول فيه فائدة أكيدةٌ وإن لم يكن جزءاً من الكلام محتاجاً إليه ، فأول ما يحصل في الفعل الفاعل ثم التذكير والتأنيث يصير كالصفة للفاعل (والمفعول) تقول : فَاعِلٌ وفَاعِلَةٌ ، ومَفْعُولٌ ومفعُولَةٌ ، ويدل على ذلك أيضاً أن التمييز بين الفاعل والمفعول جعل بحرف ممازج للكلمة فقيل : فَاعل بألف فاصلة بين الفاء والعين التي هي من أصل الكلمة ، وقيل : مفعُول بواو فاصلة بين العين واللام والتأنيث كان بحرف في آخر الكلمة ، فالمميز فيهما غيَّر نظم الكلمة لشدّة الحاجةِ (وفي التأنيث) لم يؤثر ، ولأن التمييز في الفاعل والمفعول كان بأمرين يختص كُلّ واحد منهما بأحدهما فالألف بعد الفاء يختص بالفاعل ، والميم والواو يختص بالمفعول والتمييز في التذكير والتأنيث بحرف (واحد عند وجوده يميز المؤنث وعدمه يبقي اللفظ على أصل التذكير فإذا لم يكن " فَعِيلٌ " يمتاز فيه الفاعل عن المفعول إلا بأمر منفصل كذلك (المؤنث والمذكر لا يمتاز أحدهما عن الآخر إلا بحرف غير متصل به.

٩٥

(١) ".

"قوله : ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ﴾ فيه وجهان) : أحدهما : أنه نصب على أنه صفة للريح بعد صفة " **العَقِيم** ".

قاله الواحدي.

فإن قيل : كيف يكون وصفاً والمعرف لا يوصف بالجُمَلِ ؟ و " مَا تَذَرُ " جملة فلا يوصف بها النكرات ؟ !.

فالجواب من وجهين : الأول : أن يكون بإعادة الريح تقديراً ، كأنه يقول : وَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ **الرِّيحَ العَقِيمَ ريحاً** مَا تَذَرُ.

الثاني : أنها لما لم تكن معهودة صارت منكَّرة كأنه يقول : لم تكن من الرياحِ التي تقع ولا وقع مثلُها ، فهي لشدتها منكرة ، ولهذا أكثر ما ذكرت في القرآن منكَّرة ، ووصفت بالجملة كقوله تعالى : ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأحقاف : ٢٤] ، وقوله : ﴿وَأَمَا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ﴾ [الحاقة : ٦ و ٧] إلى غير ذلك.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٦٦٥

الوجه الثاني : أنه نصب على الحال ، تقول : جَاءَنِي ما يَفْهَمُ شَيْئاً فَعَلَّمْتُهُ وفَهَّمْتُهُ أي حاله كذا.
فإن قيل : لم يكن حال الإرسال ما تذر والحال ينبغي أن يكون موجوداً مع ذِي الحال وقت الفعل فلا يجوز أن يقال : جاءني زيد أمس راكباً غداً ، والريح بعد ما أرسلت بزمان صارت ما تذرُ شيئاً! فالجواب : أن المراد بيان الصلاحية أي التي أرسلناها على قوةٍ وصلاحيّةٍ لا تذر ، وتقول لمن جاء وأقام عندك أياماً ثم سألك شيئاً : جئْتَني سَائلاً أيْ وقت السؤال بالصلاحية والإمكان.
هذا إن قيل : بأنه نصب على المشهور.
ويحتمل أنه رفع على خبر مبتدأ محذوف تقديره هِيَ مَا تَذَرُ.
فَإن قِيلَ : " ما تذر " لنفي حال المتكلم ؛ يقال : مَا خَرَجَ زَيْدٌ إلَى الآن ، وَإذا أَرَدْتَ المستقبل تقول : لا يخرجُ أو لن يَخْرُجَ.
وتقول للماضي : مَا خَرَجَ ولم يَخْرُجْ ، والريح
٩٦
حالة الكلام مع النبي - صلى الله عليه وسلم - كانت ما تركت من شيء إلا جعلته كالرميم فكيف قال بلفظ الحال : ما تذر ؟ ! فالجواب : أنّ الحكايات مقدرة على أنها محكية حال الوقوع ، كقوله تعالى : ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالوَصِيدِ﴾ [الكهف : ١٨] مع أن اسم الفاعل بمعنى الماضي لا يعمل ، وإنما يعمل ما كان منْه بمعنى الحال والاستقبال.
فإن قيل : هل في قوله تعالى : ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ﴾ تخصيص كما في قوله تعالى : ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف : ٢٥].
فالجواب : أن المراد به المبالغة ، لأن قوله : " أَتَتْ عَلَيْهِ " وصف لقوله : " شَيْء " كأنه قال : كُلّ شيءٍ أَتَتْ عَلَيْه ، أو كل شيء تأتي عليه ، ولا يدخل فيه السموات ، لأنها ما أتت عليه ، وإنما يدخل فيه الأجسام التي تَهُبُّ عليها الرِّياحُ.
فإن قيل : فالجبال والصخور أتت عليه وما جعلته كالرَّميم!.
فالجواب : أن المراد أتت عليه قاصدةً له وهو عادٌ وأبنيتُهم وعروشُهم لأنها كانت مأمورة بأمر من عند الله فكأنها كانت قاصدة لهم ، فما تركت شيئاً من تلك الأشياء إلا جعلته كالرميم.
قوله : ﴿إلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾ هذه الجملة في موضع المفعول الثاني لـ " تَذَرُ " كأنه قيل : مَا تَتْرِكُ مِنْ شيء إلا مجعولاً نحو : مَا تَرَكْتُ زَيْداً إلاَّ عَالِماً.

وأعربها أبو حيان : حالاً.

وليس بظاهر.

فصل المعنى " مَا تَذَرُ " ما تترك ﴿مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ﴾ من أنفسهم وأموالهم وأنعامهم ﴿إلاَّ جعلته كالرميم﴾ أي كالشيء الهالك البالي ، وهو نبات الأرض إذا يَبِسَ ودِيسَ.

قال مجاهد : كالتِّبْن اليابسِ.

وقال أبو العالية : كالتراب المدقُوق.

وقيل : أصله من العظم البَالي.

جزء : ١٨ رقم الصفحة : ٩٤

قوله تعالى : ﴿وَفِي ثَمُودَ﴾ الكلام فيه كما تقدم في قوله : " وفي موسى " ، وقوله :

٩٧

." (١)

"ذكر ههنا : ﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾ مرتين ، فالأول سؤال ، كقول المعلم للمتعلم : كَيْفَ المَسْأَلَةُ الفُلاَنِيَّةُ ؟ ثم بين فقال : " إِنَّا أَرْسَلْنَا " ، والثاني بمعنى التعظيم والتهويل.

فإن قيل : قال في قوم نوح : كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ولم يقل في عاد : كَذَّبَتْ قَوْمُ هُودٍ ؛ لأن التعريف كلما أمكن أن يؤتى به على وجه أبلغ فالأولى أن يؤتى به والتعريف بالاسم العلم أقوى من التعريف بالإضافة ؛ لأنك إذا قلت : " بَيْتُ اللَّهِ " لا يفيد ما يفيد قولك : الكَعْبَةُ ، وكذلك إذا قلت : رَسُولُ اللَّهِ وقلت : محمد " فَعَادٌ " اسم علمٍ للقوم.

ولا يقال : قَوْم هُودٍ أعرف لوجهين : أحدهما : أن الله تعالى وصف عاداً بقوم هود في قوله : ﴿أَلاَ بُعْداً لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ [هود : ٦٠] ولا يوصف الأظهر بالأخفى ، والأخصُّ بالأعمِّ.

ثانيهما : أن قوم هو (واحد وعَادٌ قيل :) إنه لفظٌ يقع على أقوام ، ولهذا قال

٢٥٣

تعالى : ﴿عَاداً الأُولَى ﴾ [النجم : ٥٠] لأنا نقول : أما قوله تعالى : ﴿لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ [هود : ٦٠] فليس ذلك صفة ، وإنما هو بدل ويجوز في البدل أن يكون دون المُبْدَل (منه) في المعرفة ، ويجوز أن يبدل من المعرفة بالنكرة.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٦٦٦

وأما عاداً الأولى فهو لبيان تقدمهم أي عاداً الذين تقدموا ، وليس ذلك للتمييز والتعريف كما تقول : مُحَمَّدٌ النَّبِيُّ شَفِيعِي واللَّهُ الكَرِيمُ رَبِّي وَرَبُّ الكَعْبَة المُشَرَّفَة ، لبيان الشرف ، لا لبيانها وتعريفها بالشرف كقولك : دَخَلتُ الدَّار المَعْمُورَة مِنَ الدَّارَيْنِ ، وخَدَمْتُ الرَّجُلَ الزَّاهِدَ مِنَ الرَّجُلَيْنِ ؛ فتبين المقصود بالوصف.

فإن قيل : لِمَ لَمْ يقل : فكذبوا هوداً كما قال فكذبوا عَبْدَنَا ؟ .

فالجواب : إما لأن تكذيب قوم نوح أبلغُ لطول مقامه فيهم وكثرة عِنَادِهِمْ ، وإما لأن قصة عادٍ ذكرت مُخْتَصَرَةً.

قوله : ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً﴾ الصَّرْصَرُ الشَّديدة الصَّوْت من صَرْصَرَ البابُ أو القَلَمُ إِذَا صَوَّت.

وقيل : الشديدة البرد من الصَّرِّ وهو البرد وهو كله أصول عند الجمهور.

وقال مكي : أصله " صَرَّراً " من صَرَّ الشيءُ إذا صوت ، لكن أبدلوا من الراء المشددة صاداً ، وهذه أقوال الكُوفِيّين.

ومثله : كَبْكَبَ وَكَفْكَفَ.

وتقدم هذا في فُصِّلَتْ وغيرها.

وقال ابن الخطيب : الصرصر هو الدائمة الهبوب من أَصَرَّ عَلَى الشَّيْءِ إذا دَامَ وَثَبَت.

فصل ﴿يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ شديد دائم الشُّؤم استمر عليهم بنُحُوسِهِ ، ولم يُبْقِ منهم أحداً إلا أهلكه.

قيل : ذلك يوم الأربعاء في آخر الشهر.

فإن قيل : إذا كان يوم الأربعاء يَوْمَ نَحْسٍ مستمر فكيف يستجاب فيه الدعاء ؟ ! وقد جاء أن النبي - صلى الله عليه وسلم - استجيب له فيه فيما بين الظهر والعصر.

٢٥٤

فالجواب : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " أتاني جبريل فقال : " إنَّ اللَّهَ يأمرك أَنْ تَقْضِي مع الشاهد " وقال : يَوْمُ الأربعاء يَوْمُ نَحْسٍ مُسْتَمِرّ.

ومعلوم أنه لم يرد أنه نحس على المصلحين بل على المفسدين ، كما كانت الأيام النحسات على الكُفار ، لا على نبيهم والمؤمنين.

واعلم أنه تعالى قال ههنا : إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً وقال في الذاريات : ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [الذاريات : ٤١] فعرَّف الريح هناك ، ونكَّرها ههنا ؛ **لأن العقم في** الريح أظهر من البَرْد الذي يضرّ النبات أو الشدة التي تَعْصِفُ الأشجار ، لأن **الريح العقيم هي** التي لا تُنْشِئ سحاباً ، ولا تُلَقِّح شجراً

وهي كثيرة الوقوع ، وأما الريح المهلكة الباردة فقلما تُوجَد فقال : **الريح العقيم أي** هذا الجنس المعروف.
ثم زاده بياناً بقوله : ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾ [الذاريات : ٤٢] فتميزت عن **الريح العقيم** ، وأما الصرصر فقليلة الوقوع فلا تكون مشهورة فنكَّرها.
قوله : ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ﴾ العامة على إضافة يَوْم إلى نَحْسٍ – بسكون الحاء – وفيه وجهان : أحدهما : أنه من إضافة الموصوف إلى صفته.
والثاني – وهو قول البصريين – أنه صفة لموصوف محذوف أي يوم عذاب نحس.
وقرأ الحسن – (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) بتَنْوِينه ووصفه بنَحْس ولم يقيِّده الزمخشري بكسر الحاء.
وقيده أبو حيان.
وقد قرئ قوله : " فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ " بسكون الحاء وكسرها ، وتنوين " أيام " عند الجميع ما تقدم تقريره ، و " مُسْتَمِرٍّ " صفة " ليوم " أو " نحس ".
ومعناه كما تقدم أي عليهم حتى أهلكهم ، أو من المرارة.
قال الضحاك : كان مراً عليهم وكذا حكى الكسائي أن قوماً قالوا هو من المرارة يقال : مَرَّ الشَّيْءُ ، وأَمَرَّ أي كان كالشيء المر تكرهه النفوس ، وقد قال : ﴿فَذُوقُواْ﴾ [آل عمران : ١٠٦] والذي يُذَاقُ قَدْ يكونُ مُرًّا.
٢٥٥
". (١)

"عن الحسن، رضي الله عنه، في قوله:" فورب السماء والأرض " الآية، قال: بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال:"قاتل الله أقواما أقسم لهم ربهم، ثم لم يصدقوا".
قوله تعالى: " وبشروه بغلام عليم "
عن مجاهد، رضي الله عنه، في قوله:" وبشروه بغلام عليم " ، قال: هو إسماعيل".
قوله تعالى: " فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها "
عن ابن عباس، رضي الله عنهما، في قوله:" فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها " ، قال: في صيحة " فصكت " ، قال: لطمت".
قوله تعالى: " فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين "

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٧٣٥

عن مجاهد، رضي الله عنه، في قوله:" " فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين " ، قال: لوط وابنتيه"

عن سعيد بن جبير، رضي الله عنه، قال:"كانوا ثلاثة عشر".

قوله تعالى: " **الريح العقيم**"

عن ابن عباس، رضي الله عنهما، في قوله:" " **الريح العقيم** " ، قال: الشديدة التي لا تلقح شيئا"." (١)

"عباس : والله إن تفسير ذلك في كتاب الله (أرسلنا عليهم ريحا صرصرا) (القمر الآية ١٩) ، (أرسلنا عليهم الريح العقيم) (النازعات الآية ٤١) وقال (وأرسلنا الرياح لواقح) (الحجر الآية ٢٢) ، (أن يرسل الرياح مبشرات) (الروم الآية ٤٦).

وأخرج الترمذي والنسائي وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الريح فإنها من روح الله وسلوا الله خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به وتعوذوا بالله من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به.

وأخرج ابن أبي شيبة عن مجاهد قال : هاجت ريح فسبوها ، فقال ابن عباس : لا تسبوها فإنها تجيء بالرحمة وتجيء بالعذاب ولكن قولوا : اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا.

وأخرج ابن أبي شيبة وأبو الشيخ عن عمر ، أنه كان إذا عصفت الريح فدارت يقول : شدوا التكبير فإنها مذهبة.

وأخرج ابن أبي شيبة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الليل والنهار ولا الشمس ولا القمر ولا الريح فإنها تبعث." (٢)

"يشاء بغير حساب﴾ قال : إن الذي يرزقك العنب في غير حينه لقادر أن يرزقني من العاقر **الكبير العقيم ولدا** ﴿هنالك دعا زكريا ربه﴾ فلما بشر بيحيى قال ﴿رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس﴾ قال : يعتقل لسانك من غير مرض وأنت سوي.

وأخرج عبد بن حميد وآدم ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم والبيهقي في "سننه" عن مجاهد في قوله ﴿وكفلها زكريا﴾ قال : سهمهم بقلمه.

وأخرج عبد بن حميد ، وابن جرير عن قتادة قال : كانت مريم ابنة سيدهم وإمامهم فتشاح عليها أحبارهم فاقترعوا فيها بسهامهم أيهم يكفلها وكان زكريا زوج خالتها فكفلها وكانت عنده وحضنتها.

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ٢٥١/١٢

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ١١٨/٢

وأخرج البيهقي في "سننه" عن ابن مسعود ، وابن عباس وناس من الصحابة أن الذين كانوا يكتبون التوراة إذا جاؤوا إليهم بإنسان محرر." (١)

"وشربت الخمور ولبس الحرير واتخذوا القيان والمعازف ولعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا عند ذلك ثلاثا : ريحا حمراء وخسفا ومسخا.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن علي بن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تمسخ طائفة من أمتي قردة وطائفة خنازير ويخسف بطائفة ويرسل على طائفة **الريح العقيم بأنهم** شربوا الخمر ولبسوا الحرير واتخذوا القيان وضربوا بالدفوف.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكونن في هذه الأمة خسف وقذف ومسخ وذلك إذا شربوا الخمر واتخذوا القينات وضربوا بالمعازف.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسخ قوم من هذه الأمة في آخر الزمان قردة وخنازير ، قالوا : يا رسول الله أليس يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله قال : بلى ويصومون ويصلون ويحجون ، قال : فما بالهم قال : اتخذوا المعازف والدفوف والقينات فباتوا على شربهم ولهوهم فأصبحوا قد مسخوا قردة وخنازير.

وأخرج ابن أبي شيبة ، وابن أبي الدنيا عن عبد الرحمن بن سابط قال :." (٢)

"قوم لوط على قبائل فيها وعلى دور وليرسلن عليهم **الريح العقيم التي** أهلكت عادا على قبائل فيها وعلى دور بشربهم الخمر ولبسهم الحرير واتخاذهم القينات وأكلهم الربا وقطيعتهم الرحم.

وأخرج ابن أبي شيبة وأبو داود ، وابن ماحه والبيهقي عن أبي مالك الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها وتضرب على رؤوسهم المعازف والمغنيات يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير.

وأخرج البيهقي عن معاذ وأبي عبيدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن هذا الأمر بدأ رحمة ونبوة ثم يكون رحمة وخلافة ثم كائن ملكا عضوضا ثم كائن عتوا وجبرية وفسادا في الأرض يستحلون الحرير والخمور والفروج يرزقون على ذلك وينصرون حتى يلقوا الله عز وجل." (٣)

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٥٢٢/٣

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٤٩٥/٥

(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٤٩٨/٥

"– الآية (٧٢) ٠.

أخرج إسحاق بن بشر ، وابن عساكر من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : لما أوحى الله إلى العقيم أن تخرج على قوم عاد فتنتقم له منهم فخرجت بغير كيل على قدر منخر ثور حتى رجفت الأرض ما بين المشرق والمغرب فقال

الخزان : رب لن نطيقها ولو خرجت على حالها لأهلكت ما بين مشارق الأرض ومغاربها فأوحى الله إليها : أن ارجعي ٠ فرجعت فخرجت على قدر خرق الخاتم وهي الحلقة فأوحى الله إلى هود : أن يعتزل بمن معه من المؤمنين في حظيرة فاعتزلوا وخط عليهم خطا وأقبلت الريح فكانت لا تدخل حظيرة هود ولا تجاوز الخط إنما يدخل عليهم منها بقدر ما تلذ به أنفسهم وتلين عليه الجلود وإنها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة وأوحى الله إلى الحيات والعقارب : أن تأخذ عليهم الطرق فلم تدع عاديا يجاوزهم.

وأخرج ابن عساكر عن وهب قال : لما أرسل الله الريح على عاد اعتزل هود ومن معه من المؤمنين في حظيرة ما يصيبهم من الريح إلا ما تلين عليه الجلود وتلتذه الأنفس وإنها لتمر بالعادي فتحمله بين السماء والأرض وتدمغه بالحجارة.

وأخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم عن ابن زيد في قوله ﴿وقطعنا دابر." (١)

"وأخرج الفريابي وسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد والبخاري ومسلم والنسائي ، وابن جرير والطبراني ، وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن مسعود قال : خمس قد مضين : الدخان والقمر والروم والبطشة واللزام.

وأخرج عبد بن حميد عن قتادة قال : كنا نحدث ان (اللزام) يوم بدر.

وأخرج عبد بن حميد ، وابن جرير عن مجاهد ﴿فسوف يكون لزاما﴾ قال : يوم بدر.

وأخرج عبد بن حميد ، وابن أبي حاتم عن أبي مالك ، مثله.

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن ﴿فسوف يكون لزاما﴾ قال : ذاك يوم القيامة.

وأخرج الطبراني عن ابن مسعود قال : مضى خمس آيات وبقي خمس منها ، انشقاق القمر وقد رأيناه

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٤٥١/٦

ومضى الدخان ومضت البطشة الكبرى ومضى اليوم العقيم ومضى اللزام والله أعلم.
*." (١)

"وأخرج عبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر عن قتادة رضي الله عنه في قوله ﴿فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين﴾ قال : كان عامة مال إبراهيم البقر.

وأخرج عبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن مجاهد رضي الله عنه في قوله ﴿وبشروه بغلام عليم﴾ قال : هو إسماعيل.

وأخرج ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿فأقبلت امرأته في صرة﴾ قال : في صيحة ﴿فصكت﴾ قال : لطمت.

وأخرج سعيد بن منصور ، وابن جرير ، وابن المنذر عن مجاهد رضي الله عنه في قوله ﴿في صرة﴾ قال : صيحة ﴿فصكت وجهها﴾ قال : ضربت بيدها على جبهتها وقالت : يا ويلتاه.

وأخرج سعيد بن منصور ، وابن المنذر عن الضحاك رضي الله عنه أنه سئل عن عجوز عقيم وعن الريح العقيم وعن عذاب يوم عقيم فقال : العجوز العقيم التي لا ولد لها وأما الريح العقيم فالتي لا بركة فيها ولا منفعة ولا تلقح و أما عذاب يوم عقيم فيوم لا ليلة له.

وأخرج ابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن مجاهد رضي الله عنه في قوله ﴿فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾ قال : لوط وابنتيه.
." (٢)

"أخرج الفريابي ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم والحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿الريح العقيم﴾ قال : الشديدة التي لا تلقح شيئا.

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾ قال : الريح العقيم التي لا تلقح الشجر ولا تثير السحاب وفي قوله ﴿إلا جعلته كالرميم﴾ قال : كالشيء الهالك.

وأخرج أبو الشيخ في العظمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿الريح العقيم﴾ قال : ريح لا بركة فيها ولا منفعة ولا ينزل منها غيث ولا يلقح منها شجر.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الريح

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٢٣٦/١١

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٦٦٧/١٣

مسجنة في الأرض الثانية فلما أراد الله أن يهلك عادا أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحا تهلك عادا قال : أي رب أرسل عليهم من الريح قدر منخر ثور قال له الجبار ، لا إذا تكفأ الأرض ومن عليه، ولكن أرسل عليهم بقدر خاتم فهي التي قال الله ﴿ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم﴾.
". (١)

"وأخرج الفريابي ، وابن المنذر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : ﴿الريح العقيم﴾ النكباء.
وأخرج ابن جرير ، وابن المنذر وأبو الشيخ في العظمة عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه قال : ﴿الريح العقيم﴾ الجنوب.
وأخرج ابن جرير ، وابن المنذر عن مجاهد رضي الله عنه قال : ﴿الريح العقيم﴾ الصبا التي لا تلقح شيئا وفي قوله : ﴿كالرميم﴾ قال : الشيء الهالك.
وأخرج عبد الرزاق ، وابن جرير عن قتادة رضي الله عنه قال : ﴿الريح العقيم﴾ التي لا تنبت وفي قوله ﴿إلا جعلته كالرميم﴾ قال : كرميم الشجر.
وأخرج أحمد والترمذي والنسائي ، وابن ماجة ، وابن مردويه عن رجل من ربيعة قال : قدمت المدينة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت عنده وافد عاد فقلت : أعوذ بالله أن أكون مثل وافد عاد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما وافد عاد فقلت : على الخبير سقطت إن عادا لما أقحطت بعثت قيلا فنزل على بكر بن معاوية فسقاه الخمر وغنته الجرادتان ثم خرج يريد جبال مهرة فقال : اللهم إني لم آتك لمريض فأداويه ولا لأسير فأفاديه فاسق عبدك ما كنت." (٢)

"مسقيه واسق معه بكر بن معاوية يشكر له الخمر الذي سقاه فرفع له سحابات فقيل له : اختر إحداهن فاختار السوداء منهن فقيل له : خذها رمادا ومددا لا تذر من عاد أحدا وذكر أنه لم يرسل عليهم من الريح إلا قدر هذه الحلقة يعني حلقة الخاتم ثم قرأه ﴿وفي عاد إذ أرسلنا عليهم **الريح العقيم ما** تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم﴾.
وأخرج البيهقي في "سننه" عن قتادة رضي الله عنه في قوله ﴿وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين﴾ قال : ثلاثة أيام.
وأخرج عبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر عن مجاهد رضي الله عنه في قوله ﴿فعتوا﴾ قال : علوا

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٦٦٩/١٣
(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٦٧٠/١٣

وفي قوله ﴿فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون﴾ قال : فجأة.

وأخرج عبد الرزاق ، وابن جرير ، وابن المنذر عن مجاهد رضي الله عنه في قوله ﴿فعتوا﴾ قال : علوا وفي قوله ﴿فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون﴾ قال : فجأة.

وأخرج عبد الرزاق ، وابن جرير عن قتادة رضي الله عنه في قوله }فما استطاعوا من قيام﴾ قال : من نهوض.

وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج رضي الله عنه في قوله ﴿فما استطاعوا من قيام﴾ قال :." (١) "المال.

وأخرج الديلمي عن علي مرفوعا يكتب أنين المريض فإن كان صابرا كان أنينه حسنات وإن كان جزوعا كتب هلوعا لا أجر له.

أخرج عبد بن حميد ، وابن المنذر عن قتادة رضي الله عنه في قوله : ﴿إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون﴾ قال : ذكر لنا أن دانيال نعت أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال : يصلون صلاة لو صلاها قوم نوح ما أغرقوا أو عاد ما أرسلت عليهم الريح العقيم أو ثمود ما أخذتهم الصيحة ، قال قتادة : فعليكم بالصلاة فإنها خلق من خلق المؤمنين حسن.

وأخرج عبد بن حميد عن إبراهيم التيمي رضي الله عنه في قوله : ﴿الذين هم على صلاتهم دائمون﴾ قال : الصلاة المكتوبة.

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن ابن مسعود رضي الله عنه ﴿الذين هم على صلاتهم دائمون﴾ قال : على مواقيتها.

وأخرج عبد بن حميد عن مسروق رضي الله عنه مثله.

وأخرج ابن أبي شيبة ، وابن المنذر عن عمران بن حصين رضي الله عنه }الذين هم على." (٢)

"وأخرج عبد بن حميد عن عطاء بن يسار قال : لقيت رجلا من حمير كأنه علامة يقرأ الكتب فقلت له : الأرض التي نحن عليها ما سكانها قال : هي على صخرة خضراء تلك الصخرة على كف ملك ذلك الملك قائم على ظهر حوت منطو بالسموات والأرض من تحت العرش ، قلت : الأرض الثانية من سكانها قال : سكانها الريح العقيم لما أراد الله أن يهلك عادا أوحى إلى خزنتها أن افتحوا عليهم منها بابا ، قالوا : يا ربنا مثل منخر الثور قال : اذن تكفأ الأرض ومن عليها ، فضيق ذلك حتى جعل مثل حلقة الخاتم

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٦٧١/١٣

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٦٩٥/١٤

فبلغت ما حدث الله ، قلت : الأرض الثالة من ساكنها قال : فيها حجارة جهنم ، قلت : الأرض الرابعة من ساكنها قال : فيها كبريت جهنم ، قلت : الأرض الخامسة من ساكنها قال : فيها عقارب جهنم ، قلت : الأرض السادسة من ساكنها قال : فيها حيات جهنم ، قلت : الأرض السابعة من ساكنها قال : تلك سجين فيها إبليس موثق يد أمامه ويد خلفه ورجل خلفه ورجل أمامه ، كان يؤذي الملائكة فاستعدت عليه فسجن هناك وله زمان يرسل فيه فإذا أرسل لم تكن فتنة الناس بأعي عليهم من شيء.

وأخرج ابن المبارك عن ضمرة بن حبيب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الملائكة يرفعون أعمال العبد من عباد الله يستكثرونه ويزكونه حتى يبلغوا به حيث يشاء الله من سلطانه فيوحي الله إليهم أنكم حفظة على عبدي وأنا رقيب على ما في نفسه ، إن عبدي هذا لم يخلص لي عمله." (١)

" صفحة رقم ٧٨

لذلك ، فهو إخبار عن آخر أمره الذي أدت إليه عزيمته ، والآية مشيرة إلى ما اقتضته خلقته وغريزته وإن كان الجمع لكمال الوجود الإنساني بالنكاح أكمل كما وقع لنبينا (صلى الله عليه وسلم) ويقع لعيسى عليه السلام بعد نزوله) وقد) أي والحال أنه قد) بلغني الكبر (إلى حد لا يولد فيه عادة) وامرأتى عاقر (قال الحرالي : من العقر وهو البلوغ إلى حد انقطاع النسل هرما – انتهى ؛ كذا قال ، وآية سورة مريم تدل على أن المعنى أنها لم تزل عقيما ، وعليه يدل كلام أهل اللغة ، قال في القاموس في الراء : العقرة وتضم : **العقم** ، وقد عقرت كعنى فهي عاقر ، ورجل عاقر وعقير : لا يولد له ولد ، والعقرة كهمزة : خرزة تحملها المرأة لئلا تلد ، وقال في الملم : **العقم بالضم** : هزمة تقع في الرحم فلا تقبل الولد ، عقمت كفرح ونصر وكرم وعنى ، ورحم عقيم وامرأة عقيم ورجل عقيم : لا يولد له ، وقال ا لإمامان أبو عبد الله القزاز في ديوانه وعبد الحق في واعيه : والعقر بضم العين وسكون القاف مصدر العاقر من النساء وهي التي لا تحمل من غير داء ولا كبر ، يقال : الإمام أبو غالب (ابن التياني) في كتابه الموعب صاحب [تلقيح] العين : العقر مصدر العاقر من النساء وهي التي لا تحمل من غير داء ولا كبر ، لكن خلقة ، ثم قال وتعقرت : إذا ولدت ثم أمسكت – والله الموفق .

ثم وصل به قوله : (قال كذلك) أي مثل هذا الفعل الجليل البعيد الرتبة .

ولما كان استنباؤه عن القوة والكمال لا عن الخلق عبر سبحانه في تعليل ذلك بالفعل بخلاف ما يأتي في قصة مريم عليها السلام فقال : (الله يفعل ما يشاء (لأنه المحيط بكل شيء قدرة وعلما فكأنه قيل : قد

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٣٠٤/١٥

قرت عينه فا قال ؟ قيل) قال (إرادة تعجيل البشرى وتحقيق السراء : (رب اجعل لي آية) أي علامة أعلم بها ذلك) قال آيتك ألا تكلم الناس) أي لا تقدر على أن تكلمهم بكلام دنيوي) ثلاثة أيام (ولما كان الكلام يطلق على الفعل مجازا استثنى منه قوله : (إلا رمزا (لتخلص هذه المدة للذكر شكرا على النعمة فاحمد ربك على ذلك .

قال الحرالي : والرمز تلطف في الإفهام بإشارة تحرك طرف كاليد واللحظ والشفتين ونحوها ، والغمز أشد منه باليد ونحوها – انتهى .

فعدم الكلام مع صحة آلته دليل إيجاد المتكلم مع ضعف آلته إلى حد لا يتكون عنها عادة ، ولما كان الأتم في القدرة أن يحبس عن كلام دون آخر قال :." (١)

" صفحة رقم ١٩٣

) لسميع الدعاء) أي من شأنه إجابة على الوجه الأبلغ تعريضا بالأنداد وإشارة إلى ما تضمنه تأسفه على العقم ، فقد تقدم في سورة البقرة عن التوراة أنه لما خلص ابن أخيه لوطا من الأسر قال له الله : يا إبراهيم أنا أكانفك وأساعدك لأن ثوابك قد جزل ، فقال إبرم : اللهم ربي فقال له الرب : لا يرثك هذا ، بل ابنك الذي يخرج من صلبك فهو يرثك ، وقال له : انظر إلى السماء وأحص النجوم إن كنت تقدر أن تحصيها ، فكذلك تكون ذريتك ، فآمن إبرم بالله .

ولما تم الحمد على النعمة بعد الدعاء بالتخلي من منافي السعادة وختمه بالحمد على إجابة الدعاء ، انتهز الفرصةفي إتباعه الدعاء بالتحلي بحلية العبادة التي أخبر أنها قصده بإسكانه من ذريته قم إقامتها ، إشارة إلى صعوبتها على النفس إلا بمعونة الله فقال : (رب) أي أيها الموجد لي المالك لأمري) اجعلني مقيم الصلاة) أي هذا النوع الدال عىل غاية الخضوع ، دائم الإقامة لها ، وكأن الله تعالى أعلمه بأنه يكون من ذريته من يكفر فقال أدبا : (ومن ذريتي (.

ولما كانت أعظم الأركان بعد الإيمان ، أفراد الضمير للدعاء بها متملقا لله تعالى بما عليه من النعم التي لم ينعمها على أحد كان في ذلك الزمان غيره ، كما أشار إلى ذلك باسم الربن ثم زاد في التضرع بقوله : (ربنا) أي أيها المحسن إلينا ، وجمع الضمير المضاف إليه بالنظر إلى من تبعه من ذريته لأن ما بعده كلام آخر ، أي رب ورب من وفقته بتربيتك وإحسانك لإقامة لاصلاة من ذريتي) وتقبل دعاء (كله بذلك وغيره ، بأن تجعله مقبولا جعل من كأنه راغب فيه مفتن به .

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٧٨/٢

إبراهيم : (٤١ – ٤٦) ربنا اغفر لي. . . . .

) ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعي رءوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هوآء وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنآ أخرنآ إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال وسكنتم في مسكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال (( )

ولما كان الإنسان ولو اجتهد كل الاجتهاد – محل العجز الموجب للتقصير المفتقر للستر ، قال مشيرا إلى ذلك : (ربنا) أي أيها المالك لأمورنا المدبر لنا) اغفر لي (ثم." (١)

" صفحة رقم ٥٣٩

وحقق ما عزم عليه ؛ ثم بين سبحانه وتعالى تحقيق رجائه وإجابة دعائه فقال : (فلما اعتزلهم) أي بالهجرة إلى الأرض المقدسة) وما يعبدون) أي على الاستمرار) من دون الله (الجامع لجميع معاني العظمة التي لا ينبغي العبادة لغيره) وهبنا) أي على ما لنا من العظمة) له (كما هو الشأن في كل كن ترك شيئا لله) إسحاق (ولدا له لصلبه من زوجته **العاقر العقيم بعد** تجاوزها سن اليأس وأخذه هو في السن إلى حد لا يولد لمثله) ويعقوب (ولدا لإسحاق وخصهما بالذكر للزومهما محل إقامته وقيامهما بعد موته بخلافته فيه وأما إسماعيل عليه السلام فكان الله سبحانه هو المتولي لتربيته بعد نقله رضيعا إلى المسجد الحرام وإيحائه به تلك المشاعر العظام فأجروه بالذكر جاعلا له أصلا برأسه ؛ ثم صرح بما وهب لأولاده جزاء على هجرته فقال : (وكلا) أي منهما) جعلنا نبيا (عالي المقدار ، ويخبر بالإخبار كما جعلنا إبراهيم عليه السلام نبيا) ووهبنا لهم (كلهم) من رحمتنا) أي شيئا عظيما جدا ، بالبركة في الأموال والأولاد وإجابة الدعاء ، واللطف في القضاء وغير ذلك من خيري الدنيا والآخرة) وجعلنا لهم (بما لنا من العظمة) لسان صدق عليا) أي ذكرا صادقا رفيع القدر جدا يحمدون به ويثنى عليهم من جميع أهل الملل على كر الأعصار ، ومر الليل والنهار ، وعبر باللسان عما يوجد به ، وفي ذلك ترغيب في الهجرة ثانيا بعد ما رغب فيها بقصة أهل الكهف أولا ، وأشار إليها بقوله في) سبحان ( )) وقل رب أدخلني مدخل صدق ( ) [الإسراء : ٨٠] الآية .

مريم : (٥١ – ٥٥) واذكر في الكتاب. . . . .

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ١٩٣/٤

) واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا ووهبنا له من رحمتنآ أخاه هارون نبيا واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا (( )

ولما كان موسى أول من نوه الله بأسمائهم ، على لسانه في التوارة ، وأظهر محامدهم ، وشهر مناقبهم ، وتوارث ذلك أبناؤهم منه حتى شاع أمرهم وذاع ، وملأ الأسماع ، وطار في الأقطار ، حتى عم البراري والبحار ، عقب ذكرهم بذكره فقال : (واذكر في الكتاب) أي الذي لا كتاب مثله في الكمال) موسى) أي الذي أنقذ الله به بني إسرائيل من العبودية والذل ختى تمكنوا من آثار آبائهم ، وكان موافقا لأبيه إبراهيم عليهم السلام في أن كلا منهما أراد ملك زمانه الذي ادعى الربوبية قتله خوفا على ملكه منه ، فأنجاه الله منه ، وأمر موسى أعجب لأنه سبحانه أنجاه من الذبح بالذباح ، ثم علل ذكره له بقوله : (إنه كان) أي كونا عريقا فيه) مخلصا (لله تعالى في توحيده وجميع." (١)

" صفحة رقم ١٠٧

في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنهآ آية للعالمين) ٧٣

( ) ٧١

ولما كان حاصل أمر يونس عليه السلام أنه خرج من بطن لم يعهد الخروج من مثله ، عطف عليهه قصة زكريا عليه السلام في هبته له ولدا من بطن لم يعهد الحمل من مثله **في العقم واليأس** ناظرا إلى أبيه إبراهيم عليه السلام أول من ذكر تصريفه في أحاد العناصر فيما اتفق له من مثل ذلك في ابنه غسحاق عليه السلام تكريرا لإعلام القيامة وتقريرا للقدرة التامة فقال : (وزكريا) أي اذكره) إذ نادى ربه (نداء الحبيب القريب فقال : (رب (بإسقاط أداة البعد) لا تذرني فردا) أي من غير ولد يرث ما آيتتني من الحكمة .

ولما كان من الوارث من يحب من يحجبه من الإرث أو يشاركه فيه ، ومنهم من لا يحب ذلك ويسعى فب إهلاك من يحجبه أو ينقصه ، ومنهم من يأخذ الإرث فيصرفه في المصارف القبيحة على ما تدعوه إليه شهوته وحاجته ، ومنهم من يأخذه بعفة فينفذ وصايا الموروث ويصل ذا قرابته وأهل وده ، ويتصدق عنه ، ويبادر إلى كل ما كان يحبه وينفعه ، كل ذلك لغنى نفسه وكرم طبعه مع كونه مجبولا على الحاجة والنقص ، وكان الله هو الغني الحميد ، الحكيم المجد ، قال ملوحا بمقصده في أسلوب الإلهاب والتهييج : (

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٥٣٩/٤

وأنت) أي والحال أنك) خير الوارثين (لأنك أغناهم عن الإرث وأحسنهم تصرفا ، وكثيرا ما تمنح إرث بعض عبيدك عبيدا آخرين ، فأنت الحقيق بأن تفعل في إرثي من العلم والحكمة ما أحبه ، فتهبني ولدا تمن عليه بذلك) فاستجبنا له (بعظمتنا وإن كان في حد من السن لا حراك به معه وزوجه في حال من العقم لا يرجى معه حبلها ، فكيف وقد جاوزت سن اليأس ، ولذلك عبر بما يدل على العظمة فقال : (ووهبنا له يحيى (وارثا حكيما نبيا عظيما) وأصلحنا له (خاصة من بين أهل ذلك الزمان) زوجه) أي جعناها صالحة لكل خير ، خالصة له ولا سيما لما مننا عليه به من هذه الهبة بعد أن كانت بعقمها وكبرها غير صالحة له بوجه يقدر عليه غيرنا ؛ ثم استأنف البيان لخيرية ا لموروث والوارث والمصلحة للولادة فقال ، مؤكدا ترغيبا في مثل أحوالهم وأنها مما يلتذ بذكره ويعجب من أمره : (إنهم كانوا (مجبولين في أول ما خلقناهم جبلة خير ، مهيئين لأنهم) يسارعون في الخيرات) أي يبالغون في الإسراع بها مبالغة من يسابق آخر ، ودل على عظيم أفعالهم بقوله : (ويدعوننا (مستحضرين لجلالنا وعظمتنا وكمالنا) رغبا (في رحمتنا) ورهبا (من سطوتنا) وكانوا) أي جبلة وطبعا) لنا (خاصة) خاشعين (ي خائفين خوفا عظيما يحملهم على الخضوع والانكسار .." (١)

" صفحة رقم ٥٥٣

ولما كان التقدير : فأعززناه كما ظن بنا إعزازا أحكمناه حتى استمر في عقبه إلى القيامة ، عطف عليه قوله : (ووهبنا له) أي بجليل قدرتنا شكرا على هجرته) إسحاق (من زوجته سارة عليها السلام التي جمعت إلى العقم في شبابها اليأس بكبرها ، وعطفه لهبته له بالواو دليل على ماسيأتي إن شاء الله تعالى في الصافات من أن الذبيح إسماعيل عليه الصلاةوالسلام لتعقيبه للهبة هناك على الهجرة بالفاء) ويعقوب (منولده إسحاق عليهما الصلاة والسلام .

ولما كان السياق في هذه السورة للامتحان ، وكان إبراهيم عليه الصلاة والسلام قد ابتلي في إسماعيل عليه الصلاة والسلام بفراقه مع امه رضي الله عنهما ووضعهما في قضيعة من الأرض لا أنيس بها ، لم يذكره تصريحا في سياق الامتنان ، وأفرد إسحاق عليه الصلاة والسلام لأنه لم يبتل فيه بشيء من ذلك ، ولأن المنة به - لكون أمه عجوزا وعقيما - أكبر وأعظم لأنها أعجب ، وذكر إسماعيل عليه الصلاة والسلام تلويحا في قوله : (وجعلنا (اي بعزتنا وحكمتنا) في ذريته (من ولد إسحاق وإسماعيل عليهما الصلاةوالسلام) النبوة (فلم يكن بعده نبي أجنبي عنه ، ومتى صحت هذه المناسبة لزم قطعا ن يكون

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٥/١٠٧

الذبيح إسماعيل عليه الصلاة والسلام فإنه أعرى ذكر هذه السورة منه ، ويكون كأنه قيل : إنا بشرناه بما يسر به من إسحاق بعد أن أمرناه بما يضر من إسماعيل عليهما السلام فصبر في محنة الضراء ، وشكر في محنة السراء) والكتاب (فلم ينزل كتاب إلا على أولاده ، وأفرد ليدل – مع تناوله بالجنسية الكتب الأربعة – على أنه لا شيء يستحق أن يكتب إلا ما أنزل فيها ، أو كان راجعا إليه ، ولو جمع لم يفد عليه هذا المعنى) وآتيناه أجره (على هجرته) في الدنيا (بما خصصناه به مما لا يقدر عليه غيرنا من سعة الرزقن ورغد العيشن وكثرة الخدم ، والولد في الشيخوخة ، وكثرة ا‌ا‌نسل ، والثناء الحسنن والمحبة من جميع الخلق ، وغير ذلك .

ولما كان الكافر يعتقد – لإنكاره البعث – أنه نكد حياته بالهجرة نكدا لا تدارك له ، اقتضى الحال التأكيد في قوله : (وإنه في الآخرة) أي التي هي الدار وموضع الاستقرار) لمن الصالحين (الذين خصصناهم بالسعادة وجعلنا لهم الحسنى وزيادة .

العنكبوت : (٢٨ – ٣٢) ولوطا إذ قال. .. . .

) ولوطا إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين قال رب انصرني على القوم المفسدين ولما جآءت." (١)

" صفحة رقم ٦٤٩

التدبيرات الإلهية ، وترمي به في مهاوي الأسباب الدنيوية ، فيقع المسلم مع إسلامه في مضاهاة الكفار في كراهة البنات وفي وادي الوأد بتضييعهن أو التقصير في حقوقهن وتنبيها على أن الأنثى نعمة ، وأن نعمتها لا تنقص عن نعمة الذكر وربما زادت ، وإيقاظا من سنة الغفلة على أن التقديم وإن كان لما قدمته لا يقدم تأنيسا وتوصية لهن واهتماما بأمرهن ، نقل ابن مليق عن ابن عطية عن الثعلبي أن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال : من يمن المرأة تبكيرها بالأنثى قبل الذكر لأن الله تعالى بدأ بالإناث ، ولذلك رغب النبي (صلى الله عليه وسلم) في الإحسان إليهن في أحاديث كثيرة ورتب على ذلك أجرا كبيرا ولأجل تضمين الهبة مع الخلق عداها باللام مع أن فعلها متعد بنفسه إلى مفعولين لئلا يتوهم أن الولد كان لغير الوالد ووهبه الله له .

ولما كان الذكر حاضرا في الذهن لشرفه وميل النفس إليه لا سيما وقد ذكر به ذكر الإناث ، عرف لذلك

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٥٥٣/٥

وجبرا لما فوته من التقديم في الذكر تنبها على انه ما أخر إلا لما ذكر من المعنى فقال : (ويهب لمن يشاء الذكور) أي فقط ليس بينهن أنثى كما صنع لإبراهيم عليه السلام وهو عم لوط عليه السلام .

ولما فرغ من القسمين الأولين عطف عليهما قسيما لهما ودل على أنه قسم بأو فقال : (أو يزوجهم) أي الأولاء بجعلهم ازواجا لأأي صنفين حال كونهم) ذكرانا وإناثا (مجتمعين في بطن ومنفردين كما منح محمدا (صلى الله عليه وسلم) ، ورتبها هنا على الأصل تنبيها على أنه ما فعل غير ذلك فيما مضى إلا لنكت جليلة فيجب تطلبها ، وعبر في الذكر بما هو ابلغ في الكثرة ترغيبا في سؤاله ، والخضوع لديه رجاء نواله .

ولما فرغ من أقسام الموهوبين الثلاثة ، عطف على الإنعام بالهبة سلب ذلك ، فقال موضع أن يقال مثلا : ولا يهب شيئا من ذلك لمن يشاء : (ويجعل من يشاء عقيما) أي لا يولد له كيحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام – كذا قالوه ، والظاهر أنه لا يصح مثالا فإنه لم يتزوج ، قال ابن ميلق ، **وأصل العقيم اليبس** المانع من قابلية التأثر لما من شأنه أن يؤثر ، والداء العقام هو الذي لا يقبل البرء – انتهى .

فهذا الذي ذكر أصرح في المراد لأجل **ذكر العقم** ، وأدل على القدرة لأن شامل لمن له قوة الجماع والإنزال لئلا يظن أن عدم الولد لعدم تعاطي أسبابه ، وذكروا في هذا القسم عيسى عليه السلاة والسلام .

ولا يصح لأنه ورد أنه يتزوج بعد نزوله ويوله له ، وهذه القسمة الرباعية في الأصول كالقسمة الرباعية في الفروع ، بعضهم لا من ذكر ولا أنثى كآدم عليه الصلاة والسلام ، وبعضهم من ذكر فقط كحواء عليها السلام ، وبعضهم من أنثى فقط كعيسى عليه السلام وبعضهم من ذكر وأنثى وهو أغلب الناس ، فتمت الدلالة على أنه ما شاء." (١)

" صفحة رقم ١٤

كفر : (إن الإنسان) أي هذا النوع الذي هم بعضه) لكفور مبين) أي مبين الكفر في نفسه مناد عليها بالكفر بيانا لذلك لكل أحد هذا ما يقتضيه طبعه بما هو عليه من النقص بالشهوات والظهوظ ليبين فضل من حفظه الله بالعقل على من سواه من جميع المخلوقات بمجاهدته لعدو وهو بين جنبيه مع ظهور قدرة الله الباهرة بذلك .

ولما كان كأنه قيل إنكارا عليهم وتهكما بهم حيث لم يرضوا بأن جعلوا لمن إليه الجعل من عباده جزءا حتى جعلوه شر الجزئين الإناث ، وهم أشد الناس نفرة منهن : أوهل له ذلك الجزء الذي جعلتموه إناثا غيره قسرا

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٦٤٩/٦

بحيث لم يقدر أن ينفك عنه كما قدم في السورة التي قبله ن نفسه المقدس أنه يهب لمن يشاء إناثا ولا يقدر على التقصير عنهن بوجه ، عادله بقوله عائدا إلى الخطاب لأنه أعقد في التبكيت على اختيار الغي عن الصواب : (أم اتخذ) أي عالج هو نفسه فأخذ بعد المعالجة وهو خالق ا لخلق كلهم) مما يخلق) أي يجدد إبداعه في كل وقت كما اعترفتم) بنات (فلم يقدر بعد التكليف والتعب على غير البنات التي هي أبغض الجزئين إليكم ، ونكر لتخصيصهم اتخاذه ببعض هذا الصنف الذي شاركه فيه غيره ، وعطف على قوله (اتخذ) ليكون منفيا على أبلغ وجه لكونه في حيز الإنكار : (وأصفاكم (وهو السيد وأنتم عبيده) بالبنين) أي الجزء الأكمل لديكم المستحق لأن يكون دائما مستحضرا في الخاطر فلذلك عرفه ولأنهم ادعوا أن هذا النوع كله خاص بهم لم يشاركهم في شيء منه ، فكان هذا الكفر الثاني أعرق في المحال من الأول للزيادة على مطلق الحاجة بالسفه في أنه رضي بالدون الخسيس فلم يشاركهم في شيء من الأعلى ، بل جعل لهم ذلك خالصا صافيا عن أدنى ما يشوبه من كدر .

ولما كانت نسبة الولد إليه سبحانه مما لا ينبغي أن يخطر بالبال على حال من الأحوال .

وكانت نسبته على سبيل الحقيقة أبعد منها على طريق المثال بأن يقال : الملائكة عنده في العزة بمنزلة البنات عند الأب ، قال مرشدا إلى أن ما قالوه لو كان على قصد التمثيل في غاية القباحة فضلا عن أن يكون على التحقيق ، عائدا إلى الإعراض المؤذن بالمقت والإبعاد .

) وإذا) أي جعلوا ذلك والحال أنه إذا) بشر (من أي مبشر كان) أحدهم (أطلق عليه ذلك تنبيها على أنه مما يسر كالذكر سواء في أن كلا منهما ولد وتارة يسر وتارة يضر وهو نعمة من الخالق لأنه خير من العقم) بما ضرب (وعدل عن الوصف بالربوبية لأنه قد يدعى المشاركة في مطلق التربية إلى الوصف الدال على عموم الرحمة ، فتأمله بمجرده كاف في الزجر عن سوء قولهم فقال : (للرحمن) أي الذي لا نعمة على شيء من الخلق إلا وهو منه) مثلا) أي جعل له شبها وهو الأنثى ، وعبر به دونه أن يقول : بما جعل ، موضع (بما ضرب) تعليما للأدب." (١)

" صفحة رقم ٢٨٢

بهذه القرى في الدنيا من رفع الملائكة لهم في الهواء الذراري إلى عنان السماء وقلبهم وإتباعهم الحجارة المحرقة ، وغرمهم بالماء المناسب لفعلهم بنتنه وعدم نفعه ، وما ادخر لهم في الآخرة أعظم .

الذاريات : (٣٨ - ٤٦) وفي موسى إذ. .. . .

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٧/١٤

) وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين وقوم نوح من قبل إنهم كانوا قوما فاسقين (( )

ولما قدم سبحانه أحق القصص الدالة على قسمه وما أقسم عليه بما فيها من خفاء الأسباب مع وجودها ، ثم ما فيها من إنزال ما به الوعيد من السماء بالنار والماء الذي أشير إليه بالمقسمات ، مع الفرقة بين المسلم والمجرم ، أتبعها قصة من أيده بحاملات فيها مطر وبرد ونار مضطرمة ، كما مضى بيانه في الأعراف ، ثم بعد ذلك بريح فرقت البحر ونشفت أرضه ودخله فرعون والقبط ، وهو واذح الأمر في أنه سبب لهلاكهم وهم لا يشعرون به ، فقال عاطفا على المقدر في قصة إبراهيم عليه السلام أو الظاهر في) وفي الأرض (أو على (في) التي في قوله) وتركنا فيها آية للذين يخافون (وهذا أقرب من غيره وأولى : (وفي موسى) أي في قصته وأمره آية على ذلك عظيمة) إذ أرسلناه (بعظمتنا) إلى فرعون (الذي كان قد أساء إلى إبراهيم عليه السلام بعد عظيم إحسانهم إله وإلى جميع قومه بما أحس إليهم يوسف عليه السلام) بسلطان مبين) أي معجزات ظاهرة في نفسه منادية من شدة ظهورها بأنها معجزة ، فكان فيها دلالة واضحة على صدق وعيده ومع ذلك فلم ينفعهم علمها ولذلك سبب عنه وعقب به قوله : (فتولى) أي كلف نفسه الإعراض بعد ما دعاه علمها إلى الإقبال إليها ، وأشار إلى توليه بقوله : (بركنه) أي بسب ما يركن إليه من القوة في نفسه وبأعوانه وجنوده أو بجميع جنوده – كناية عن المبالغة في الإعراض ،) وقال (معلما بعجزه عما أتاه به وهو لا يشعر : (ساحر (ثم ناقض كمناقضتكم فقال بجهله عما يلزم على قوله : (أو مجنون) أي لاجترائه علي مع ما لي من عظيم الملك بمثل هذا الذي يدعو إليه ويتهدد عليه .

ولما وقعت التسلية بهذا للأولياء ، قال تعالى محذرا للأعداء : (فأخذناه) أي أخذ غضب وقهر بعظمتنا بما استدرجناه به وأوهناه به من العذاب الذي منه سحاب حامل ماء." (١)

" صفحة رقم ٢٨٣

وبردا ونارا وصواعق) وجنوده) أي كلهم) فنبذناهم) أي طرحناهم طرح مستهين بهم مستخف لهم كما تطرح الحصيات) في اليم) أي البحر الذي هو أهل لأن يقصد بعد أن سلطانا الريح فغرقته لما ضربه موسى عليه السلام بعصاه ونشفت أرضه ، فأيبست ما أبرزت فيه من الطرق لنجاة أوليائنا وهلاك أعدائنا)

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٢٨٢/٧

وهو) أي والحال أن فرعون) مليم) أي آت بما هو بالغ في استحقاقه الملامة ، ويجوز أن يكون حالا من) أليم (بمعنى أنه فعل بهم فعل اللائم من ألامه – إذا بالغ في عذله ، وصار ذا لائمة أي لهم ، فعل المصلحين في إنجاء الأولياء وإغراق الأعداء بالالتئام والانطباق عليهم ، قال في القاموس : اللوم العدل ، لام لوما وألامه ولومه للمبالغة ، وألام : أتى ما يلام عليه أو صار ذا لائمة ، ولأمه بالهمز كمنعه ، نسبه إلى اللوم ، والسهم : أصلحه كألامه ولأمه فالتأم ، ولا يضر يونس عليه السلام أن يعبر في حقه بنحو هذه العبارة ، فإن أسباب اللوم تختلف كما أن أسباب المعاصي تختلف في قوله

٧٧ ( ) وعصوا رسله ( ) ٧

[هود : ٥٩]

٧٧ ( ) وعصى آدم ربه ( ) ٧

[طه : ١٢١] وبحسب ذلك يكون اختلاف نفس اللوام ونفس المعاصي .

ولما أتم قصة من جمع له السحاب والماء والنار والريح ، أتبعها قصة من أتاهم بريح ذارية لم يوجد قط مثلها ، وكان أصلها موجودا بين ظهرانيهم وهم لا يشعرون ، بل قاربت الوصول إليهم وهم يظنونها مما ينفعهم : (وفي عاد) أي آية عظيمة) إذ) أي حين) أرسلنا (بعظمتنا) عليهم (إرسال علو وأخذ) الريح (فأتتهم تحمل سحابة سوداء وهي تذروا الرمل وترمي بالحجارة على كيفية لا تطاق) العقيم) أي التي لا ثمرة لها فلا تلقح شجرا ولا تنشيء سحابا ولا تحمل مطرا ولا رحمة فيها ولا بركة فلذلك أهلكهم هلاك الاستئصال ، ثم بين عقمها وإعقامها بقوله : (ما تذر) أي تترك على حال ردية ، وأعرق في النفي فقال : (من شيء (ولما كان إهلاكها إنما هو بالفاعل المختار ، نبه على ذلك بأداة الاستعلاء فقال : (أتت عليه) أي إتيان إرادة مرسلها ، استعلاها على ظاهره وباطنه ، وأما من أريدت رحمته كهود عليه السلام ومن معه رضي الله عنهم فكان لهم روحا وراحة لا عليهم) إلا جعلته كالرميم) أي الشيء البالي الذي ذهلته الأيام والليالي ، فصيره البلى إلى حالة الرماد ، وهو في كلامهم ما يبس من نبات الأرض ودثر – قاله ابن جريج ، وخرج بالتعبير ب (تذر) هود عليه السلام ومن معه من المؤمنين رضي الله عنهم أجمعين ، فإنهم تركتهم على حالة حسنة لم يمسهم منها سوء كما أشير إلى مثل ذلك بأداة الاستعلاء .." (١)

"﴿ أَوَ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ ﴾ أي: كيف تعجبون من أمر لا يتعجب منه، وهو أن اللّه أرسل إليكم رجلا منكم تعرفون أمره، يذكركم بما فيه مصالحكم، ويحثكم على ما

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٢٨٣/٧

فيه النفع لكم، فتعجبتم من ذلك تعجب المنكرين.

﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ أي: واحمدوا ربكم واشكروه، إذ مكن لكم في الأرض، وجعلكم تخلفون الأمم الهالكة الذين كذبوا الرسل، فأهلكهم اللّه وأبقاكم، لينظر كيف تعملون، واحذروا أن تقيموا على التكذيب كما أقاموا، فيصيبكم ما أصابهم، ﴿ و ﴾ اذكروا نعمة اللّه عليكم التي خصكم بها، وهي أن ﴿ زَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً ﴾ في القوة وكبر الأجسام، وشدة البطش، ﴿ فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ ﴾ أي: نعمه الواسعة، وأياديه المتكررة ﴿ لَعَلَّكُمْ ﴾ إذا ذكرتموها بشكرها وأداء حقها ﴿ تُفْلِحُونَ ﴾ أي: تفوزون بالمطلوب، وتنجون من المرهوب، فوعظهم وذكرهم، وأمرهم بالتوحيد، وذكر لهم وصف نفسه، وأنه ناصح أمين، وحذرهم أن يأخذهم اللّه كما أخذ من قبلهم، وذكرهم نعم اللّه عليهم وإدرار الأرزاق إليهم، فلم ينقادوا ولا استجابوا.

ف ﴿ قَالُوا ﴾ متعجبين من دعوته، ومخبرين له أنهم من المحال أن يطيعوه: ﴿ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾ قبحهم اللّه، جعلوا الأمر الذي هو أوجب الواجبات وأكمل الأمور، من الأمور التي لا يعارضون بها ما وجدوا عليه آباءهم، فقدموا ما عليه الآباء الضالون من الشرك وعبادة الأصنام، على ما دعت إليه الرسل من توحيد اللّه وحده لا شريك له، وكذبوا نبيهم، وقالوا: ﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ وهذا استفتاح منهم على أنفسهم.

فقَالَ لهم هود عليه السلام: ﴿ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ﴾ أي: لا بد من وقوعه، فإنه قد انعقدت أسبابه، وحان وقت الهلاك.

﴿ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ ﴾ أي: كيف تجادلون على أمور، لا حقائق لها، وعلى أصنام سميتموها آلهة، وهي لا شيء من الآلهة فيها، ولا مثقال ذرة و ﴿ مَا أَنزلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ فإنها لو كانت صحيحة لأنزل اللّه بها سلطانا، فعدم إنزاله له دليل على بطلانها، فإنه ما من مطلوب ومقصود - وخصوصا الأمور الكبار - إلا وقد بين اللّه فيها من الحجج، ما يدل عليها، ومن السلطان، ما لا تخفى معه.

﴿ فَانْتَظِرُوا ﴾ ما يقع بكم من العقاب، الذي وعدتكم به ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴾ وفرق بين الانتظارين، انتظار من يخشى وقوع العقاب، ومن يرجو من اللّه النصر والثواب، ولهذا فتح اللّه بين الفريقين فقال:

﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ ﴾ أي: هودا ﴿ والَّذِينَ ﴾ آمنوا ﴿ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا ﴾ فإنه الذي هداهم للإيمان، وجعل

إيمانهم سببا ينالون به رحمته فأنجاهم برحمته، ﴿ وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ أي: استأصلناهم بالعذاب الشديد الذي لم يبق منهم أحدا، وسلط اللّه عليهم الريح العقيم، ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم، فأهلكوا فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم، فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الذين أقيمت عليهم الحجج، فلم ينقادوا لها، وأمروا بالإيمان فلم يؤمنوا فكان عاقبتهم الهلاك، والخزي والفضيحة.

﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾ .

وقال هنا ﴿ وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ بوجه من الوجوه، بل وصفهم التكذيب والعناد، ونعتهم الكبر والفساد.." (١)

"﴿ إِنْ نَقُولُ ﴾ فيك ﴿ إِلا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ﴾ أي: أصابتك بخبال وجنون، فصرت تهذي بما لا يعقل. فسبحان من طبع على قلوب الظالمين، كيف جعلوا أصدق الخلق الذي جاء بأحق الحق، بهذه المرتبة، التي يستحي العاقل من حكايتها عنهم لولا أن الله حكاها عنهم.

ولهذا بين هود، عليه الصلاة والسلام، أنه واثق غاية الوثوق، أنه لا يصيبه منهم، ولا من آلهتهم أذى، فقال: ﴿ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ﴾ أي اطلبوا لي الضرر كلكم بكل طريق تتمكنون بها مني ﴿ ثُمَّ لا تُنْظِرُونِ ﴾ أي لا تمهلوني

﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ ﴾ أي اعتمدت في أمري كله على الله ﴿ رَبِّي وَرَبِّكُمْ ﴾ أي هو خالق الجميع ومدبرنا وإياكم وهو الذي ربانا

﴿ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ﴾ فلا تتحرك ولا تسكن إلا بإذنه فلو اجتمعتم جميعا على الإيقاع بي والله لم يسلطكم علي لم تقدروا على ذلك فإن سلطكم فلحكمة أرادها

ف ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ أي على عدل وقسط وحكمة وحمد في قضائه وقدره في شرعه وأمره وفي جزائه وثوابه وعقابه لا تخرج أفعاله عن الصراط المستقيم التي يحمد ويثنى عليه بها

﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ عما دعوتكم إليه ﴿ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ﴾ فلم يبق عليَّ تبعة من شأنكم

﴿ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ يقومون بعبادته ولا يشركون به شيئا ﴿ وَلا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا ﴾ فإن ضرركم إنما يعود عليكم فالله لا تضره معصية العاصين ولا تنفعه طاعة المطيعين ﴿ من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ﴾ ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾

﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا ﴾ أي عذابنا بإرسال **الريح العقيم التي** ﴿ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ

---

(١) تفسير السعدي، ص/٢٩٤

﴾
﴿ نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ أي عظيم شديد أحله الله بعاد فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم

﴿ وَتِلْكَ عَادٌ ﴾ الذين أوقع الله بهم ما أوقع بظلم منهم لأنهم ﴿ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ ﴾ ولهذا قالوا لهود ﴿ ما جئتنا ببينة ﴾ فتبين بهذا أنهم متيقنون لدعوته وإنما عاندوا وجحدوا ﴿ وَعَصَوْا رُسُلَهُ ﴾ لأن من عصى رسولا فقد عصى جميع المرسلين لأن دعوتهم واحدة

﴿ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ ﴾ أي متسلط على عباد الله بالجبروت ﴿ عنيد ﴾ أي معاند لآيات الله فعصوا كل ناصح ومشفق عليهم واتبعوا كل غاش لهم يريد إهلاكهم لا جرم أهلكهم الله

﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ﴾ فكل وقت وجيل إلا ولأنبائهم القبيحة وأخبارهم الشنيعة ذكر يذكرون به وذم يلحقهم ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ لهم أيضا لعنة ﴿ أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ﴾ أي جحدوا من خلقهم ورزقهم ورباهم ﴿ أَلا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾ أي أبعدهم الله عن كل خير وقربهم من كل شر." (١)

"﴿ ٤٢ - ٤٦ ﴾ ﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ * وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ * وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ * فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ * أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ .

يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وإن يكذبك هؤلاء المشركون فلست بأول رسول كذب، وليسوا بأول أمة كذبت رسولها ﴿ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ * وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ * وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ ﴾ أي: قوم شعيب.

﴿ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ﴾ المكذبين، فلم أعاجلهم بالعقوبة، بل أمهلتهم، حتى استمروا في طغيانهم يعمهون، وفي كفرهم [ص ٥٤١] وشرهم يزدادون، ﴿ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ﴾ بالعذاب أخذ عزيز مقتدر ﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ أي: إنكاري عليهم كفرهم، وتكذيبهم كيف حاله، كان أشد العقوبات، وأفظع المثلات، فمنهم من أغرقه، ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من أهلك بالريح العقيم، ومنهم من خسف به الأرض، ومنهم من أرسل عليه عذاب يوم الظلة، فليعتبر بهم هؤلاء المكذبون، أن يصيبهم ما أصابهم، فإنهم ليسوا خيرا منهم، ولا كتب لهم براءة في الكتب المنزلة من الله، وكم من المعذبين المهلكين أمثال هؤلاء

(١) تفسير السعدي، ص/٣٨٤

كثير، ولهذا قال: ﴿ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ ﴾ أي: وكم من قرية ﴿ أَهْلَكْنَاهَا ﴾ بالعذاب الشديد، والخزي الدنيوي، ﴿ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ﴾ بكفرها بالله وتكذيبها لرسله، لم يكن عقوبتنا لها ظلما منا، ﴿ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾ أي: فديارهم متهدمة، قصورها، وجدرانها، قد سقطت عروشها، فأصبحت خرابا بعد أن كانت عامرة، وموحشة بعد أن كانت آهلة بأهلها آنسة، ﴿ وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴾ أي: وكم من بئر، قد كان يزدحم عليه الخلق، لشربهم، وشرب مواشيهم، ففقد أهله، وعدم منه الوارد والصادر، وكم من قصر، تعب عليه أهله، فشيدوه، ورفعوه، وحصنوه، وزخرفوه، فحين جاءهم أمر الله، لم يغن عنهم شيئا، وأصبح خاليا من أهله، قد صاروا عبرة لمن اعتبر، ومثالا لمن فكر ونظر.

ولهذا دعا الله عباده إلى السير في الأرض، لينظروا، ويعتبروا فقال: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ ﴾ بأبدانهم وقلوبهم ﴿ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ آيات الله ويتأملون بها مواقع عبره، ﴿ أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ أخبار الأمم الماضين، وأنباء القرون المعذبين، وإلا فمجرد نظر العين، وسماع الأذن، وسير البدن الخالي من التفكر والاعتبار، غير مفيد، ولا موصل إلى المطلوب، ولهذا قال: ﴿ فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ أي: هذا العمى الضار في الدين، عمى القلب عن الحق، حتى لا يشاهده كما لا يشاهد الأعمى المرئيات، وأما عمى البصر، فغايته بلغة، ومنفعة دنيوية.." (١)

"﴿ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ * فَكُلا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ .

وكذلك قارون، وفرعون، وهامان، حين بعث اللّه إليهم موسى بن عمران، بالآيات البينات، والبراهين الساطعات، فلم ينقادوا، واستكبروا في الأرض، [على عباد اللّه فأذلوهم، وعلى الحق فردوه فلم يقدروا على النجاء حين نزلت بهم العقوبة] ﴿ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴾ اللّه، ولا فائتين، بل سلموا واستسلموا.

﴿ فَكُلا ﴾ من هؤلاء الأمم المكذبة ﴿ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ ﴾ على قدره، وبعقوبة مناسبة له، ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا ﴾ أي: عذابا يحصبهم، كقوم عاد، حين أرسل اللّه عليهم الريح العقيم، و ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ ﴾ كقوم صالح، ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ ﴾ كقارون، ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا ﴾ كفرعون وهامان وجنودهما.

---

(١) تفسير السعدي، ص/٥٤٠

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ ﴾ أي: ما ينبغي ولا يليق به تعالى أن يظلمهم لكمال عدله، وغناه التام عن جميع الخلق. ﴿ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ منعوها حقها التي هي بصدده، فإنها مخلوقة لعبادة اللّه وحده، فهؤلاء وضعوها في غير موضعها، وأشغلوها بالشهوات والمعاصي، فضروها غاية الضرر، من حيث ظنوا أنهم ينفعونها.." (١)

"﴿ ٤٣ - ٤٥ ﴾ ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ مُبِينٌ * وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ * وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ .

يخبر تعالى عن حالة المشركين، عندما تتلى عليهم آيات اللّه البينات، وحججه الظاهرات، وبراهينه القاطعات، الدالة على كل خير، الناهية عن كل شر، التي هي أعظم نعمة جاءتهم، ومِنَّةٍ وصلت إليهم، الموجبة لمقابلتها بالإيمان والتصديق، والانقياد، والتسليم، أنهم يقابلونها بضد م، ينبغي، ويكذبون من جاءهم بها ويقولون: ﴿ مَا هَذَا إِلا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ ﴾ أي: هذا قصده، حين يأمركم بالإخلاص للّه، لتتركوا عوائد آبائكم، الذين تعظمون وتمشون خلفهم، فردوا الحق، بقول الضالين، ولم يوردوا (١) برهانا، ولا شبهة.

فأي شبهة إذا أمرت الرسل بعض الضالين، باتباع الحق، فادَّعوا أن إخوانهم، الذين على طريقتهم، لم يزالوا عليه؟ وهذه السفاهة، ورد الحق، بأقوال الضالين، إذا تأملت كل حق رد، فإذا هذا مآله لا يرد إلا بأقوال الضالين من المشركين، والدهريين، والفلاسفة، والصابئين، والملحدين في دين اللّه، المارقين، فهم أسوة كل من رد الحق إلى يوم القيامة.

ولما احتجوا بفعل آبائهم، وجعلوها دافعة لما جاءت به الرسل، طعنوا بعد هذا بالحق، ﴿ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلا إِفْكٌ مُفْتَرًى ﴾ أي: كذب افتراه هذا الرجل، الذي جاء به. ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ أي: سحر ظاهر بيِّن لكل أحد، تكذيبا بالحق، وترويجا على السفهاء.

ولما بيَّن ما ردوا به الحق، وأنها أقوال دون مرتبة الشبهة، فضلا أن تكون حجة، ذكر أنهم وإن أراد أحد أن يحتج لهم، فإنهم لا مستند لهم، ولا لهم شيء يعتمدون عليه أصلا فقال: ﴿ وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ﴾ حتى تكون عمدة لهم ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴾ حتى يكون عندهم من أقواله وأحواله، ما

---

(١) تفسير السعدي، ص/٦٣١

يدفعون به، ما جئتهم به، فليس عندهم علم، ولا أثارة من علم.

ثم خوفهم ما فعل بالأمم المكذبين [قبلهم] فقال: ﴿ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا ﴾ أي: ما بلغ هؤلاء المخاطبون ﴿ مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ ﴾ ﴿ فَكَذَّبُوا ﴾ أي: الأمم الذين من قبلهم ﴿ رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ أي: إنكاري عليهم، وعقوبتي إياهم. قد أعلمنا ما فعل بهم من النكال، وأن منهم من أغرقه، ومنهم من أهلكه بالريح العقيم، وبالصيحة، وبالرجفة، وبالخسف بالأرض، وبإرسال الحاصب من السماء، فاحذروا يا هؤلاء المكذبون، أن تدوموا على التكذيب، فيأخذكم كما أخذ من قبلكم، ويصيبكم ما أصابهم.

(١) كذا في ب، وفي أ: ولم يردوا.." (١)

"﴿ ٤١-٤٢ ﴾ ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ **الرِّيحَ الْعَقِيمَ** * مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴾ .

أي ﴿ وفي عَادٍ ﴾ القبيلة المعروفة آية عظيمة (١) ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ **الرِّيحَ الْعَقِيمَ** ﴾ أي: التي لا خير فيها، حين كذبوا نبيهم هودا عليه السلام.

﴿ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴾ أي: كالرميم البالية، فالذي أهلكهم على قوتهم وبطشهم، دليل على [كمال] قوته واقتداره، الذي لا يعجزه شيء، المنتقم ممن عصاه.

(١) في ب: تقديم وتأخير في هذا الكلام.." (٢)

"ومن جمع الريح في هذه الآية فهو أسعد وذلك أن الرياح حيث وقعت في القرآن فهي مقترنة بالرحمة كقوله " ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات " وقوله " وأرسلنا الرياح لواقح " وقوله " الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا " وأكثر ذكر الريح مفردة إنما هو بقرينة عذاب كقوله " وفي عاد إذ أرسلنا عليهم **الريح العقيم** " وقوله " وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية " وقوله " بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها " نحا هذا المنحى يحيى بن يعمر وأبو عمرو بن العلاء وعاصم وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا هبت الريح يقول (اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا)

قال القاضي أبو محمد والمعنى في هذا كله بين وذلك أن ريح السقيا والمطر أنها هي منتشرة لينة تجيء

(١) تفسير السعدي، ص/٦٨٢

(٢) تفسير السعدي، ص/٨١١

من هاهنا وتتفرق فيحسن من حيث هي منفصلة الأجزاء متغايرة المهب يسيرا أن يقال لها رياح وتوصف بالكثرة ريح

الصر والعذاب عاصفة صرصر جسد واحد شديدة المر مهلكة بقوتها وبما تحمله أحيانا من الصر المحرق فيحسن من حيث هي شديدة الاتصال أن تسمى ريحا مفردة وكذلك أفردت الريح في قوله تعالى " وجرين بهم بريح طيبة " من حيث جري السفن إنما جرت بريح متصلة كأنها شيء واحد فأفردت لذلك ووصفت بالطيب إزالة الاشتراك بينها وبين الريح المكروهة وكذلك ريح سليمان عليه السلام إنما كانت تجري بأمره أو تعصف في حقوله وهي متصلة وبعد فمن قرأ في هذه الآية الريح بالإفراد فإنما يريد به اسم الجنس وأيضا فتقييدها ب نشر يزيل الاشتراك

والإرسال في الريح هو بمعنى والإجراء والإطلاق والإسالة ومنه الحديث فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة والريح تجمع في القليل أرواح وفي الكثير رياح لأن العين من الريح واو انقلبت في الواحد ياء للكسر الذي قبلها وكذلك في الجمع الكثير وصحت في القليل لأنه لا شيء فيه يوجب الإعلال وأما نشرا بضم النون والشين فيحتمل أن يكون جمع ناشر على النسب أي ذات نشر من الطي أو نشور من الحياة ويحتمل نشرا أن يكون جمع نشور بفتح النون وضم الشين كرسول ورسل وصبور وصبر وشكور وشكر ويحتمل نشرا أن يكون كالمفعول بمعنى منشور

٤١٣

كركوب بمعنى مركوب ويحتمل أن يكون من أبنية اسم الفاعل لأنها تنشر الحساب وأما مثال الأول في قولنا ناشر ونشر فشاهد وشهد ونازل ونزل كما قال الشاعر

(أو تنزلون فإنا معشر نزل

) وقاتل وقتل ومنه قول الأعشى

(إنا لمثلكم يا قومنا قتل

) " البسيط "

." (١)

"المرية الشك والضمير في قوله " منه " قالت فرقة هو عائد على القرآن وقالت فرقة على محمد عليه السلام وقالت فرقة على ما " ألقى الشيطان " وقال سعيد بن جبير أيضا على سجود النبي صلى الله عليه

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٤٧٩/٢

وسلم في سورة النجم و " الساعة " قالت فرقة أراد يوم القيامة واليوم العقيم يوم بدر وقالت فرقة " الساعة " موتهم أو قتلهم في الدنيا كيوم بدر ونحوه واليوم العقيم يوم القيامة ع وهذان القولان جيدان لأنهما أحرزا التقسيم ب " أو " ومن جعل " الساعة " واليوم العقيم يوم القيامة فقد أفسد رتبة " أو " وسمي يوم القيامة أو يوم الاستئصال عقيما لأنه لا ليلة بعده ولا يوم والأيام كأنها نتائج لمجيء واحد إثر واحد فكأن آخر يوم قد عقم وهذه استعارة وجملة هذه الآية توعد وقوله " الملك يومئذ لله " السابق منه أنه في يوم القيامة من حيث لا ملك فيه لأحد من ملوك الدنيا ويجوز أن يريد به يوم بدر ونحوه من حيث ينفذ فيه قضاء الله وحده ويبطل ما سواه ويمصي حكمه فيمن اراد تعذيبه فأما من تأوله في يوم القيامة فاتسق له قوله " فالذين آمنوا " إلى قوله " مهين " ومن تأوله في يوم بدر ونحوه جعل قوله " فالذين آمنوا " ابتداء خبر عن حالهم المتركبة على حالهم في ذلك اليوم العقيم من الإيمان والكفر وقوله " والذين هاجروا في سبيل الله " الآية ابتداء معنى آخر وذلك أنه لما مات بالمدينة عثمان بن مظعون وأبو سلمة بن عبد الأسد قال بعض الناس من قتل من المهاجرين أفضل ممن مات حتف أنفه فنزلت هذه الآية مسوية بينهم في ان الله تعالى يرزق جميعهم " رزقا حسنا " وليس هذا بقاض بتساويهم في الفضل وظاهر الشريعة أن المقتول أفضل وقال بعض الناس المقتول والميت في سبيل الله شهيدان ولكن للمقتول مزية ما أصابه في ذات الله والرزق الحسن يحتمل أن يريد به رزق الشهداء عند ربهم في البرزخ ويحتمل أن يريد بعد يوم القيامة في الجنة وقرأت فرقة مدخلا بضم الميم من أدخل فهو محمول على

الفعل المذكور وقرأت فرقة مدخلا بفتح الميم من دخل فهو محمول على فعل مقدر تقديره فيدخلون مدخلا وأسند الطبري عن سلامان بن عامر قال كان فضالة برودس أميرا على الأرباع فخرج بجنازتي رجلين أحدهما قتيل والآخر متوفي فرأى ميل الناس مع جنازة القتيل فقال أراكم أيها الناس تميلون مع القتيل وتفضلونه فوالذي نفسي بيده ما أبالي من اي حفرتيهما بعثت اقرؤوا قول الله تعالى " والذين هاجروا في سبيل الله " الآية إلى قوله " حليم " وقوله تعالى " ذلك " إلى قوله " الكبير " المعنى الأمر ذلك ثم أخبر تعالى عمن عاقب من المؤمنين من ظلمه من الكفرة ووعد المبغي

١٣١

". (١)

---

(١) المحرر الوجيز . ، ١٦١/٤

"ويحتمل ان يكون
والمعنى " وتركنا " في امرها كما قال " لقد كان في يوسف " يوسف٧ وقال ابن جريج ترك فيها حجرا منضودا كثيرا جدا
و " للذين يخافون العذاب " هم العارفون بالله تعالى
وقوله تعالى " وفي موسى " يحتمل ان يكون عطفا على قوله " فيها " اي وتركنا في موسى
وقصته أثرا أيضا هو آية
ويحتمل ان يكون عطفا على قوله قيل " وفي الأرض آيات " الذرايات٢٠ " وفي موسى " و " فرعون " هو صاحب مصر
والسلطان في هذه الآية الحجة و " تولى " معناه فأعرض وأدبر عن امر الله و " بركنه " بسلطانه وجنده وشدة أمره
وهو الأمر الذي يركن فرعون اليه ويسند في
١٨٠
شدائده
قال ابن زيد " بركنه " بجموعه قال قتادة بقومه وقول فرعون في موسى " ساحر او مجنون " هو تقسيم ظن أن موسى لا بد ان يكون أحد هذين
وقال أبو عبيدة " او " هنا بمعنى الواو
واستشهد ببيت جرير
(أثعلبة الفوارس او رياحا
عدلت بهم طهية والخشابا) " الوافر " والخشاب بيوت في بني تميم وقول أبي عبيدة ضعيف لا داعية اليه في هذا الموضع
و " نبذناهم " معناه طرحناهم و " اليم " البحر وفي مصحف ابن مسعود (فنبذناه) و (المليم) الذي اتى من المعاصي ونحوها ما يلام عليه وقال أمية بن أبي الصلت
(ومن يخذل أخاه فقد ألاما
) " الوافر "
وقوله " وفي عاد " عطف على قوله " وفي موسى " و (عاد) هي قبيلة هود النبي عليه السلام

و " **العقيم** " التي لا بركة فيها ولا تلقح شجرا ولا تسوق مطرا

وقال سعيد بن المسيب كانت ريح الجنوب

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه قال كانت نكباء

وهذا عندي لا يصح عن علي رضي الله عنه لأنه مردود بقوله صلى الله عليه وسلم (نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور) و : " تذر " معناه تدع وقوله تعالى " من شيء أتت عليه " يعني مما أذن لها في إهلاكه و " الرميم " الفاني المتقطع يبسا او قدما من الأشجار والورق والحبال والعظام ومنه قوله تعالى " من يحيى العظام وهي رميم " يس ٧٨ أي في قوام الرمال وروي ان تلك الريح كانت تهب على الناس فيهم العادي وغيره فتنتزع العادي من بين الناس وتذهب به

وقوله تعالى " وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين " يحتمل ان يريد إذ قيل لهم في أول بعث صالح آمنوا وأطيعوا فتمتعوا متاعا حسنا الى آجالكم وهو الحين على هذا التاويل وهو قول الحسن حكاه عن الرماني ويجيء قوله تعالى " فعتوا " مرتبا لفظا في الآية ومعنى في الوجود متأخرا عن القول لهم " تمتعوا " ويحتمل أن يريد إذ قيل لهم بعد عقر الناقة " تمتعوا " في داركم ثلاثة وهي الحين على هذا التأويل وهو قول ". (١)

" صفحة رقم ٣٧

) ولا يزال الذين كفروا في مرية منه (يعني في شك) منه (من القرآن) حتى تأتيهم الساعة بغتة (فيه وجهان :

أحدهما : ساعة القيامة على من يقوم عليه من المشركين ، قاله الحسن .

الثاني : ساعة موتهم .

) أو يأتيهم عذاب يوم عقيم (فيه قولان :

أحدهما : يوم القيامة ، قاله عكرمة ، والضحاك .

الثاني : يوم بدر ، قاله مجاهد ، وقتادة .

وفي العقيم وجهان :

أحدهما : أنه الشديد ، قاله الحسن .

الثاني : أنه الذي ليس له مثيل ولا عديل ، قال يحيى بن سلام : لقتال الملائكة فيه .

---

(١) المحرر الوجيز . ، ١٦٢/٥

ويحتمل ثالثا : أن **يكون العقيم هو** الذي يجدب الأرض ويقطع النسل .

(الحج : (٥٨ - ٦٠) والذين هاجروا في . . . . .

" والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم حليم ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله إن الله لعفو غفور " (قوله تعالى :) ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به (الآية ، فيها قولان :

أحدهما : أنها نزلت في قوم من مشركي قريش لقوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فحملوا عليهم فناشدهم المسلمون ألا يقاتلوهم في الشهر الحرام فأبوا فأظفر الله المسلمين فنزل ذلك فيهم ، حكاه النقاش .

الثاني : أنها في قوم من المشركين مثلوا بقوم من المسلمين قتلوهم يوم أحد فعاقبهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بمثله فنزل ذلك فيهم ، حكاه ابن عيسى . ونصر الله في." (١)

" صفحة رقم ٣٧٢

عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم وفي عاد إذ أرسلنا عليهم **الريح العقيم ما** تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين وقوم نوح من قبل إنهم كانوا قوما فاسقين " ( ) فتولى (يعني فرعون ، وفي توليه وجهان

: أحدهما : أدبر .

الثاني : أقبل ، وهو من الأضداد .

) بركنه (فيه أربعة أوجه

: أحدها : بجموعه وأجناده ، قاله ابن زيد .

الثاني : بقوته ، قاله ابن عباس ، ومنه قول عنترة :

فما أوهى مراس الحرب ركني

ولكن ما تقادم من زماني .

---

(١) النكت والعيون . ، ٤/ ٣٧

الثالث : بجانبه ، قاله الأخفش .

الرابع : بميله عن الحق وعناده بالكفر ، قاله مقاتل .

ويحتمل خامسا بماله لأنه يركن إليه ويتقوى به .

) وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم (فيه أربعة أقاويل :

أحدها : أن العقيم هي الريح التي لا تلقح ، قاله ابن عباس .

الثاني : هي التي لا تنبث ، قاله قتادة .

الثالث : هي التي ليس فيها رحمة ، قاله مجاهد .." (١)

" صفحة رقم ٣٧٣

الرابع : هي التي ليس فيها منفعة ، قاله ابن عباس .

وفي الريح التي هي عقيم ثلاثة أقاويل :

أحدها : الجنوب ، روى ابن أبي ذئب عن الحارث بن عبد الرحمن أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : (الريح العقيم الجنوب) . الثاني الدبور ، قاله مقاتل . قال عليه السلام : (نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور) الثالث : هي ريح الصبا ، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد

.) إلا جعلته كالرميم (فيه أربعة أوجه

: أحدها : أن الرميم التراب ، قاله السدي .

الثاني : أنه الذي ديس من يابس النبات ، وهذا معنى قول قتادة .

الثالث أن الرميم : الرماد ، قاله قطرب .

الرابع : أنه الشيء البالي الهالك ، قاله مجاهد ، ومنه قول الشاعر :

تركتني حين كف الدهر من بصري

وإذ بقيت كعظم الرمة البالي

(الذاريات : (٤٧ - ٥١) والسماء بنيناها بأيد . . . . . .

" والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون والأرض فرشناه ا فنعم الماهدون ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله إلها آخر إني لكم منه نذير مبين " ( )

والسمآء بنيناها بأيد (أي بقوة .) وإنا لموسعون (فيه خمسة أوجه :

---

(١) النكت والعيون ، ٥/٣٧٢

أحدها : لموسعون في الرزق بالمطر ، قاله الحسن .

الثاني : لموسعون السماء ، قاله ابن زيد .

الثالث : لقادرون على الاتساع بأكثر من اتساع السماء .." (١)

"ثم ذكره بذكر ملكه ومشيئته ، وذكر قسمة الأولاد ، فقدم الإناث ، لأن سياق الكلام أنه فاعل ما يشاؤه ، لا ما يشاء الإنسان ، فكان ذكر الإناث اللائي من جملة ما لا يشاؤه الإنسان أهم ، والأهم أوجب التقديم. والبلاء : الجنس الذي كانت العرب تعده بلاء ، ذكر البلاء وآخر الذكور. فلما أخرهم لذلك تدارك تأخيره ، وهم أحق بالتقديم بتعريفهم ، لأن التعريف تنويه وتشهير ، كأنه قال : ويهب لمن يشاء الفريقين ، الأعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم. ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حظه من التقديم والتأخير ، وعرفان تقديمهن لم يكن لتقدمهن ، ولكن لمقتضى آخر فقال : ﴿ذكرانا وإناثا ﴾ ، كما قال : ﴿إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ﴾ ، ﴿فجعل منه الزوجين الذكر والانثى ﴾ . انتهى. وقيل : بدأ بالأنثى ثم ثنى بالذكر ، لتنقله من الغم إلى الفرح. وقيل : ليعلم أنه لا اعتراض على الله فيرضى.

٥٢٥

فإذا وهب له الذكر ، علم أنه زيادة وفضل من الله وإحسان إليه. وقيل : قدمها تنبيها على أنه إذا كان العجز والحاجة لهم ، كانت عناية الله أكثر. وقال مجاهد : هو أن تلد المرأة غلاما ، ثم تلد جارية. وقال محمد بن الحنيفة : أن تلد توأما ، غلاما وجارية. وقال أبو بكر بن العربي : أو يزوجهم ذكرانا وإناثا. قال علماؤنا : يعني آدم ، كانت حواء تلد له في كل بطن توأمين ، ذكرا وأنثى ؛ تزوج ذكر هذا البطن أنثى البطن الآخر. انتهى.

ولما ذكر الهبة في الإناث ، والهبة في الذكور ، اكتفى عن ذكرها في قوله : ﴿أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ﴾ . ولما **كان العقم ليس** بمحمود قال : ﴿ويجعل من يشآء عقيما ﴾ ، وهو قسيم لمن يولد له. ولما كانت الخنثى مما يحزن بوجوده ، لم يذكره تعالى. قالوا : وكانت الخلقة مستمرة ، ذكرا وأنثى ، إلى أن وقع في الجاهلية الأولى الخنثى ، فسئل فارض العرب ومعمرها عامر بن الظرب عن ميراثه ، فلم يدر ما يقوله وأرجأهم. فلما جن عليه الليل ، جعل يتقلب وتذهب به الأفكار ، وأنكرت خادمه حاله فسألته ، فقال : بهرت لأمر لا أدري ما أقول فيه ، فقالت له : ما هو ؟ فقال : شخص له ذكر وفرج ، كيف يكون حاله في الميراث ؟ قالت له الأمة : ورثه من حيث يبول ، فعقلها وأصبح فعرضها عليهم ، فرضوا بها. وجاء الإسلام

---

(١) النكت والعيون ، ٥/٣٧٣

على ذلك ، وقضى بذلك علي ، كرم الله وجهه ، إنه عليم بمصالح العباد ، قدير على تكوين ما يشاء.
جزء : ٧ رقم الصفحة : ٥٠٦
كان من الكفار خوض في معنى تكليم الله موسى ، فذهبت قريش واليهود في ذلك إلى التجسيم ، فنزلت. وقيل : كانت قريش تقول : ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبيا صادقا ، كما كلمه موسى ونظر إليه ؟ فقال لهم الرسول عليه السلام : "لم ينظر موسى إلى الله" ، فنزلت : ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله﴾ ، بيانا لصورة تكليم الله عباده أي ما ينبغي ولا يمكن لبشر إلا يوحى إليه أحد وجوه الوحي من الإلهام. قال مجاهد : أو النفث في القلب. وقال النقاش : أو وحي في المنام. وقال النخعي : كان في الأنبياء من يخط له في الأرض ، أو بأن يسمعه كلامه دون أن يعرف هو للمتكلم جهة ولا حيزا ، كموسى عليه السلام ، وهذا معنى ﴿من ورآى حجاب﴾ : أي من خفاء عن المتكلم ، لا يحده ولا يتصور بذهنه عليه ، وليس كالحجاب في المشاهد ، أو بأن يرسل إليه ملكا يشافهه بوحى الله تعالى ، قاله ابن عطية. وقال الزمخشري : وما صح لأحد من البشر أن يكلمه الله إلا على ثلاثة أوجه :
إما على طريق الوحي ، وهو الإلهام والقذف في القلب والمنام ، كما أوحى إلى أم موسى وإلى إبراهيم عليه السلام في ذبح ولده. وعن مجاهد : أوحى الله الزبور إلى داود عليه السلام في صدره ، قال عبيد بن الأبرص :
وأوحى إلى الله أن قد تأمروابابن أبي أوفى فقمت على رجل
أي : ألهمنى وقذف في قلبي.
وإما على أن يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الأجرام من غير أن يبصر السامع من يكلمه ، لأنه في ذاته غير مرئي. وقوله : ﴿من ورآى حجاب﴾ مثل ، أي : كما يكلم الملك المحتجب بعض خواصه ، وهو من وراء حجاب ، فيسمع صوته ولا يرى شخصه ، وذلك كما كلم الله موسى ويكلم الملائكة.
وإما على أن يرسل إليه رسولا من الملائكة فيوحي الملك إليه ، كما كلم الأنبياء غير موسى. انتهى ، وهو على طريق المعتزلة في استحالة رؤية الله تعالى ونفي الكلام الحقيقي عن الله.
جزء : ٧ رقم الصفحة : ٥٠٦
وكل هذه الأقسام الثلاثة يصدق عليها أنها وحي ، وخص الأول باسم الوحي هنا ، لأن ما يقع في القلب على سبيل الإلهام يقع دفعة واحدة ، فكان تخصيص لفظ الوحي به أولى. وقيل : ﴿وحيا﴾ كما أوحى إلى الرسل بواسطة الملائكة ، أو ﴿يرسل رسولا﴾ : أي نبيا ، كما كلم أمم الأنبياء على ألسنتهم ، حكاه

الزمخشري ، وترك تفسير ﴿وما كان لبشر أن﴾ ، ومعناه في هذا القول : كما كلم محمدا وموسى صلى الله عليه وسلم.

٥٢٦

." (١)

"﴿مثل ما ينفقون فى هاذه الحيواة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته﴾ لما ذكر تعالى أن ما فعله المؤمنون من الخير فإنهم لا يحرمون ثوابه ، بل يجنون في الآخرة ثمرة ما غرسوه في الدنيا ، أخذ في بيان نفقة الكافرين ، فضرب لها مثلا اقتضى بطلانها وذهابها مجانا بغير عوض. قال مجاهد : نزلت في نفقات الكفار وصدقاتهم. وقال مقاتل : في نفقات سفلة اليهود على علمائهم. وقيل : في نفقة المشركين يوم بدر. وقيل : في نفقة المنافقين إذا خرجوا مع المسلمين لحرب المشركين. قال الزمخشري : شبه ما كانوا ينفقونه من أموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله بالزرع الذي حسه البرد فصار حطاما. وقيل : هو ما يتقربون به إلى الله مع كفرهم. وقيل : ما أنفقوا في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم لم يبلغوا بإنفاقه ما أنفقوه لأجله انتهى.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣٢

وقال ابن عطية : معناه المثال القائم في النفس من إنفاقهم الذي يعدونه قربة وحسبة وتحنثا ، ومن حبطة يوم القيامة وكونه هباء منثورا ، وذهابه كالمثال القائم في النفس. من زرع قوم نبت واخصر وقوي الأمل فيه فهبت عليه ريح صر محرق فأهلكته انتهى. والظاهر أن ما في قوله : مثل ما ينفقون موصولة ، والعائد محذوف ، أي ينفقونه. والظاهر تشبيه ما ينفقونه بالريح ، والمعنى : تشبيهه بالحرث. فقيل : هو من التشبيه المركب لم يقابل فيه الإفراد بالإفراد ، وقد مر نظيره في قوله تعالى : ﴿مثلهم كمثل الذى استوقد نارا﴾ ولذلك قال ثعلب : بدأ بالريح ، والمعنى على الحرث ، وهو اختيار الزمخشري. وقيل : وقع التشبيه بين شيئين وشيئين ، وذكر أحد المشبهين وترك ذكر الآخر ، ثم ذكر أحد الشيئين المشبه بهما وليس الذي يوازن المذكور الأول وترك ذكر الآخر ، ودل المذكوران على المتروكين. وهذا اختيار ابن عطية. قال : وهذه غاية البلاغة والإعجاز ، ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق﴾ انتهى. ويجوز أن يكون على حذف مضاف من الأول تقديره : مثل مهلك ما ينفقون. أو من الثاني تقديره : كمثل مهلك

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، /

ريح. وقيل : يجوز أن تكون ما مصدرية ، أي مثل إنفاقهم ، فيكون قد شبه المعقول بالمحسوس ، إذ شبه الإنفاق بالريح. وظاهر قوله : ينفقون أنه من نفقة المال. وقال السدي : معناه ينفقون من أقوالهم التي يبطنون ضدها. ويضعف هذا أنها في الكفار الذين يعلنون لا في المنافقين الذين يبطنون. وقيل : متعلق الإنفاق هو أعمالهم من الكفر ونحوه ، هي كالريح التي فيها صر أبطلت أعمالهم كل ما لهم من صلة رحم وتحنث بعتق ، كما يبطل الريح الزرع. قال ابن عطية : وهذا قول حسن ، لولا بعد الاستعارة في الإنفاق انتهى. وقال الراغب : ومنهم من قال : ما ينفقون عبارة عن أعمالهم كلها ، لكنه خص الإنفاق لكونه أظهروا أكثر انتهى.

وقرأ ابن هرمز والأعرج : تنفقون بالتاء على معنى قل لهم ، وأفرد ريحا لأنها مختصة بالعذاب ، كما أفردت في قوله : ﴿بل هو ما استعجلتم بها ريح﴾ ولئن أرسلنا ريحا إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا الريح العقيم. كما أن الجمع مختص بالرحمة أن يرسل الرياح مبشرات﴾ ﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾ ﴿يرسل الرياح بشرا ﴾ ولذلك روي : ﴿وكانوا باياتنا يجحدون * فأرسلنا عليهم ريحا﴾ وارتفاع صر على أنه فاعل بالمجرور قبله ، إذ قد اعتمد بكونه وقع صفة للريح. فإن كان الصر البرد وهو قول : ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، والسدي ، أو صوت لهيب النار أو صوت الريح الشديدة. فظاهر كون ذلك في الريح. وإن كان الصر صفة للريح كالصرصر ، فالمعنى فيها قرة صر كما تقول : برد بارد ، وحذف الموصوف ، وقامت الصفة مقامه. أو تكون الظرفية مجازا جعل الموصوف ظرفا للصفة. كما قال : وفي الرحمن كاف للضعفاء. وقولهم : إن ضيعني فلان ففي الله كاف. المعنى الرحمن كاف ، والله كاف. وهذا فيه بعد.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣٢

وقوله : أصابت حرث قوم في موضع الصفة لريح. بدأ أولا بالوصف

٣٧

بالمجرور ، ثم بالوصف بالجملة. وقوله : ظلموا أنفسهم جملة في موضع الصفة لقوم. وظاهره أنهم ظلموا أنفسهم بمعاصيهم ، فكان الإهلاك أشد إذ كان عقوبة لهم.

وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن مصائب الدنيا إنما هي بمعاصي العبد. ويستنبط ذلك من غير ما آية في القرآن ، فيستقيم على ذلك أن كل حرث تحرقه الريح فإنما هو لمن قد ظلم نفسه. وقيل : ظلموا أنفسهم معناه زرعوا في غير أوان الزراعة ، أي وضعوا أفعال الفلاحة غير موضعها من وقت أو هيئة عمل.

وخص هؤلاء بالذكر لأن الحرث فيما جرى هذا المجرى أوعب وأشد تمكنا ، ونحا إلى هذا القول المهدوي. " (١).

"وقال أبو الفضل الرازي في كتاب اللوامح أبو رجاء بخلاف عنه ، وابن عبيد والمعتري على مفتعل. وعن ابن عباس برواية المقري ﴿والمعتر﴾ أراد المعتري لكنه حذف الياء تخفيفا واستغناء بالكسرة عنها ، وجاء كذلك عن أبي رجاء. قال ابن مسعود : الهدي أتلات. وقال جعفر بن محمد أطعم القانع والمعتر ثلثا ، والبائس الفقير ثلثا ، وأهلي ثلثا. وقال ابن المسيب : ليس لصاحب الهدي منه إلا الربع وهذا كله على جهة الاستحباب لا الفرض قاله ابن عطية ﴿كذالك﴾ سخرها لكم أي مثل ذلك التسخير ﴿سخرناها لكم﴾ تأخذونها منقادة فتعقلونها وتحبسونها صافة قوائمها فتطعنون في لباتها ، منن عليهم تعالى بذلك ولولا تسخير الله لم تطق ولم تكن بأعجز من بعض الوحوش التي هي أصغر منها جرما وأقل قوة ، وكفى بما يتأبد من الإبل شاهدا وعبرة. وقال ابن عطية : كما أمرناكم فيها بهذا كله سخرنا لكم لن ينال الله لحومها ولا دماؤها.

قال مجاهد : أراد المسلمون أن يفعلوا فعل المشركين من الذبح وتشريح اللحم منصوبا حول الكعبة ونضح الكعبة حواليها بالدم تقربا إلى الله ، فنزلت هذه الآية. وعن ابن عباس قريب منه ، والمعنى لن يصيب رضا الله اللحوم المتصدق بها ولا الدماء المهراقة بالنحر ، والمراد أصحاب اللحوم والدماء ، والمعنى لن يرضى المضحون والمقربون ربهم إلا بمراعاة النية والإخلاص والاحتياط بشروط التقوى في حل ما قرب به وغير ذلك من المحافظات الشرعية وأوامر الورع ، فإذا لم يراعوا ذلك لم تغن عنهم التضحية والتقريب ، وإن كثر ذلك منهم قاله الزمخشري وهو تكثير في اللفظ. وقرأ مالك بن دينار والأعرج وابن يعمر والزهري وإسحاق الكوفي عن عاصم والزعفراني ويعقوب. وقال ابن خالويه : تناله التقوى بالتاء يحيى بن يعمر والجحدري. وقرأ زيد بن علي ﴿لحومها ولا﴾ بالنصب ﴿دمآؤها ولكن يناله﴾ بضم الياء وكرر ذكر النعمة بالتسخير. قال الزمخشري : لتشكروا الله على هدايته إياكم لإعلام دينه ومناسك حجه بأن تكبروا وتهللوا فاختصر الكلام بأن ضمن التكبير معنى الشكر وعدي تعديته انتهى. ﴿وبشر المحسنين﴾ ظاهر في العموم. قال ابن عباس : وهم الموحدون وروي أنها نزلت في الخلفاء الأربعة.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٣٤٥

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٣٧٠

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ٢٩/٣

٣٧٠

الهدم : معروف وهو نقض ما بني. قال الشاعر :

وكل بيت وإن طالت إقامتهعلى دعائمه لا بد مهدوم

الصومعة : موضع العبادة وزنها فعولة ، وهي بناء مرتفع منفرد حديد الأعلى ، والأصمع من الرجال الحديد القول ، وكانت قبل الإسلام مختصة برهبان النصارى وبعباد الصابئين ، قاله قتادة ثم استعمل في مئذنة المسلمين. البيع : كنائس النصارى واحدها بيعة. وقيل : كنائس اليهود. البئر : من بأرت أي حفرت ، وهي مؤنثة على وزن فعل بمعنى مفعول ، وقد تذكر على معنى القليب. تعطيل الشيء : إبطال منافعه. العقم : الامتناع من الولادة ، يقال : امرأة عقيم ورجل عقيم لا يولد له ، والجمع عقم وأصله من القطع ، ومنه الملك عقيم أي يقطع فيه الأرحام بالقتل ، والعقيم الذي قطعت ولادتها.

٣٧١

وقال أبو عبيد العقم السد ، يقال : امرأة معقومة الرحم أي مسدودة الرحم. السطو : القهر. وقال ابن عيسى : السطوة إظهار ما يهول للإخافة. الذباب : الحيوان المعروف يجمع على ذباب بكسر الذال وضمها ، وعلى ذب والمذبة ما يطرد به الذباب ، وذباب السيف طرفه والعين إنسانها ، وأسنان الإبل. سلبت الشيء : اختطفته بسرعة. استنقذ : استفعل بمعنى أفعل أي أنقذ نحو أبل واستبل.

﴿إن الله يدافع عن الذين ءامنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور * أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ا وإن الله على نصرهم لقدير * الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع﴾ .

٣٧٢

روي أن المؤمنين لما كثروا بمكة أذاهم الكفار وهاجر من هاجر إلى أرض الحبشة ، أراد بعض مؤمني مكة أن يقتل من أمكنة من الكفار ويحتال ويغدر ، فنزلت إلى قوله ﴿كفور﴾ وعد فيها بالمدافعة ونهى عن الخيانة ، وخص المؤمنين بالدفع عنهم والنصرة لهم ، وعلل ذلك بأنه لا يحب أعداءهم الخائنين الله والرسول الكافرين نعمه. ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما ذكر جملة مما يفعل في الحج ، وكان المشركون قد صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وآذوا من كان بمكة من المؤمنين ، أنزل الله تعالى هذه الآيات مبشرة المؤمنين بدفعه تعالى عنهم ومشيرة إلى نصرهم وإذنه لهم في القتال وتمكينهم

في الأرض يردهم إلى ديارهم وفتح مكة ، وأن عاقبة الأمور راجعة إلى الله تعالى وقال تعالى : ﴿والعاقبة للمتقين﴾ .." (١)

"المرية : الشك. والضمير في ﴿الكتاب منه﴾ قيل : عائد على القرآن. وقيل : على الرسول. وقيل : ما ألقى الشيطان ، ولما ذكر حال الكافرين أولا ثم حال المؤمنين ثانيا عاد إلى شرح حال الكافرين ، والظاهر أن ﴿الساعة﴾ يوم القيامة. قيل : **واليوم العقيم يوم** بدر. وقيل : ساعة موتهم أو قتلهم في الدنيا كيوم بدر ، **واليوم العقيم يوم** القيامة.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٣٧٠

وقال الزمخشري : **اليوم العقيم يوم** بدر ، وإنما وصف يوم الحرب بالعقيم لأن أولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كأنهن عقم لم يلدن ، أو لأن المقاتلين يقال لهم أبناء الحرب فإذا قتلوا وصف يوم الحرب بالعقم على سبيل المجاز.

وقيل : هو الذي لا خير فيه يقال : ريح عقيم إذا لم تنشيء مطرا ولم تلقح شجرا. وقيل : لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه. وعن الضحاك : إنه يوم القيامة وإن المراد بالساعة مقدماته ويجوز أن يراد بالساعة و﴿يوم عقيم﴾ يوم القيامة كأنه قيل ﴿حتى تأتيهم الساعة﴾ أو يأتيهم عذابها فوضع ﴿يوم عقيم﴾ موضع الضمير انتهى. وقال ابن عطية : وسمى يوم القيامة أو يوم الاستئصال عقيما لأنه لا ليلة بعده ولا يوم ، والأيام كلها نتائج يجيء واحد أثر واحد ، وكان آخر يوم قد عقم وهذه استعارة ، وجملة هذه الآية توعد انتهى. و﴿حتى ﴾ غاية لاستمرار مريتهم ، فالمعنى ﴿حتى تأتيهم الساعة﴾ ﴿أو عذاب أليم﴾ فتزول مريتهم ويشاهدون الأمر عيانا.

والتنوين في ﴿يومإذ﴾ تنوين العوض ، والجملة المعوض منها هذا التنوين هو الذي حذف بعد الغاية أي ﴿الملك﴾ يوم تزول مريتهم وقدره الزمخشري أولا يوم يؤمنون وهو لازم لزوال المرية ، فإنه إذا زالت المرية آمنوا ، وقدر ثانيا كما قدرنا وهو الأولى. والظاهر أن هذا اليوم هو يوم القيامة من حيث أنه لا ملك فيه لأحد من ملوك الدنيا كما قال تعالى ﴿لمن الملك اليوم﴾ ويساعد هذا التقسيم بعده ، ومن قال إنه يوم بدر ونحوه فمن حيث ينفذ قضاء الله وحده ويبطل ما سواه ويمضي حكمه فيمن أراد تعذيبه ، ويكون التقسيم إخبارا متركبا على حالهم في ذلك **اليوم العقيم من** الإيمان والكفر وألفاظ التقسيم ومعانيها واضحة لا تحتاج إلى شرح. وقابل النعيم بالعذاب ووصفه بالمهين مبالغة فيه.

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ (دار الفكر)، ٦/٢٧٠

﴿والذين هاجروا ﴾ الآية هذا ابتداء معنى آخر ، وذلك أنه لما مات عثمان بن مظعون وأبو سلمة بن عبد الأسد قال بعض الناس : من قتل من المهاجرين أفضل ممن مات حتف أنفه ، فنزلت مسوية بينهم في أن الله يرزقهم ﴿رزقا حسنا﴾ وظاهر ﴿والذين هاجروا ﴾ العموم. وقال مجاهد : نزلت في طوائف خرجوا من مكة إلى المدينة للهجرة فتبعهم المشركون وقاتلوهم. وروي أن طوائف من الصحابة قالوا : يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا ، فما لنا إن متنا معك ؟ فأنزل الله هاتين الآيتين.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٣٧٠

وقال الزمخشري : لما جمعتهم المهاجرة في سبيل الله سوى بينهم في الموعد أن يعطي من مات منهم مثل ما يعطي من قتل فضلا منه وإحسانا والله عليم بدرجات العاملين ومراتب استحقاقهم ، حليم عن تفريط المفرط منهم بفضله وكرمه انتهى. وفي قوله : ومراتب استحقاقهم دسيسة الاعتزال ، والتسوية في الوعد بالرزق لا تدل على تفضيل في قدر المعطى ، ولا تسوية فإن يكن تفضيل فمن دليل آخر وظاهر الشريعة أن المقتول أفضل. وقيل : المقتول

٣٨٣

والميت في سبيل الله شهيدان.

والرزق الحسن يحتمل أن يراد به رزق الشهداء في البرزخ ، ويحتمل أنه بعد يوم القيامة في الجنة وهو النعيم فيها. وقال الكلبي : هو الغنيمة. وقال الأصلم : هو العلم والفهم كقول شعيب ﴿ورزقنى منه رزقا حسنا ﴾ وضعف هذان القولان لأنه تعالى جعل الرزق الحسن جزاء على قتلهم في سبيل الله أو موتهم بعد هجرتهم ، وبعد ذلك لا يكون الرزق في الدنيا. والظاهر أن ﴿خير الرازقين﴾ أفعل تفضيل ، والتفاوت أنه تعالى مختص بأن يرزق بما لا يقدر عليه غيره تعالى ، وبأنه الأصل في الرزق وغيره إنما يرزق بماله من الرزق من جهة الله.

ولما ذكر الرزق ذكر المسكن فقال ﴿ليدخلنهم مدخلا يرضونها﴾ وهو الجنة يرضونه يختارونه إذ فيه رضاهم كما قال ﴿لا يبغون عنها حولا﴾ وتقدم الخلاف في القراءة بضم الميم أو فتحها في النساء ، والأولى أن يكون يراد بالمدخل مكان الدخول أو مكان الإدخال ، ويحتمل أن يكون مصدرا.

." (١)

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٢٧٨/٦

"وقيل : هو نعت لمصدر محذوف تقديره : إنه لحق حقا مثل ما أنكم ، فحركته حركة إعراب. وقيل : انتصب على أنه حال من الضمير المستكن في ﴿لحق﴾ . وقيل : حال من لحق ، وإن كان نكرة ، فقد أجاز ذلك الجرمي وسيبويه في مواضع من كتابه. والنطق هنا عبارة عن الكلام بالحروف والأصوات في ترتيب المعاني. ويقول الناس : هذا حق ، كما أنك ههنا وهذا حق ، كما أنك ترى وتسمع ، وهذا كما في الآية. وما زائدة بنص الخليل ، ولا يحفظ حذفها ، فتقول : ذا حق كأنك ههنا ، والكوفيون يجعلون مثلا محلى ، فينصبونه على الظرف ، ويجيزون زيد مثلك بالنصب ، فعلى مذهبهم يجوز أن تكون مثل فيها منصوبا على الظرف ، واستدلالهم والرد عليهم مذكور في النحو. ومن كلام بعض الأعراب : من ذا الذي أغضب الخليل حتى حلف ، لم يصدقوه بقوله حتى ألجأوه إلى اليمين.

قوله عز وجل ﴿هل أتا ك حديث ضيف إبراهيم المكرمين * إذ دخلوا عليه فقالوا سلامًا قال سلام قوم منكرون * فراغ إلى أهلها فجآء بعجل سمين * فقربها إليهم قال ألا تأكلون * فأوجس منهم خيفةا قالوا لا تخفا وبشروه بغلام عليم * فأقبلت امرأته فى صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم * قالوا كذالك قال ربكا إنه هو الحكيم العليم * قال فما خطبكم أيها المرسلون * قالوا إنآ أرسلنآ إلى قوم مجرمين * لنرسل عليهم حجارة من طين * مسومة عند ربك للمسرفين * فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين * فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين * وتركنا فيهآ ءاية للذين يخافون العذاب الاليم * وفى موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين * فتولى بركنها وقال ساحر أو مجنون * فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم وهو مليم * وفى عاد إذ أرسلنا عليهم **الريح العقيم** * ما تذر من شىء أتت عليه إلا جعلته كالرميم * وفى ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين * فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون * فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين * وقوم نوح من قبلا إنهم كانوا قوما فاسقين﴾ .

جزء : ٨ رقم الصفحة : ١٣١

﴿هل أتا ك﴾ : تقرير لتجتمع نفس المخاطب ، كما تبدأ المرء إذا أردت أن تحدثه بعجيب ، فتقرره هل سمع ذلك أم لا ، فكأنك تقتضي أن يقول لا. ويستطعمك الحديث ، وفيه تفخيم للحديث وتنبيه على أنه ليس من علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما عرفه بالوحي ، وضيف الواحد والجماعة فيه سواء. وبدأ بقصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وإن كانت متأخرة عن قصة عاد ، هزما للعرب ، إذ كان أباهم الأعلى ، ولكون الرسل الذين وفدوا عليه جاءوا بإهلاك قوم لوط ، إذ كذبوه ، ففيه وعيد للعرب وتهديد واتعاظ وتسلية للرسول صلى الله عليه وسلم على ما يجري عليه من قومه. ووصفهم بالمكرمين لكرامتهم

عند الله تعالى ، كقوله تعالى في الملائكة : ﴿بل عباد مكرمون﴾ ، قاله الحسن ، فهي صفة سابقة فيهم ، أو لإكرام إبراهيم إياهم ، إذ خدمهم بنفسه وزوجته سارة وعجل لهم القرا. وقيل : لكونه رفع مجالسهم في صفة حادثة. وقرأ عكرمة : المكرمين بالتشديد ، وأطلق عليهم ضيف ، لكونهم في صورة الضيف حيث أضافهم إبراهيم ، أو لحسبانه لذلك. وتقدم ذكر عددهم في سورة هود. وإذ معمولة للمكرمين إذا كانت صفة حادثة بفعل إبراهيم ، وإلا فبما في ضيف من معنى لفعل ، أو بإضمار اذكر ، وهذه أقوال منقولة. وقرأ الجمهور : قالوا سلاما ، بالنصب على المصدر الساد مسد فعله المستغنى به.
﴿قال سلام﴾ بالرفع ، وهو مبتدأ محذوف الخبر تقديره :
١٣٨." (١)

"وقال قتادة وعكرمة : الرنة. قيل : قالت أوه بصياح وتعجب. وقال ابن بحر : الجماعة ، أي من النسوة تبادروا نظرا إلى الملائكة. وقال الجوهري : الصرة : الصيحة والجماعة والشدة. ﴿فصكت وجهها﴾ : أي لطمته ، قاله ابن عباس ، وكذلك كما يفعله من يرد عليه أمر يستهو له ويتعجب منه ، وهو فعل النساء إذا تعجبن من شيء. وقال السدي وسفيان : ضربت بكفها جبهتها ، وهذا مستعمل في الناس حتى الآن. ﴿وقالت عجوز عقيم﴾ : أي إنا قد اجتمع فيها أنها عجوز ، وذلك مانع من الولادة ، وأنها عقيم ، وهي التي لم تلد قط ، فكيف ألد ؟ تعجبت من ذلك. ﴿قالوا كذالك﴾ : أي مثل القول الذي أخبرناك به ، ﴿قال ربك﴾ : وهو القادر على إيجاد ما يستبعد. وروي أن جبريل عليه السلام قال لها : انظري إلى سقف بيتك ، فنظرت ، فإذا جذوعه مورقة مثمرة. ﴿إنه هو الحكيم﴾ : أي ذو الحكمة. ﴿العليم﴾ بالمصالح. ولما علم إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنهم ملائكة ، وأنهم لا ينزلون إلا بإذن الله تعالى رسلا ، قال ﴿فما خطبكم﴾ إلى : ﴿قوم مجرمين﴾ : أي ذوي جرائم ، وهي كبار المعاصي من كفر وغيره. ﴿لنرسل عليهم﴾ : أي لنهلكهم بها ، ﴿حجارة من طين﴾ : وهو السجيل ، طين يطبخ كما يطبخ الآجر حتى يصير في صلابة كالحجارة. ﴿مسومة﴾ : معلمة ، على كل واحد منها اسم صاحبه. وقيل : معلمة أنها من حجارة العذاب. وقيل : معلمة أنها ليست من حجارة الدنيا ، ﴿للمسرفين﴾ : وهم المجاوزون الحد في الكفر. ﴿فأخرجنا من كان فيها﴾ : في القرية التي حل العذاب بأهلها. ﴿غير بيت﴾ : هو بيت لوط عليه السلام ، وهو لوط وابنتاه فقط ، وقيل : ثلاثة عشر نفسا. وقال الرماني : الآية تدل على أن الإيمان هو الإسلام ، وكذا قال الزمخشري ، وهما معتزليان.

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ١٠٤/٨

جزء : ٨ رقم الصفحة : ١٣١

﴿وتركنا فيهآ﴾ : أي في القرية ، ﴿ءاية﴾ : علامة. قال ابن جريج : حجرا كبيرا جدا منضودا. وقيل : ماء أسود منتن. ويجوز أن يكون فيها عائدا على الإهلاكة التي أهلكوها ، فإنها من أعاجيب الإهلاك ، بجعل أعالي القرية أسافل وإمطار الحجارة. والظاهر أن قوله : ﴿وفى موسى ﴾ معطوف على ﴿وتركنا فيهآ﴾ : أي في قصة موسى. وقال الزمخشري وابن عطية : ﴿وفى موسى ﴾ يكون عطفا على ﴿وفى الارض ءايات للموقنين﴾ . ﴿وفى موسى ﴾ ، وهذا بعيد جدا ، ينزه القرآن عن مثله. وقال الزمخشري أيضا : أو على قوله ، ﴿وتركنا فيهآ ءاية﴾ ، على معنى : وجعلنا في موسى آية ، كقوله :

علفتها تبنا وماء باردا

انتهى ، ولا حاجة إلى إضمار ﴿وتركنا﴾ ، لأنه قد أمكن أن يكون العامل في المجرور ﴿وتركنا﴾ . ﴿فتولى بركنه﴾ : أي ازور وأعرض ، كما قال : ﴿وإذآ أنعمنا﴾ . وقيل : بقوته وسلطانه. وقال ابن زيد : بركنه : بمجموعه. وقال قتادة : بقومه. ﴿وقال ساحر أو مجنون﴾ : ظن أحدهما ، أو تعمد الكذب ، وقد علم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا. وقال أبو عبيدة : أو بمعنى الواو ، ويدل على ذلك أنه قد قالهما ، قال : ﴿إن هذا لساحر عليم﴾ ، و﴿قال إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون﴾ ، واستشهد أبو عبيدة بقول جرير :

أثعلبة الفوارس أو رباحاعدلت بهم طهية والحشايا

ولا ضرورة تدعو إلى جعل أو بمعنى الواو ، إذ يكون قالهما ، وأبهم على السامع ، فأو للإبهام. ﴿وهو مليم﴾ : أي أتى من المعاصي ما يلام عليه. ﴿العقيم﴾ التي لا خير فيها ، من الشتاء مطر ، أو لقاح شجر. وفي الصحيح : نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور. فقول من ذهب إلى أنها الصبا ، أو الجنوب ، أو النكباء ، وهي ريح بين ريحين ، نكبت عن سمت القبلة ، فسميت نكباء ، ليس بصحيح ، لمعارضته للنص الثابت عن

١٤٠

الرسول صلى الله عليه وسلم أنها الدبور.

جزء : ٨ رقم الصفحة : ١٣١

". (١)

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ١٠٦/٨

"

٥٤٢

غيركم والخلفاء والخلائف جمع الخليفة

قرأ ابن كثير وأبو عمرو " بسطة " بالسين وقرأ حمزة بإشمام الزاي وقرأ الباقون بالصاد قال ابن عباس كان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستين ذراعا وروى إبراهيم بن يوسف عن المسيب عن الكلبي قال كان طول قوم عاد أطولهم مائة وعشرين ذراعا وأقصرهم ثمانين ذراعا وقال مقاتل كان طول كل رجل منهم اثني عشرا ذراعا فذلك قوله " لم يخلق مثلها في البلد " الفجر ٨ ويقال كان بين نوح وبين آدم عشرة آباء كلهم على الإسلام وكان إدريس جد أبي نوح ولم يكن بين آدم ونوح نبي مرسل وكان إدريس نبيا ولم يؤمر بدعوة الخلق ويقال أنزل عليه عشرون صحيفة وقد آمن به كثير من الناس وكان بين نوح وإبراهيم ألف سنة ويقال ألفان وأربعون سنة وكان بين إبراهيم وموسى ألف سنة وكان بين موسى وعيسى ألف سنة وبين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وكان هود بين نوح وإبراهيم فلما دعا قومه فكذبوه أنذرهم بالعذاب فقال إن الله تعالى يرسل عليكم الريح فيهلككم بها فاستهزؤوا به وقالوا أي ريح تقدر علينا فأمر الله تعالى خازن الريح أن يخرج من **الريح العقيم التي** هي تحت الأرض مقدار ما يخرج من حلقة الخاتم كما قال في آية أخرى " وفي عاد إذ أرسلنا عليهم **الريح العقيم** " الذاريات ٤١ فجاءتهم وحملت الرجال والدواب كالأوراق في الهواء فأهلكتهم كلهم فلم يبق منهم أحد كما قال " فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين " الأحقاف ٢٥ وذلك بعد ما أنذرهم وأخذ عليهم الحجة وذكرهم نعم الله تعالى في حقهم قال لهم " فاذكروا آلاء الله " يعني اشكروا نعمة الله قال بعضهم الآلاء اتصال النعمة والنعماء دفع البلية وقال بعضهم على ضد هذا وقال أكثر المفسرين الآلاء والنعماء بمعنى واحد " لعلكم تفلحون " يعني أي لكي تنجوا من عذابه

قوله تعالى " قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده " يعني قالوا له يا هود أتأمرنا أن نعبد ربا واحدا " ونذر ما كان يعبد آباونا " يعني نترك عبادة آلهتنا التي كان يعبدها آباؤنا قال لهم هود عليه السلام إن لم تفعلوا ما آمركم يأتيكم العذاب قالوا " فأتنا بما تعدنا " يعني تخوفنا من العذاب " إن كنت من الصادقين " في أنك رسول الله

قوله تعالى " قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب " يعني وجب عليكم عذاب وغضب من ربكم " أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباوكم " يعني تجعلون قول أنفسكم وقول آبائكم حجة من غير أن

تثبت لكم من الله حجة وقد اتخذتم الأصنام بأيديكم وسميتموها آلهة " ما نزل الله بها من سلطان " يقول ليس لكم عذر وحجة في عبادة الأصنام " فانتظروا " أي الهلاك " إني معكم من المنتظرين " يعني الهلاك بكم لأنهم أرادوا أن." (١)

٧٢"

أنبيائهم عليهم السلام وقال الضحاك يعني لعن المنافقين كما لعن الذين من قبلهم من الأمم الخالية ويقال ولهم عذاب دائم "كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا " يعني لم ينفعهم أموالهم ولا أولادهم من عذاب الله شيئا فلا ينفعكم أموالكم ولا أولادكم أيضا " فاستمتعوا بخلاقهم " يعني فانتفعوا بنصيبهم من الآخرة في الدنيا " فاستمتعتم بخلاقكم " يقول إنتفعتم أنتم بنصيبكم من الآخرة في الدنيا " كما إستمتع الذين من قبلكم " من الأمم الخالية " بخلاقهم " أي بنصيبهم " وخضتم " في الباطل "كالذي خاضوا " ويقال كذبتم الرسول كما كذبوا رسلهم " أولئك " يعني أهل هذه الصفة " حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة " يعني بطل ثواب أعمالهم فلا ثواب لهم لأنها كانت في غير إيمان " وأولئك هم الخاسرون " يعني في الآخرة

سورة التوبة ٧٠

قوله تعالى " ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم " يعني ألم يأتهم خبر الذين من قبلهم في القرآن عند التكذيب كيف فعلنا بهم " قوم نوح "كيف أغرقناهم " و " قوم " عاد "كيف أهلكناهم **بالريح العقيم** " و " قوم " ثمود " وهم قوم صالح كيف أهلكناهم بالصيحة " وقوم إبراهيم " وهو نمروذ بن كنعان كيف أهلكناهم بأضعف الخلق وهو البعوض " وأصحاب مدين " وهم قوم شعيب كيف أهلكناهم بعذاب يوم الظلة " والمؤتفكات " يعني مدائن قوم لوط " والمؤتفكات " جمع المؤتفكة لأنها إئتفكت بهم يعني إنقلبت بهم كقوله تعالى " والمؤتفكة أهوى فغشاها ما غشى " [النجم : ٥٣] يعني أمطرت عليهم الحجارة وقال مقاتل المؤتفكات يعني المكذبات " أتتهم رسلهم بالبينات " يعني بالأمر والنهي فتركوا طاعتي فأهلكتهم " فما كان الله ليظلمهم " يعني لم يهلكهم بغير ذنب " ولكن كانوا أنفسهم يظلمون " بتركهم طاعتي وتكذيبهم الرسل

---

(١) بحر العلوم . ، ٥٤٢/١

سورة التوبة ٧١ – ٧٢

قوله تعالى " والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض " يعني بعضهم على دين." [١]

١٥٧"

ثم قال " ولما جاء أمرنا " يعني عذابنا وهو الريح العقيم " نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا " يعني بنعمة منا " ونجيناهم من عذاب غليظ " يعني من العذاب الذي عذب به عاد في الدنيا ومما يعذبون به في الآخرة

قال تعالى " وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم " يعني كذبوا بعذاب ربهم أنه غير نازل بهم ومعناه يا أهل مكة أنظروا إلى حالهم كيف عذبوا في الدنيا وفي الآخرة وهذا كقوله تعالى " فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا " [النمل : ٥٢] فكذلك ها هنا " وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم " بين جرمهم ثم بين عقوبتهم فقال " وعصوا رسله " يعني عادا خاصة ويقال معناه كذبوا هودا بما أخبرهم عن الرسل وقيل إنما جمع لأن من كذب رسولا واحدا فقد كذب جميع الرسل " واتبعوا أمر كل جبار عنيد " يعني عملوا بقول كل جبار ويقال أخذوا بدين كل جبار والجبار الذي يضرب ويقتل عند الغضب " عنيد " يعني معرضا ومجانبا عن الحق

ثم بين عقوبتهم فقال " واتبعوا " يعني ألحقوا " في هذه الدنيا لعنة " يعني العذاب والهلاك وهو الريح العقيم " ويوم القيامة " لعنة أخرى وهو عذاب النار إلى الأبد " ألا إن عادا كفروا ربهم " فهذا تنبيه للكفار أن عادا كفروا ربهم فأهلكهم الله تعالى فاحذروا كيلا يصيبكم بكفركم ما أصابهم بكفرهم ويقال " ألا إن عادا كفروا ربهم " يعني ينادي مناد يوم القيامة لإظهار حالهم " ألا إن عادا كفروا ربهم " وقال الضحاك ترفع لهم راية الغدر يوم القيامة فينادي مناد يوم القيامة هذه غدرة قوم عاد فيلعنهم الملائكة وجميع الخلق فذلك قوله تعالى " ألا بعدا " يعني خزيا وسحقا " لعاد قوم هود "

سورة هود ٦١ – ٦٣

قوله تعالى " وإلى ثمود أخاهم صالحا " يعني وأرسلنا إلى ثمود وإنما لم ينصرف لأنه إسم القبيلة وفي الموضع الذي ينصرف جعله إسما للقوم " قال يا قوم إعبدوا الله " أي وحدوا الله وأطيعوه " ما لكم من إله غيره " يعني ليس لكم رب غيره " هو أنشأكم " يعني هو الذي خلقكم " من الأرض " يعني خلق آدم من

---

(١) بحر العلوم ، ٢/٧٢

أديم الأرض وأنتم ولده " واستعمركم فيها " يعني أسكنكم وأنزلكم فيها وأصله أعمركم يقال أعمرته الدار إذا جعلتها له أبدا." (١)

"٤٨٠

بعد الموت " وأترفناهم " يعني أنعمنا عليهم ويقال وسعنا عليهم حتى أترفوا " في الحياة الدنيا ما هذا " يعني قالوا ما هذا " إلا بشر " يعني آدميا " مثلكم يأكل مما تأكلون منه " يعني كما تأكلون منه " ويشرب مما تشربون " يعني كما تشربون " ولئن أطعتم بشرا " يعني آدميا " مثلكم إنكم إذا لخاسرون " أي لمغبونون " أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا " أي صرتم ترابا " وعظاما أنكم مخرجون " يعني محيون

سورة المؤمنون ٣٦ – ٤٣

قوله عز وجل " هيهات هيهات " قرأ أبو جعفر المدني " هيهات هيهات "كلاهما بكسر التاء قال أبو عبيد قراءتها بالنصب لأنه أظهر اللغتين وأفشاهما وقال بعضهم قد قرئ هذا الحرف بسبع قراءات بالكسر والنصب والرفع والتنوين وغير التنوين والسكون وهذه كلمة يعبر بها عن البعد يعني بعيدا بعيدا ومعناه أنهم قالوا هذا لا يكون أبدا يعني البعث " لما توعدون " يعني بعيدا بعيدا لما توعدون " إن هي " يعني ما هي " إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا " يعني نحيا ونموت على وجه التقديم ويقال معناه يموت الآباء وتعيش الأبناء " وما نحن بمبعوثين " يعني لا نبعث بعد الموت " إن هو " يعني ما هو " إلا رجل إفترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين " يعني بمصدقين فلما كذبوه دعا عليهم " قال رب أنصرني " يعني قال هود أعني عليهم بالعذاب " بما كذبون "

" قال " الله تعالى " عما قليل " يعني عن قريب و " ما " صلة كقوله " فبما رحمة من الله " [آل عمران : ١٥٩] " ليصبحن نادمين " يعني ليصيرن نادمين فأخبر الله تعالى عن معاملة الذين كانوا من قبل مع أنبيائهم وسوء جزائهم وأذاهم لأنبيائهم ليصبر النبي صلى الله عليه وسلم على أذى قومه

ثم أخبر عن عاقبة أمرهم فقال تعالى " فأخذتهم الصيحة بالحق " يعني العذاب وهو **الريح العقيم ويقال** وهي صيحة جبريل عليه السلام " فجعلناهم غثاء " يعني يابسا ويقال هلكى كالغثاء وهو جمع غثاء وهو ما على السيل من الزبد لأنه يذهب ويتفرق وقال الزجاج الغثاء البالي من ورق الشجر أي جعلناه يبسا كيابس الغثاء ويقال الغثاء النبات." (٢)

---

(١) بحر العلوم . ، ١٥٧/٢

(٢) بحر العلوم . ، ٤٨٠/٢

فلما رآهم أنهم الملائكة " قال " لهم " فما خطبكم أيها المرسلون " يعني ما أمركم وما شأنكم ولماذا جئتم أيها المرسلون " قالوا إنا أرسلنا " يعني قال جبريل عليه السلام أرسلنا الله تعالى " إلى قوم مجرمين " يعني قوما كفارا مشركين " لنرسل عليهم " يعني لكي نرسل عليهم " حجارة من طين " مطبوخ كما يطبخ الآجر " مسومة عند ربك للمسرفين " يعني معلمة ويقال مخططة بسواد وحمرة

ويقال مكتوب على كل واحد اسم صاحب الذي يصيبه

ثم قال " عند ربك " يعني جاءت الحجارة من عند ربك للمشركين فاغتم إبراهيم لأجل لوط

قال الله تعالى " فأخرجنا من كان فيها " أي في قريات لوط " من المؤمنين " يعني من المصدقين " فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين " يعني غير بيت لوط

قوله عز وجل " وتركنا فيها آية " يعني أبقينا في قريات لوط آية

يعني عبرة في هلاكهم من بعدهم

" للذين يخافون العذاب الأليم " يعني العذاب الشديد

سورة الذاريات ٣٨ - ٤٠

ثم قال " وفي موسى " عطف على قوله " وفي أنفسكم أفلا تبصرون " [الذاريات ٢١] " وفي موسى " " إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين " يعني حجة بينة وهي اليد والعصا " فتولى بركنه " يعني أعرض عنه فرعون بجموعه يعني مع جموعه وجنوده

ويقال " فتولى بركنه " يعني أعرض بجانبه " وقال ساحر أو مجنون " يعني قال لموسى هو ساحر أو مجنون " فأخذناه وجنوده " يعني عاقبناه وجموعه " فنبذناهم في اليم " قال الكلبي يعني أغرقناهم في البحر وقال مقاتل يعني في النيل " وهو مليم " يعني يلوم نفسه ويلومه الناس

وقال " مليم " أي مذنب

وقال أهل اللغة ألام الرجل إذا أتى بذنب يلام عليه

سورة الذاريات ٤١ - ٤٥

ثم قال " وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم " يعني سلطنا عليهم الريح الشديد وإنما سميت عقيما لأنها لا تأتي على شيء إلا جعلته كالرميم لا خير فيه

ويقال سميت عقيما لأنها لا تلقح الأشجار ولا تثير السحاب وهي الدبور

وروى شهر بن حوشب عن ابن عباس قال ما أنزل الله قطرة من ماء إلا بمثقال ولا أنزل سفرة من ريح إلا بمكيال إلا قوم نوح." (١)

٣٢٩"

وقوم عاد طغى على خزانة الماء فلم يكن لهم عليه سبيل وعتت الريح يوم عاد على خزانها فلم يكن لهم عليها سبيل وروى عكرمة عن ابن عباس قال " **العقيم** " الذي لا منفعة لها

ثم قال " ما تذر من شيء " يعني ما تترك من شيء هو لهم ولا منهم " أتت عليه إلا جعلته كالرميم " يعني مرت عليه إلا جعلته كالرماد

ويقال الرميم الورق الجاف المتحطم مثل الهشيم المحتضر بعد ما كانوا كنخل منقعر

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ما أرسل على عاد من الريح إلا مثل خاتمي هذا

يعني إن **الريح العقيم تحت** الأرض فأخرج منها مثل ما يخرج من ثقب الخاتم فأهلكهم

ثم قال تعالى " وفي ثمود " يعني قوم صالح " إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين " يعني قال لهم نبيهم صالح عليه السلام عيشوا إلى منتهى آجالكم ولا تعصوا أمر الله " فعتوا عن أمر ربهم " يعني تركوا طاعة ربهم " فأخذتهم الصاعقة " يعني العذاب

قرأ الكسائي " فأخذتهم الصعقة " بغير ألف وجزم العين

والباقون بألف وهي الصيحة التي أهلكتهم بالصعقة من قولك صعقتهم الصاعقة يعني أهلكتهم

وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قرأ " صعقة " مثل الكسائي

" وهم ينظرون " يعني ظهرت النار من تحت أرجلهم وهم يرونها بأعينهم

ويقال سمعوا الصيحة وهم ينظرون متحيرون

" فما استطاعوا من قيام " يعني ما استطاعوا أن يقوموا لعذاب الله تعالى حتى أهلكوا

" وما كانوا منتصرين " يعني ممتنعين من العذاب

سورة الذاريات ٤٦ - ٥٣

ثم قال " وقوم نوح " وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي " وقوم نوح " بكسر الميم يعني في قوم نوح كما قال " وفي ثمود " والباقون بالنصب يعني وأهلكنا قوم نوح ويقال معناه فأخذناه وأخذنا قوم نوح " من قبل

---

(١) بحر العلوم ، ٣/٣٢٨

هؤلاء الذين سميناهم " إنهم كانوا قوما فاسقين " يعني عاصين

قوله عز وجل " والسماء بنيناها بأيد " يعني خلقناها أو حملناها بقوة وقدرة " وإنا لموسعون " يعني نحن قادرون على أن نوسعها كما نريد ويقال " والسماء " صار نصبا لنزع الخافض ومعناه و " وفي السماء " [الزخرف ٨٤] آية

ثم قال " والأرض فرشناها " يعني وفي الأرض آية بسطناها مسيرة خمسمائة عام من." (١)

"" صفحة رقم ١٦٨ "

) ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم (

الحج : (٥٥) ولا يزال الذين . . . . .

الضمير في) مرية منه (للقرآن أو الرسول (صلى الله عليه وسلم) . **اليوم العقيم** : يوم بدر ، وإنما وصف يوم الحرب بالعقيم لأن أولاد النساء يقتلون فيه ، فيصرن كأنهن عقم لم يلدن ، أو لأن المقاتلين يقال لهم أبناء الحرب ، فإذا قتلوا وصف يوم الحرب بالعقيم على سبيل المجاز . وقيل : هو الذي لا خير فيه ، يقال : ريح عقيم إذا لم تنشيء مطرا ولم تلقح شجرا . وقيل : لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة عليهم السلام فيه . وعن الضحاك أنه يوم القيامة ، وأن المراد بالساعة مقادماته ، ويجوز أن يراد بالساعة وبيوم عقيم : يوم القيامة ، كأنه قيل : حتى تأتيهم الساعة أو يأتيهم عذابها ، فوضع) يوم عقيم (موضع الضمير .

) الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين ءامنوا وعملوا الصالحات فى جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بأاياتنا فأولائك لهم عذاب مهين (

الحج : (٥٦) الملك يومئذ لله . . . . .

فإن قلت : التنوين في) يومئذ (عن أي جملة ينوب ؟ قلت : تقديره : الملك يوم يؤمنون . أو يوم تزول مريتهم ، لقوله :) ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه حتى تأتيهم الساعة (.

) والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم حليم (

الحج : (٥٨) والذين هاجروا في . . . . .

لما جمعتهم المهاجرة في سبيل الله سوى بينهم في الموعد ، وأن يعطى من مات منهم مثل ما يعطي من

---

(١) بحر العلوم . ، ٣٢٩/٣

قتل تفضلا منه وإحسانا . والله عليم بدرجات العاملين ومراتب استحقاقهم) حليم (عن تفريط المفرط منهم بفضله وكرمه ، روي أن طوائف من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ورضي عنهم قالوا : يا نبي الله ، هؤلاء الذي قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا ، فما لنا إن متنا معك ؟ فأنزل الله هاتين الآيتين .

) ذالك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله إن الله لعفو غفور (

الحج : (٦٠) ذلك ومن عاقب . . . . .

تسمية الابتداء بالجزاء لملابسته له من حيث أنه سبب وذاك مسبب عنه كما يحملون." [١]

"" صفحة رقم ٤٠٦ "

فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم وهو مليم (

الذاريات : (٣٨ - ٣٩) وفي موسى إذ . . . . .

) وفى موسى (عطف على) وفى الارض ءايات (أو على قوله :) وتركنا فيها ءاية (على معنى : وجعلنا في موسى آية كقوله : علفتها تبنا وماء باردا ؛

) فتولى بركنه (فأزور ، وأعرض ، كقوله تعالى :) ونأى بجانبه ((فصلت : ٥١) وقيل : فتولى بما كان يتقوى به من جنوده وملكه . وقرىء : (بركنه) ، بضم الكاف) وقال ساحر (أي هو ساحر

الذاريات : (٤٠) فأخذناه وجنوده فنبذناهم . . . . .

) مليم (آت بما يلام عليه من كفره وعناده ، والجملة مع الواو حال من الضمير في فأخذناه . فإن قلت : كيف وصف نبي الله يونس صلوات الله عليه بما وصف به فرعون في قوله تعالى :) فالتقمه الحوت وهو مليم ((الصافات : ١٤٢) ؟ قلت : موجبات اللوم تختلف وعلى حسب اختلافهما تختلف مقادير اللوم ، فراكب الكبيرة ملوم على مقدارها ، وكذلك مقترف الصغيرة . ألا ترى إلى قوله تعالى) وعصوا رسله ((هود : ٥٩) ،) وعصى ءادم ربه ((طه : ١٢١) لأن الكبيرة والصغيرة يجمعهما اسم العصيان ، كما يجمعهما اسم القبيح والسيئة .

) وفى عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شىء أتت عليه إلا جعلته كالرميم (

الذاريات : (٤١) وفي عاد إذ . . . . .

) العقيم (التي لا خير فيها من إنشاء مطر أو إلقاح شجر ، وهي ريح الهلاك . واختلف فيها : فعن علي

---

(١) تفسير الكشاف . ، ١٦٨/٣

رضي الله عنه : النكباء . وعن ابن عباس : الدبور . وعن ابن المسيب : الجنوب . الرميم : كل ما رم أي بلى وتفتت من عظم أو نبات أو غير ذلك .

) وفى ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين (

الذاريات : (٤٣) وفي ثمود إذ . . . . .

) حتى حين (تفسيره قوله :) تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ((هود : ٦٥)) فعتوا عن أمر ربهم (فاستكبروا عن امتثاله . وقرىء : (الصعقة) وهي المرة ، من مصدر صعقتهم الصاعقة : والصاعقة النازلة نفسها) وهم ينظرون (كانت نهارا يعاينونها . وروى أن العمالقة كانوا معهم في الوادي ينظرون إليهم وما ضرتهم) فما استطاعوا من قيام (كقوله تعالى :) فأصبحوا في دارهم جاثمين ((العنكبوت : ٣٧) وقيل : هو من قولهم : ما يقوم به ، إذا عجز عن دفعه) منتصرين (ممتنعين من العذاب .

) وقوم نوح من قبل إنهم كانوا قوما فاسقين (

الذاريات : (٤٦) وقوم نوح من . . . . .

) وقوم (قرىء : بالجر على معنى : وفي قوم نوح وتقويه قراءة عبد الله : وفي قوم نوح . وبالنصب على معنى : وأهلكنا قوم نوح ؛ لأن ما قبله يدل عليه . أو واذكر قوم نوح .." (١)

"حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿ﷺوإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ [الأعراف: ٦٥] ، " إن عادا أتاهم هود، فوعظهم وذكرهم بما قص الله في القرآن. فكذبوه وكفروا، وسألوه أن يأتيهم العذاب، فقال لهم: ﴿إنما العلم عند الله وأبلغكم ما أرسلت به﴾ [الأحقاف: ٢٣] ، وإن عادا أصابهم حين كفروا قحوط المطر، حتى جهدوا لذلك جهدا شديدا، وذلك أن هودا دعا عليهم، فبعث الله عليهم الريح العقيم، وهي الريح التي لا تلقح الشجر، فلما نظروا إليها قالوا: ﴿هذا عارض ممطرنا﴾ [الأحقاف: ٢٤] ، فلما دنت منهم نظروا إلى الإبل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والأرض، فلما رأوها تنادوا: البيوت فلما دخلوا البيوت دخلت عليهم فأهلكتهم فيها، ثم أخرجتهم من البيوت، فأصابتهم في يوم نحس، والنحس: هو الشؤم، ومستمر استمر عليهم العذاب سبع ليال وثمانية أيام حسوما، حسمت كل شيء مرت به. فلما أخرجتهم من البيوت -[٢٧٩]- قال الله: ﴿تنزع الناس﴾ [القمر: ٢٠] من البيوت، ﴿كأنهم أعجاز نخل منقعر﴾ [القمر:

(١) تفسير الكشاف . ، ٤٠٦/٤

٢٠] ، انقعر من أصوله، خاوية: خوت فسقطت. فلما أهلكهم الله، أرسل إليهم طيرا سودا، فنقلتهم إلى البحر فألقتهم فيه، فذلك قوله: ﴿فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم﴾ [الأحقاف: ٢٥] ، ولم تخرج ريح قط إلا بمكيال إلا يومئذ، فإنها عتت على الخزنة فغلبتهم، فلم يعلموا كم كان مكيالها، وذلك قوله: ﴿فأهلكوا بريح صرصر عاتية﴾ [الحاقة: ٦] ، والصرصر: ذات الصوت الشديد "." (١)

"وكذلك تفعل العرب في كل شيء اتسع. واختلف أهل العربية في وجه وصف الرياح باللقح، وإنما هي ملقحة لا لاقحة، وذلك أنها تلقح السحاب والشجر، وإنما توصف باللقح الملقوحة لا الملقح، كما يقال: ناقة لاقح، وكان بعض نحويي البصرة يقول: قيل: الرياح لواقح، فجعلها على لاقح، كأن الرياح لقحت، لأن فيها خيرا فقد لقحت بخير. قال: وقال بعضهم: الرياح تلقح السحاب، فهذا يدل على ذلك المعنى، لأنها إذا أنشأته وفيها خير وصل ذلك إليه، وكان بعض نحويي الكوفة يقول: في ذلك معنيان: أحدهما أن يجعل الريح هي التي تلقح بمرورها على التراب والماء فيكون فيها اللقاح، فيقال: ريح لاقح، كما يقال: ناقة لاقح، قال: ويشهد على ذلك أنه وصف ريح العذاب فقال: ﴿عليهم الريح العقيم﴾ [الذاريات: ٤١] فجعلها عقيما إذا لم تلقح. قال: والوجه الآخر أن يكون وصفها باللقح وإن كانت تلقح، كما قيل: ليل نائم، والنوم فيه، وسر كاتم، وكما قيل: المبروز والمختوم، فجعل مبروزا ولم يقل مبرزا بناه على غير فعله، أي أن ذلك من." (٢)

"حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: ﴿عذاب يوم عقيم﴾ [الحج: ٥٥] قال: " ﷺهو يوم بدر عن أبي بن كعب وهذا القول الثاني أولى بتأويل الآية؛ لأنه لا وجه لأن يقال: لا يزالون في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة، أو تأتيهم الساعة؛ وذلك أن الساعة هي يوم القيامة، فإن كان **اليوم العقيم أيضا** هو يوم القيامة فإنما معناه ما قلنا من تكرير ذكر الساعة مرتين باختلاف الألفاظ، وذلك ما لا معنى له. فإذ كان ذلك كذلك، فأولى التأويلين به أصحهما معنى ، وأشبههما بالمعروف في الخطاب، وهو ما ذكرنا في -[٦١٨]- معناه. فتأويل الكلام إذن: ولا يزال الذين كفروا في مرية منه، حتى تأتيهم الساعة بغتة فيصيروا إلى العذاب العقيم، أو يأتيهم عذاب يوم عقيم له ، فلا ينظروا فيه إلى الليل ، ولا يؤخروا فيه إلى المساء، لكنهم يقتلون قبل المساء." (٣)

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٢٧٨/١٠

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٤٢/١٤

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٦١٧/١٦

"ﷺالقول في تأويل قوله تعالى: ﴿وفي عاد إذ أرسلنا عليهم **الريح العقيم ما** تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم﴾ [الذاريات: ٤٢]-[٥٣٧]- يقول تعالى ذكره: ﴿وفي عاد﴾ [الذاريات: ٤١] أيضا، وما فعلنا بهم لهم آية وعبرة ﴿إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾ [الذاريات: ٤١] يعني بالريح العقيم: التي لا تلقح الشجر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل." (١)

"ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن حميد قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن خصيف، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: " ﷺالريح العقيم: الريح الشديدة التي لا تلقح شيئا "." (٢)

"حدثني محمد بن سعد قال: ثني أبي قال: ثني عمي، ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿ﷺالريح العقيم﴾ [الذاريات: ٤١] قال: «لا تلقح الشجر، ولا تثير السحاب»." (٣)

"حدثنا محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء، جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، هذا **الريح العقيم قال**: «ﷺليس فيها رحمة ولا نبات، ولا تلقح نباتا»." (٤)

"حدثنا ابن المثنى قال: ثنا سليمان أبو داود قال: أخبرنا شعبة، عن شاس قال: سمعت الضحاك، يقول في قوله: ﴿ﷺالريح العقيم﴾ [الذاريات: ٤١] قال: «لا -[٥٣٨]- تلقح»." (٥)

"حدثنا محمد بن عبد الله الهلالي قال: ثنا أبو علي الحنفي قال: ثنا ابن أبي ذئب، عن الحارث بن عبد الرحمن، عن سعيد بن المسيب، أنه كان يقول: ﴿ﷺالريح العقيم﴾ [الذاريات: ٤١] «الجنوب»." (٦)

"حدثني يعقوب قال: ثنا هشيم قال: أخبرنا شيخ من أهل خراسان من الأزد، ويكنى أبا ساسان قال: سألت الضحاك بن مزاحم، عن قوله: ﴿ﷺالريح العقيم﴾ [الذاريات: ٤١] قال: «الريح التي ليس فيها بركة ولا تلقح الشجر»." (٧)

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥٣٦/٢١
(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥٣٧/٢١
(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥٣٧/٢١
(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥٣٧/٢١
(٥) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥٣٧/٢١
(٦) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥٣٨/٢١
(٧) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥٣٨/٢١

"حدثنا ابن عبد الأعلى قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿ﷺالريح العقيم﴾ [الذاريات: ٤١] قال: «الريح التي لا تنبت»." (١)

"حدثت عن الحسين قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿ﷺالريح العقيم﴾ [الذاريات: ٤١] «التي لا تلقح شيئا»." (٢)

"حدثني ابن حميد قال: ثنا مهران، عن سفيان قال ﴿ﷺالريح العقيم﴾ [الذاريات: ٤١] «التي لا تنبت شيئا»." (٣)

"حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿ﷺوفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾ [الذاريات: ٤١] قال: «إن الله تبارك وتعالى يرسل الريح بشرا -[٥٤٠]- بين يدي رحمته، فيحيي به الأصل والشجر، وهذه لا تلقح ولا تحيي، هي عقيم ليس فيها من الخير شيء، إنما هي عذاب لا تلقح شيئا، وهذا تلقح» ، وقرأ ﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾ [الحجر: ٢٢]." (٤)

"حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾ [الذاريات: ٤١] «إن من الريح عقيما وعذابا حين ترسل لا تلقح شيئا، ومن الريح رحمة يثير الله تبارك وتعالى بها السحاب، وينزل بها الغيث» وذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «ﷺنصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور» حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن ابن عباس، بمثله." (٥)

"حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿إن الإنسان خلق هلوعا﴾ [المعارج: ١٩] إلى قوله: ﴿دائمون﴾ [المعارج: ٢٣] ذكر لنا أن دانيال نعت أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال: ﷺيصلون صلاة لو صلاها قوم نوح ما غرقوا، أو عاد ما أرسلت عليهم الريح العقيم، أو ثمود ما أخذتهم الصيحة، فعليكم بالصلاة فإنها خلق للمؤمنين حسن." (٦)

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥٣٩/٢١

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥٣٩/٢١

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥٣٩/٢١

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥٣٩/٢١

(٥) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥٣٩/٢١

(٦) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٢٦٨/٢٣

"وكان أول من أبصر ما فيها وعرف إنها ريح امرأة من عاد يقال لها: مهدر، فلما أتت عليهم صاحت وصعقت. فلما أفاقت قالوا: ماذا رأيت؟ قالت: رأيت ريحها فيها كشهب النار أمامها رجال يقودونها سخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما «١» أي دائمة فلم يدع من عاد أحدا إلا هلك.

فاعتزل هود (عليه السلام) ومن معه من المؤمنين في حظيرة ما يصيبها ومن ريح إلا ما تلين عليه الجلود وتلتذ الأنفس. وإنها لترتفع بعاد والظعن إلى ما بين السماء والأرض وتدفعهم بالحجارة.

وخرج وفد عاد من مكة حتى مروا بمعاوية بن بكر فنزلوا عليه فبينما هم عنده إذا أقبل رجل على ناقة له في ليلة مقمرة مساء ثالثة من مصاب عاد فأخبرهم الخبر. فقالوا له: فأين فارقت هود وأصحابه؟ قال: فارقتهم بساحل البحر وكأنهم شكوا فيما حدثهم به فقالت هذيلة بنت بكر:

صدق ورب مكة.

وذكروا أن مراد بن سعد ولقمان بن عاد، وقيل: بن عنز حين دعوا بمكة قيل لهم قد أعطيتهم مناكم فاختاروا لأنفسكم إلا أنه لا سبيل إلى الخلود ولا بد من الموت فقال مهد: اللهم أعطني [برا وصدقا] فأعطي ذلك.

وقال لقمان: أعطني يا رب عمرا، فقيل له: اختر لنفسك بقاء سبع بعرات «٢» سمر من أظب عفر في جبل وعر لا يمسها القطر، أو بقاء سبعة أنسر إذا مضى نسر خلف بعده نسر واختار سبعة أنسر فعمر لقمان عمر سبعة أنسر يأخذ الفرخ حين يخرج من بيضة ويأخذ الذكر منها لقوته حتى إذا مات أخذ غيره، ولم يزل يفعل ذلك حتى على السابع، وكان كل نسر يعيش مائتي سنة وكان آخرها لبد، فلما مات لبد مات لقمان معه.

وأما قيل: فإنه اختار أن يصيبه ما أصاب قومه فقيل له: أنه الهلاك فقال: لا أبالي لا حاجة لي في البقاء بعدهم فأصابه الذي أصاب عادا من العذاب فهلك «٣» .

عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده قال: أوحى الله إلى **الريح العقيم أن** تخرج على قوم عاد فتنتقم له منهم، فخرجت بغير كيل على قدر منخر ثور حتى رجفت الأرض ما بين المشرق والمغرب فقال [الخزان] يا رب لن نطيقها، ولو خرجت على حالها لأهلكت ما بين مشارق الأرض ومغاربها فأوحى الله إليها أن ارجعي فاخرجي على قدر خرق الخاتم [فرجعت] فخرجت على قدر خرق الخاتم وهي الخلقة «٤» .

---

(١) سورة الحاقة: ٧

. (٢) بهامش تفسير القرطبي (١٩/ ٢٥) : «في نسخة: بقرات» وهو مخالف لما في صحاح الجوهري:

٢/ ٥٣٤

. (٣) بطوله في تفسير الطبري: ٨/ ٢٨٢ ح ١١٤٩٣

. (٤) الدر المنثور: ٣/ ٩٦ [.....]

.." (١)

"عن عاصم بن عمرو والبجلي عن أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يبيت قوم من هذه الأمة على طعام وشراب ولهو فيصبحون قردة وخنازير وليصيبنهم خسف وقذف فيقولون: لقد خسف الليلة [ببني] فلان وخسف الليلة بدار فلان وليرسلن عليهم الريح العقيم التي أهلكت عادا بشربهم الخمور وأكلهم الربا واتخاذهم القينات ولبسهم الحرير وقطعهم الأرحام» [١٨٨] «١» .

وفي الخبر: أنه أرسل عليهم من الريح قدر ما تجري في خاتم

، قال السدي: بعث الله إلى عاد الريح العقيم فلما دنت منهم نظروا إلى [الإبل] والرجال تطير بهم الريح من السماء والأرض فلما رأوها [بادروا] إلى البيوت فلما دخلوا البيوت دخلت عليهم وأهلكتهم فيها ثم أخرجتهم من البيوت، فلما أهلكهم الله أرسل عليهم طيرا سودا فلقطتهم إلى البحر وألقتهم فيه ولم تخرج ريح قط إلا مكيال إلا يومئذ فإنها عتت على الخزنة فقلبتهم فلم يعلموا كم مكيالها.

وقال أبو الطفيل عامر بن واثلة: سمعت علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يقول لرجل من حضرموت: هل رأيت كثبا أحمر يخالطه مدرة حمراء وسدر كثير بناحية كذا وكذا من حضرموت، قال: نعم يا أمير المؤمنين، والله إنك لتنعته نعت رجل قد رآه، وقال: ولكني قد حدثت عنه، فقال الحضرمي: [وما شأنه] يا أمير المؤمنين؟ قال: فيه قبر هود- صلوات الله عليه- «٢» .

عطاء بن السائب عن عبد الرحمن بن سابط أنه قال: بين الركن والمقام وزمزم قبر تسعة وتسعين نبيا وإن قبر هود وشعيب وصالح وإسماعيل في تلك البقعة.

وفي رواية أخرى: وكان النبي من الأنبياء إذا هلك قومه ونجا هو والصالحون معه إلى مكة بمن معه فيعبدون الله فيها حتى يموتوا.

---

(١) تاريخ دمشق: ٢٥/ ٢٨٤

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٢٤٩/٤

. (٢) المستدرك: ٢/ ٥٦٤
..". (١)

"قال ابن مسعود: وما من أرض أمطر من أرض، وما عام أمطر من عام ولكن الله يقسمه ويقدره في الأرض كيف يشاء عاما هاهنا وعاما هاهنا ثم قرأ هذه الآية.

وروى إسماعيل بن سالم عن الحكم بن عيينة في هذه الآية: ما من عام بأكثر مطرا من عام ولكن يمطر قوم ويحرم آخرون وربما كان في البحار والقفار قال: وبلغنا أنه ينزل مع المطر من الملائكة أكثر من عدد ولد إبليس وولد آدم يحصون كل قطرة حيث يقع وما ينبت.

جعفر بن محمد عن أبيه عن جده أنه قال: «في العرش مثال كل شيء خلقه الله في البر والبحر. وهو تأويل قوله تعالى: وإن من شيء إلا عندنا خزائنه»

[١٧٦] «١» .

[سورة الحجر (١٥) : الآيات ٢٢ الى ٢٧]

وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين (٢٢) وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون (٢٣) ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين (٢٤) وإن ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم (٢٥) ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون (٢٦)

والجان خلقناه من قبل من نار السموم (٢٧)

وأرسلنا الرياح قرأ العامة بالجمع لأنها موصوفة وهو قوله: لواقح، وقرأ بعض أهل الكوفة: الريح على الواحد وهو في معنى الجمع أيضا وإن كان لفظها لفظ الواحد، لأنه يقال: جاءت الريح من كل جانب، وهو مثل قوله: أرض سباسب وثوب أخلاق، وكذلك تفعل العرب في كل شيء اتسع، وقول العلماء في وجه وصف الرياح: باللقح، وإنما هي ملقحة لأنها تلقح السحاب والشجر.

فقال قوم: معناها حوامل لأنها تحمل الماء والخير والنفع لاقحة كما يقال: ناقة لاقحة إذا حملت الولد، ويشهد على هذا قوله: **الريح العقيم فجعلها** عقيما إذا لم تلقح ولم يكن فيها ماء ولا خير، فمن هذا التأويل قول ابن مسعود في هذه الآية قال: يرسل الله الريح فتحمل الماء فيمري السحاب فتدر كما تدر اللقحة ثم يمطر.

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٤/ ٢٥٠

قال الطرماح:

لأفنان الرياح للاقح ... ةال منها وحائل «٢»

وقال الفراء: أراد ذات لقح. كقول العرب: رجل نابل ورامح وتامر.

قال أبو عبيدة: أراد ملاقح جمع ملقحة كما في الحديث «أعوذ بالله من كل لامة» أي ملمة.

---

(١) تفسير القرطبي: ١٠/ ١٥.

(٢) انظر: زاد المسير: ٤/ ٢٨٨.." (١)

"بكل ما أمر به.

وقال السري بن المغلس السقطي: التوبة صدق العزيمة على ترك الذنوب، والإنابة بالقلب إلى علام الغيوب، والندامة على ما فرط من العيوب، والاستقصاء في المحاسبة مع النفس بالاستكانة والخضوع.

وقال عمرو بن عثمان: ملاك التوبة إصلاح القوت.

وسمعت أبا القاسم بن أبي بكر بن عبد الله البابي، يقول: سمعت أبا يعلي حمزة بن وهب الطبري، يقول: سمعت الحسن بن علوية الدامغاني، يقول: سمعت يحيى بن معاذ، وسئل: من التائب؟ فقال: من كسر شبابه على رأسه وكسر الدنيا على رأس الشيطان، ولزم الفطام حتى أتاه الحمام.

وقال سهل بن عبد الله: التوبة، الانتقال من الأحوال المذمومة إلى الأحوال المحمودة، وسئل ابن الحسن البوشيخي: عن التوبة؟ فقال: إذا ذكرت الذنب فلا تجد حلاوته في قلبك.

وقال الراعي: التوبة ترك المعاصي نية وفعلا، والإقبال على الطاعة نية وفعلا، وسمعت أبا القاسم الحبيبي، يقول: سمعت أبا عبد الله محمد بن عماد البغدادي، يقول: سئل جنيد: من التائب؟

فقال: من تاب عما دون الله.

وقال شاه الكرماني «١» : اترك الدنيا وقد تبت وخالف هواك وقد وصلت، ويعفو عن السيئات إذا تابوا فيمحوها.

أخبرنا الحسن بن محمد بن الحسن بن جعفر، حدثنا أبي، حدثنا جعفر بن سواد، حدثنا عطية بن لفته، حدثنا أبي، حدثنا الزبيري، عن الزهري عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة.

قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى أفرح بتوبة عبده المؤمن من الضال الواجد، ومن

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٥/٣٣٦

العقيم الوالد، ومن الظمآن الوارد. فمن تاب إلى الله تعالى توبة نصوحا أنسى الله حافظيه وبقاع الأرض خطاياه وذنوبه «٢» » . أو قال: «ذنوبه وخطاياه» [١٨٢] .

ويعلم ما تفعلون. قرأ الأعمش وحمزة والكسائي وخلف بالتاء، وهي قراءة عبد الله وأصحابه، ورواية حفص عن عاصم غيرهم بالياء، وهي اختيار أبي عبيد، قال: لأنه لمن خبرني عن قوم. قال قبله: عن عباده، وقال بعده: ويزيدهم من فضله.

---

(١) المتوفي سنة ٢٧٠ هـ، واسمه شاه بن شجاع الكرماني أبو الفوارس، راجع الوافي: ١٤/ ٢٣.

(٢) كنز العمال: ٤/ ٢٠٥/ ح ١٠١٦٦.." (١)

"قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو أن أحدكم فر من رزقه لتبعه كما يتبعه الموت»

[٩٧] «١» وأنشدت في معناه:

الرزق في القرب وفي البعد ... أطلب للعبد من العبد

لو قصر الطالب في سعيه ... أتاه ما قدر في قصد

وقال دعبل:

أسعى لأطلب رزقي وهو يطلبني ... والرزق أكثر لي مني له طلبا

«٢»

[سورة الذاريات (٥١) : الآيات ٢٤ الى ٤٥]

هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين (٢٤) إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون (٢٥) فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين (٢٦) فقربه إليهم قال ألا تأكلون (٢٧) فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم (٢٨)

فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم (٢٩) قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم (٣٠) قال فما خطبكم أيها المرسلون (٣١) قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين (٣٢) لنرسل عليهم حجارة من طين (٣٣)

مسومة عند ربك للمسرفين (٣٤) فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين (٣٥) فما وجدنا فيها غير بيت

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٣١٦/٨

من المسلمين (٣٦) وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم (٣٧) وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين (٣٨)

فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون (٣٩) فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم (٤٠) وفي عاد إذ أرسلنا عليهم **الريح العقيم** (٤١) ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم (٤٢) وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين (٤٣)

فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون (٤٤) فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين (٤٥)

هل أتاك يا محمد حديث ضيف إبراهيم اختلفوا في عددهم فقال ابن عباس ومقاتل: كانوا اثني عشر ملكا، وقال محمد بن كعب: كان جبريل ومعه سبعة، وقال عطاء وجماعة: كانوا ثلاثة: جبريل وميكائيل ومعهما ملك آخر المكرمين قال ابن عباس: سماهم مكرمين لأنهم كانوا غير مدعوين.

وأخبرني محمد بن القاسم بن أحمد الفقيه قال: حدثني عبد الله بن أحمد الشعراني، قال:

أخبرنا عبد الواحد بن محمد بن سعيد الأرعيالي قال: سمعت محمد بن عبد الوهاب يقول: قال لي علي بن غنام: عندي هريسة، ما رأيك فيها؟ قلت: ما أحسن رأيي!، قال: امض، فدخلت الدار فجعل ينادي يا غلام يا غلام، والغلام غائب، فأدخلني بيتا فجلست فيه، فما راعني [إلا معه] «٣» القمقمة والطست وعلى عاتقه المنديل، فقلت: إنا لله يا أبا الحسن لو علمت أن الأمر

---

(١) تفسير القرطبي: ١٧/ ٤٢.

(٢) روضة الواعظين: ٥/ ٤٢٦.

(٣) في المخطوط (إلا به معه) . [.....]."[1]

"وتركنا فيها آية عبرة للذين يخافون العذاب الأليم.

وفي موسى أي وتركنا في إرسال موسى أيضا عبرة- وقال الفراء: هو معطوف على قوله: وفي الأرض آيات ... ، وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين. فتولى فأعرض وأدبر عن الإيمان بركنه بقوته وقومه، نظيره أو آوي إلى ركن شديد يعني المنعة والعشيرة، وقال المؤرخ: بجانبه وقال ساحر أو مجنون قال أبو عبيدة:

(أو) بمعنى (الواو) لأنهم قد قالوهما جميعا، وأنشد بيت جرير:

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٩/١١٦

أثعلبة الفوارس أو رياحا ... عدلت بهم طهية والخشابا «١»

وقد يوضع (أو) بمعنى (الواو) كقوله: آثما أو كفورا و (الواو) بمعنى (أو) كقوله سبحانه: فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع.

خذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم

قد أتى بما يلام عليه.

وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم وهي التي لا تلقح شجرا ولا تنشئ سحابا ولا رحمة فيها [ولا] «٢» بركة.

ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم كالنبت الذي قد يبس وديس.

قال ابن عباس كالشيء الهالك. مقاتل: كالبالي. مجاهد: كالتبن اليابس. قتادة: كرميم الشجر. أبو العالية: كالتراب المدقوق. [قال] يمان: ما رمته الماشية بمرمتها من [الكلأ] «٣» ، ويقال للنسفة: المرمة والمقمة، وقيل: أصله من العظم البالي.

وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين يعني وقت فناء آجالهم.

فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة قال الحسين بن واقد: كل صاعقة في القرآن فهي عذاب وهم ينظرون إليها نهارا.

فما استطاعوا من قيام فما قاموا بعد نزول العذاب بهم ولا قدروا على نهوض به ولا دفاع وما كانوا منتصرين منتقمين منا.

قال قتادة: وما كانت عندهم قوة يمتنعون بها من الله.

[سورة الذاريات (٥١) : الآيات ٤٦ الى ٦٠]

وقوم نوح من قبل إنهم كانوا قوما فاسقين (٤٦) والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون (٤٧) والأرض فرشناها فنعم الماهدون (٤٨) ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون (٤٩) ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين (٥٠)

ولا تجعلوا مع الله إلها آخر إني لكم منه نذير مبين (٥١) كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون (٥٢) أتواصوا به بل هم قوم طاغون (٥٣) فتول عنهم فما أنت بملوم (٥٤) وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين (٥٥)

وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون (٥٦) ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون (٥٧) إن الله هو

الرزاق ذو القوة المتين (٥٨) فإن للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون (٥٩) فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون (٦٠)

---

(١) لسان العرب: ١٥/ ١٧.

(٢) الكلمة غير موجودة في المخطوط، وهي زيادة منا.

(٣) في المخطوط (من الكلاب) .." (١)

"وكان النبي A يقول: " نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور.

وقال علي بن أبي طالب: هي النكباء.

وقال عبيد بن عمير: **الريح العقيم تحت** الأرض الرابعة، وإنما أرسل منها في بلاد عاد بقدر منخر الثور.

وقوله: ﴿كالرميم﴾ معناه كالنبت إذا يبس ودرس، وأصل الرميم: العظم البالي المتقادم.

وقال ابن عباس: كالرميم: كالشيء الهالك، وقال مجاهد: وقال قتادة:." (٢)

"كذلك سالمة من العقم؟ أم يرزقان ذلك على حالتهما؟ فأجابه الله فقال ﴿كذلك الله يفعل ما يشآء﴾، أي: يولد العاقر والشيخ فلا يتعذر عليه شيء أراده.

وقيل: إنما سأل لأنه نسي دعاءه بأن يهب له غلاما، وكان بين دعائه والبشارة بيحيى أربعين عاما.

قوله: ﴿قال رب اجعل [ليا] آية﴾. . . الآية.

معناه: قال زكريا: رب كان هذا الصوت من عندك فاجعل لي علامة تدل على أن ذلك من عندك، فجعل الله آيته أن منعه من الكلام ثلاثة أيام إلا إيماء أو إشارة.

قال قتادة: عوقب بذلك لسؤاله بعد مشافهة الملائكة بالبشارة فسأل الآية على ذلك.

ويروى أن لسانه ربا في فيه حتى أطلقه الله بعد ثلاث. وأكثر أهل التفسير على أن الله جعل احتباس لسانه عن الكلام علامة يعلم بها الوقت الذي يهب له فيه الغلام، وليس بعقوبة.." (٣)

"نسبا، فأمرهم أن يوحدوا الله (تعالى)، ولا يجعلوا مع الله إلها غيره، وأن يكفروا عن ظلم الناس، لم يأمرهم بغير ذلك فأبوا (تصديقه) وكذبوه وقالوا:

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١١٨/٩

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٧١٠١/١١

(٣) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ١٠٠٧/٢

﴿من أشد منا قوة﴾ [فصلت: ١٥]، واتبعه منهم ناس يسير مستترون بإيمانهم.
قال السدي: فبعث الله (D) عليهم الريح العقيم، فلما نظروا إليها: قالوا: ﴿هذا عارض ممطرنا﴾ [الأحقاف: ٢٤]، فلما جنت منهم، نظروا إلى الإبل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والأرض، فلما رأوها، تبادروا البيوت، فلما دخلوا البيوت، دخلت عليهم فأهلكتهم فيها، ثم أخرجتهم من البيوت، فأصابتهم في يوم نحس مستمر عليهم العذاب ﴿سبع ليال وثمانية أيام حسوما﴾ [الحاقة: ٧]، أي: حسمت كل شيء مرت به. فكانوا: كأعجاز نخل منقعر، أي: انقعر من أصوله، وكأعجاز نخل خاوية، أي: خوت فسقطت، فلما أهلكهم الله (D) أرسل عليهم طيرا سودا، فنقلتهم إلى البحر." (١)

"٨٩ - قوله تعالى: ﴿ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي﴾، قال ابن عباس (١) والحسن (٢) وقتادة (٣): لا يحملنكم، وقال الفراء (٤) والزجاج (٥): لا يكسبنكم، وقد مر في سورة المائدة (٦).
قوله تعالى: ﴿شقاقي﴾ أي خلافي وعداوتي.
وقوله تعالى: ﴿أن يصيبكم﴾، (أن) في محل النصب؛ لأنه المفعول الثاني لقوله: ﴿يجرمنكم﴾.
ومعنى الآية (٧): لا تكسبنكم معاداتكم إياي أن يصيبكم عذاب العاجلة ﴿مثل ما أصاب قوم نوح﴾ من الغرق ﴿أو قوم هود﴾ من **الريح العقيم** ﴿أو قوم صالح﴾ من الرجفة والصيحة.
﴿وما قوم لوط منكم ببعيد﴾، قال ابن عباس (٨): يريد (٩): قد كنتم

= قال: "ذاك خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه فيما يرادهم به، فلما كذبوه وتوعدوه بالرجم والنفي من بلاده، وعتوا على الله، أخذهم عذاب يوم الظلة ... إلخ".
(١) ذكر هذا القول من غير عزو الثعلبي ٧/ ٥٤ ب، البغوي ٤/ ١٩٦.
(٢) القرطبي ٩/ ٩٠.
(٣) الطبري ١٢/ ١٠٤، والقرطبي ٩/ ٩٠، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٧٤، وأبو الشيخ كما في "الدر" ٣/ ٦٢٨.
(٤) "معاني القرآن" ٢/ ٢٦.
(٥) "معاني القرآن وإعرابه" ٣/ ٧٤.
(٦) عند قوله تعالى: ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم﴾ [آية: ٢].

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٢٤٢٣/٤

(٧) ساقط من (ي).

(٨) إسحاق بن بشر، وابن عساكر كما في "الدر" ٣/ ٦٢٨ - ٦٢٩.

(٩) ساقط من (ي).." (١)

"بمنزلة الولد الذي تنتجه الناقة، وهذا كما تقول العرب: قد لقحت الحرب وقد نتجت ولدا أنكدا (١)، يشبهون ما تشتمك عليه من (٢) ضروب الشر بما تحمله الناقة، ويشبهون بما يتولد منها من القتل والنهب بما تضعه الناقة (٣)، يشهد لصحة هذا قول الشاعر (٤):

لقحت حرب وائل عن حيال (٥)

والرياح العقيم غير لاقح، إذا لم تحمل ما يتولد منه مطر ويصدر عنه روح وفرح (٦).

---

(١) الكلمة غير واضحة في جميع النسخ كأنها: أيلد، والتصويب من "تفسير الفخر الرازي" ١٩/ ١٧٦ والنكد: الشؤم واللؤم، وكل شي جر على صاحبه شرا فهو نكد ونكد، وصاحبه أنكد ونكد. "المحيط في اللغة" (نكد) ٦/ ٢١٤.

(٢) ساقطة من (أ)، (د).

(٣) "تفسير ابن الجوزي" ٤/ ٣٩٤ ورد مختصرا، الفخر الرازي ١٩/ ١٧٦ ورد مختصرا غير منسوب.

(٤) هو الحارث بن عباد (جاهلي).

(٥) وقدره:

قربا مربط النعامة مني

ورد في "الأصمعيات" ص ٧١، "الحيوان" ٤/ ٣٦١، "أمالي القالي" ٢/ ١٣١، "الأزهية" ص ٢٨٠، " الاقتضاب" ص ٤٤٣، "شرح الجواليقي" ص ٢٦٦، "أمالي ابن الشجري" ٢/ ٦١٢، "الحماسة البصرية" ١/ ١٦، وورد بلا نسبة في: "معاني الحروف" للرماني ص ٩٥، "المنصف" ٣/ ٥٩ (النعامة) اسم فرسه، (المربط) الموضع الذي تربط فيه، (لقحت) حملت، (عن حيال) بعد حيال؛ أراد أنها هاجت بعد سكونها، يقول ابن السيد: والحيال: أن تضرب الناقة فلا تحمل، وإنما ضرب ذلك مثلا لما تولد عن العرب وأنتج

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٥٣٠/١١

منها من الأمور التي لم تكن تحتسب بعد ذلك.

(٦) خلاصة القول في (لواقح) أن فيها ثلاثة أقوال: أن الرياح ملقحة، أو لاقحة، أو =." (١)

"وقال أبو إسحاق: (معناه كان الكافر، ويدل عليه قوله: ﴿ويجادل الذين كفروا بالباطل﴾ [الكهف: ٥٦] الآية. وإن قيل: هل يجادل غير الإنسان؟ قيل: إن إبليس قد جادل، وإن كل ما يعقل من الملائكة، والجن يجادل، ولكن الإنسان أكثر هذه الأشياء جدلا) (١) (٢).

٥٥ - قوله تعالى: ﴿وما منع الناس﴾ قال ابن عباس: (يريد أهل مكة) (٣). ﴿أن يؤمنوا﴾ أي: الإيمان ﴿إذ جاءهم الهدى﴾ محمد -صلى الله عليه وسلم- جاءهم من الله بالرشاد والبيان (٤). وهذا مفسر في سورة بني إسرائيل (٥).

وقوله تعالى: ﴿ويستغفروا ربهم﴾ عطف على أن يؤمنوا.

وقوله تعالى: ﴿إلا أن تأتيهم سنة الأولين﴾ قال صاحب النظم: (﴿سنة الأولين﴾ أنهم إذا تمردوا ولم يؤمنوا أن يعذبوا ويهلكوا) (٦).

---

(١) "معاني القرآن" للزجاج ٣/ ٢٩٦.

(٢) الأولى -والله أعلم- أن تكون عامة في المؤمن والكافر، ويؤيد هذا ما ثبت في "الصحيحين" وغيرهما من حديث علي -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- طرقه وفاطمة ليلا فقال: ألا تصليان؟ فقلت: يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله إن شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إلى شيئا، ثم سمعته يضرب فخذه ويقول: ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلا﴾ [الكهف: ٥٤].

(٣) ذكرته كتب التفسير بلا نسبة. انظر: "المحرر الوجيز" ٩/ ٣٣٩، "الجامع لأحكام القرآن" ١٠/ ١١٠، "روح المعاني" ١٥/ ٣٠٠.

(٤) "معالم التنزيل" ٥/ ١٨٢، "فتح القدير" ٣/ ٤٢٢.

(٥) عند قوله سبحانه في سورة الإسراء الآية رقم (٩٤): ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا﴾.

(٦) لم أقف عليه. ويشهد لهذا عدد من الآيات التي تحققت فيها سنته سبحانه في إهلاك من كفر وصد

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٥٨٣/١٢

عن سبيله فعم قوم نوح الغرق، وأهلكت عاد الريح العقيم، وأخذت ثمود الصيحة، وقلبت على اللوطية ديارهم فجعل الله عاليها سافله، قال سبحانه =." (١)

". . . . .

= ولا يعتدون بتعجيز المعجزين، ولا بهزء المستهزئين إلى أي يظهر الحق بالمجاهدة، وينتصر على الباطل بالمجالدة. فينسخ الله تلك الشبه ويجتثها من أصولها، ويثبت آياته ويقررها. وقد وضع الله هذه السنة في الناس ليتميز الخبيث من الطيب، فيفتتن الذين في قلوبهم مرض، وهم ضعفاء العقول، بتلك الشبه والوساوس، فينطلقون وراءها. ويفتتن بها القاسية قلوبهم من أهل العناد والمجاحدة، فيتخذونها سندا يعتمدون عليها في جدلهم. ثم يتمحص الحق عند الذين أتوا العلم، ويخلص لهم بعد ورود كل شبهة عليه، فيعلمون أن الحق من ربك فيصدقون به، فتخبت وتئن له قلوبهم. والذين أوتوا العلم هم الذين رزقوا قوة التمييز بين البرهان القاطع الذي يستقر بالعقل في قرارة اليقين. وبين المغالطات وضروب السفسطة التي تطيش بالفهم، وتطير به مع الوهم، وتأخذ بالعقل تارة ذات الشمال وأخرى ذات اليمين. وسواء أرجعت الضمير في (أنه الحق) إلى ما جاءت به الآيات المحكمات من الهدى الإلهي أو إلى القرآن، وهو أجلها، فالمعنى من الصحة على ما يراه أهل التمكين هؤلاء الذين أتوا العلم هم الذين آمنوا. وهم الذين هداهم الله إلى الصراط المستقيم. ولم يجعل للوهم عليها سلطانا، فيحيد بهم عن ذلك النهج القويم. وأما الذين كفروا وهم ضعفاء العقول ومرضى القلوب، أو أهل العناد وزعماء الباطل وقساة الطباع، الذين لا تلين أفئدتهم ولا تبش للحق قلوبهم، فأولئك لا يزالون في ريب في الحق أو الكتاب. لا تستقر عقولهم عليه، ولا يرجعون في متصرفات شئونهم إليه. حتى تأتي ساعة هلاكهم بغتة، فيلاقوا حسابهم عند ربهم. أو إن امتد بهم الزمن، ومادهم الأجل، فسيصيبهم عذاب يوم عقيم. يوم حرب يسامون فيه سوء العذاب، القتل أو الأسر. ويقذفون إلى مطارح الذل وقرارات الشر. فلا ينتج لهم من ذلك اليوم خير ولا بركة، بل يسلبون ما كان لديهم ويساقون إلى مصارع الهلكة. وهذا هو العقم في أتم معانيه وأشأم درجاته. ما أقرب هذه الآيات من مغازيها، إلى قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب﴾ [آل عمران: ٧]، وقد قال بعد ذلك:

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٥٨/١٤

﴿إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك هم وقود النار﴾ [آل عمران: ١٠]

ثم قال: =." [١]

"أنهم يترددون في حيرتهم (١) وشكهم إلى أن تفجأهم الساعة أو يقتلوا، وهو قوله ﴿أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾.

قال أبو إسحاق: أصل [العقم] (**٢**). **العقم في** الولادة. قال: هذه امرأة عقيم، كما قال الله -عز وجل-: ﴿عجوز عقيم﴾ [الذاريات: ٢٩] وكذلك: رجل عقيم، إذا كان لا يولد له (٣).

الأصمعي: يقال: عقام وعقيم (٤) مثل بجال وبجيل (٥).

وجمعها: عقم، ويقال: عقمت المرأة فهي معقومة وقد عقم الله رحمها وأعقمها (٦).

وروى عمرو (٧)، عن أبيه: عقمت المرأة تعقم عقما، وعقمت تعقم عقما، وعقمت تعقم عقما (٨)، وهي عقيم إذا كانت لا تحمل (٩).

(١) في (أ): (حياتهم).

(٢) زيادة من "معاني القرآن" للزجاج.

(٣) "معاني القرآن" للزجاج ٣/ ٤٣٤.

(٤) كسحاب وأمير. قاله الفيروزآبادي ٤/ ١٥٢.

(٥) "تهذيب اللغة" للأزهري ١/ ٢٨٨ (عقم) من رواية أبي عبيد، عن الأصمعي.

قال ابن منظور: رجل بجال وبجيل: يبجله الناس. وقيل: هو الشيخ الكبير العظيم السيد مع جمال ونبل. "لسان العرب" ١١/ ٤٤ (بجل).

(٦) من قوله: (وجمعها ...) إلى هنا، هذا كلام أبي الهيثم كما في "تهذيب اللغة" للأزهري ١/ ٢٨٨ (عق)، دون قوله: وأعقمها.

(٧) هو: عمرو بن إسحاق بن مرار، الشيباني، اللغوي.

(٨) كفرح ونصر وكرم. قاله الفيروزابادي ٤/ ١٥٢.

(٩) "تهذيب اللغة" للأزهري ١/ ٢٨٩ (عقم) من رواية عمرو عن أبيه.." [٢]

(١) التفسير البسيط الواحدي ٤٦٦/١٥

(٢) التفسير البسيط الواحدي ٤٧٤/١٥

"وقال أبو العباس: عقمت المرأة إذا لم تحمل، وهي عقيم (١).

وأنشد أبو إسحاق (٢):

عقم النساء فما يلدن ... شبيهه إن النساء بمثله عقم

وأصل هذا من العقم، وهو القطع. ومنه يقال: الملك عقيم؛ لأنه تقطع فيه الأرحام بالقتل والعقوق. هذا قول أبي عمرو (٣).

وعلى هذا العقيم: التي قطعت ولادتها.

وقال أبو عبيد: العقم: الشد (٤). يقال للمرأة: معقومة الرحم كأنها مشدودتها، ومنه الحديث: "وتعقم أصلاب المنافقين فلا يقدرون على السجود" (٥) أي: تشد وتيبس مفاصلهم.

---

(١) لم أجد من ذكر هذا القول عن أبي العباس ثعلب، ولا عن أبي العباس المبرد.

(٢) البيت أنشده أبو إسحاق الزجاج في "معاني القرآن" ٣/ ٤٣٤ ولم ينسبه لأحد. ووقع في المطبوع: عقيم)، وهو خطأ.

والبيت ذكره أبو عمرو الشيباني في روايته لديوان أبي دهبل الجمحي ص ٦٦، قال: حدثني موسى بن يعقوب قال: أنشدني أبو دهبل قوله في مدح رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ثم ساق أبياتا ومنها هذا البيت.

ونسب البيت أيضا لأبي دهبل في: "عيون الأخبار" لابن قتيبة ١/ ٢٧٩، و"نسب قريش" لأبي عبد الله المصعب الزبيري ص ٣٣١، لكن عنده قالها في مدح عبد الله الأزرق بن عبد الرحمن بن الوليد بن عبد شمس، و"الحماسة" لأبي تمام ص ٢٥٧، و"شرح ديوان الحماسة" للتبريزي ٤/ ٧٥، وقال: قالوا يمدح رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

والبيت نسبه ابن منظور في "لسان العرب" ١٢/ ٤١٢ (عقم) لأبي دهبل -وروايته فيه "نسبه" في موضع (ما) - ثم قال: وقيل: هو للحزين الليثي.

(٣) قول أبي عمرو الشيباني في "تهذيب اللغة" للأزهري ١/ ٢٨٩ "عقم". وانظر: "لسان العرب" ١٢/ ٤١٣ (عقم).

(٤) في (أ). (السد).

(٥) هذا قطعة من حديث رواه أبو عبيد في كتابه "غريب الحديث" ٤/ ٧١ عن عبد الله =." [١]

"هذا هو الكلام في **أصل العقيم في** اللغة. ثم يقال: "يوم عقيم" للذي لا يأتي فيه خير. ويوم القيامة عقيم على الكفار؛ لأنه لا يأتي لهم بخير كما

= ابن مسعود موقوفا. قال أبو عبيد: حدثنيه عبد الرحمن مهدي، عن سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن أبي الزعراء، عن عبد الله بن مسعود.

ورواه الطبري في "تفسيره" ٢٩/ ٣٩ من حديث عبد الرحمن، به موقوفا بلفظ: ويبقى المنافقون ظهورهم طبق واحد كانما فيها السفافيد.

ورواه ابن أبي شيبة في "مصنفه" ١٥/ ١٩١ - ١٩٥، والحاكم في "مستدركه" ٤/ ٥٩٨ - ٦٠٠ والطبراني في الكبير ٩/ ٤١٣ - ٤١٦ من حديث سفيان به، مطولا جدا، موقوفا، بمثل لفظ الطبري.

وقال الحاكم بعد إخراجه ٤/ ٦٠٠: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وقال الذهبي -متعقبا قول الحاكم-: قلت: ما احتجا بأبي الزعراء. أهـ.

وهذا الخبر عن المنافقين رواه من وجه آخر عن ابن مسعود مرفوعا إسحاق بن راهوية في مسنده (كما في المطالب العالية لابن حجر ٤/ ٣٦٥ - ٣٦٧)، والطبراني في الكبير ٩/ ٤١٦ - ٤٢١، والحاكم في "مستدركه" ٤/ ٥٩٠ ولفظ إسحاق: "وتدمج أصلاب المنافقين، فتكون عظما واحدا، كأنها صياصي البقر، ويخرون على أقفيتهم".

قال ابن حجر في "المطالب" ٤/ ٣٦٧ بعد ذكره لرواية إسحاق: هذا إسناد صحيح متصل، ورجاله ثقات.

وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" ١٠/ ٣٤٣: رواه كله الطبراني في طرق، ورجال أحدهما رجال الصحيح غير أبي خالد الدالاني وهو ثقة.

وقال الذهبي في "تلخيص المستدرك" ٤/ ٥٩٢ - ٥٩٣ ما أنكره حديثا على جودة إسناده، وأبو خالد - يعني الدالاني- شيعي منحرف. اهـ.

وذكر هذا الحديث السيوطي في "الدر المنثور" ٦/ ٢٥٧ وعزاه لإسحاق بن راهويه وعبد بن حميد وابن

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٤٧٥/١٥

أبي الدنيا والطبرابي والآجري في "الشريعة" والدارقطني في "الرؤية" والحاكم وابن مردويه والبيهقي في "البعث".." (١)

"يأتي للمؤمنين. والريح العقيم: التي لا تأتي بمطر ولا سحاب ولا تلقح (١) شجرا (٢).

وأما التفسير: فقال ابن عباس: يريد يوم بدر (٣).

وهو قول قتادة (٤)، ومجاهد (٥)، والسدي (٦)، وأبي بن كعب (٧).

واختلفوا: لم سمي يوم بدر عقيما.

فقال ابن عباس: لأنه ليس ليوم بدر نظير من الأيام لا قبله ولا بعده، لم تقاتل الملائكة مع نبي قط إلا مع محمد -صلى الله عليه وسلم-، ولم تقاتل مع محمد إلا يوم بدر.

وعلى هذا سمي عقيما، لأنه لا نظير له في عظمه بقتال الملائكة فيه، فكأن الدهر عقيم عن مثل ذلك اليوم.

وقال الكلبي: يوم عقيم لا فرج (٨) فيه وهو يوم بدر.

---

(١) في (أ): (الذي، يلقح).

(٢) انظر: (عقم) في "تهذيب اللغة" للأزهري ١/ ٢٨٨، "الصحاح" للجوهري ٥/ ١٩٨، "لسان العرب" ١٢/ ٤١٣.

(٣) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" ٦/ ٧٠ وعزاه لابن مردويه والضياء في المختارة.

(٤) رواه عنه عبد الرزاق في "تفسيره" ٢/ ٤١، والطبري ١٧/ ١٩٣.

(٥) رواه الطبري ١٧/ ١٩٣.

(٦) ذكره عنه ابن الجوزي ٥/ ٤٤٤.

(٧) رواه عبد الرزاق في "تفسيره" ٢/ ٤١ عن قتادة قال: بلغني أن أبي بن كعب كان يقول: أربع آيات أنزلت في بدر. هذه إحداهن "يوم عقيم" يوم بدر.

وهو منقطع. ورواه الطبري ١٧/ ١٩٣ من هذا الوجه مختصرا.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٤٧٦/١٥

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" ٦/ ٧٠ وعزاه لابن مردويه.

(٨) في (أ)، (ظ)، (د): (لا فرح)، والمثبت من (ع).." (١)

"وهذا اختيار الزجاج، قال: **اليوم العقيم هو** الذي لا يأتي فيه خير **كالريح العقيم** (١).

وقال ابن جريج: لأنهم لم ينظروا فيه إلى الليل، بل قتلوا قبل المساء (٢). وعلى هذا القول سمي عقيما لانقطاع أعمارهم وفناء آجالهم، فلم يروا بعد ذلك اليوم ليلا ولا نهارا، فكأن ذلك اليوم عليهم يوما لا ليل لهم بعده.

وروي عن عكرمة والضحاك في قوله ﴿عذاب يوم عقيم﴾: إنه القيامة (٣).

والوجه القول الأول (٤)؛ لأن ذكر القيامة قد تقدم في قوله ﴿حتى تأتيهم الساعة بغتة﴾.

٥٦ - ٥٧ - قوله تعالى: ﴿الملك يومئذ لله يحكم بينهم﴾ يعني يوم القيامة لله وحده يحكم بينهم بما ذكر من قوله ﴿فالذين آمنوا﴾ إلى قوله ﴿عذاب مهين﴾.

٥٨ - ثم ذكر فضل المهاجرين وقال: ﴿والذين هاجروا في سبيل الله﴾ قال الكلبي: من مكة إلى المدينة في طاعة الله.

---

(١) "معاني القرآن" للزجاج ٣/ ٤٣٤.

(٢) ذكره الثعلبي ٣/ ٥٥ ب بهذا اللفظ، ورواه الطبري ١٧/ ١٩٣.

(٣) ذكره عنهما الثعلبي في "الكشف والبيان" ٣/ ٥٥ ب. ورواه عنهما الطبري ١٧/ ١٩٣. وذكره السيوطي في "الدر المنثور" ٦/ ٧٠ عن الضحاك، وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٤) وهو اختيار الإمام الطبري ١٧/ ١٩٣ قال: وذلك أن الساعة هي يوم القيامة، فإن كان **اليوم العقيم** **أيضا** هو يوم القيامة فإنما معناه ما قلنا من تكرير ذكر الساعة مرتين باختلاف الألفاظ، وذلك لا معنى له.." (٢)

"٣٩ - وقوله: ﴿فتولى بركنه﴾ قال ابن عباس، ومقاتل: أي بجمعه وجنده ورهطه (١). وعلى هذا سمى جمعه ركنا له، لأنه يتقوى بهم كالبنيان يتقوي بركنه. والباء يكون في ﴿بركنه﴾ للتعدية، أي جعلهم

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٤٧٧/١٥

(٢) التفسير البسيط الواحدي ٤٧٨/١٥

يتولون (٢). ويجوز أن يكون المعنى: تولى هو بسبب جنده. أي بقوتهم وشوكتهم، كما تقول: فعلت هذا بقوة فلان.

وقال الفراء: أعرض بقوته في نفسه (٣). وعلى هذا ركنه قوته. وهذا راجع إلى الأول، لأن قوته بجنده، وقال أبو عبيدة: فتولى بركنه، وبجانبه سواء، إنما هي ناحيته (٤). وهو اختيار ابن قتيبة. قال: فتولى بركنه ونأى بجانبه سواء (٥). وعلى هذا ركنه نفسه. وهو قول المؤرج قال: بركنه بجانبه (٦).

٤١ - قوله: ﴿الريح العقيم﴾، قال جماعة المفسرين (٧): هي التي لا تلقح شجرا ولا تثير سحابا ولا تحمل مطرا ولا خير فيها ولا بركة ولا منفعة ولا رحمة، ولا ينزل بها غيث، إنما هي ريح الإهلاك، وهي عذاب على من أرسلت عليه.

---

(١) انظر: "جامع البيان" ٢٧/ ٣، "الوسيط" ٤/ ١٧٩، "معالم التنزيل" ٤/ ٢٣٣، وبه قال ابن زيد، ومجاهد.

(٢) انظر: "التفسير الكبير" ٢٨/ ٢٢.

(٣) انظر: "معاني القرآن" ٣/ ٨٧.

(٤) انظر: "مجاز القرآن" ٢/ ٢٢٧.

(٥) انظر: "تفسير غريب القرآن" ٤٢٢

(٦) انظر: "الجامع لأحكام القرآن" ١٧/ ٥

(٧) انظر: "تفسير مجاهد" ٢/ ٦٢، "تفسير مقاتل" ١٢٧ أ، "جامع البيان" ٢٧/ ٤، "فتح القدير" ٨/ ٩٠.." (١)

"قال سعيد بن المسيب: هي الجنوب (١).

وقال مقاتل: هي الدبور (٢).

وروى عكرمة عن ابن عباس: هي النكباء (٣).

وقال عبيد بن عمير: مسكنها الأرض الرابعة، وما فتح على عاد منها إلا كقدر منخر الثور (٤). ويقال للتي لا تلد من النساء عقيما، وكذلك للذي لا يولد له: يقال له: رجل عقيم، وفحل عقيم إذا كان لا يلقح، وكما

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٤٥٥/٢٠

وصفت

---

(١) انظر: "جامع البيان" ٢٧/ ٤، "الدر" ٦/ ١١٥. والجنوب: ريح تخالف الشمال تأتي عن يمين القبلة، وهي رياح حارة ومهبها ما بين مهبي الصبا والدبور، وقيل غير ذلك. "اللسان" ١/ ٥٠٧ (جنب).

(٢) انظر: "تفسير مقاتل" ١٢٧ أ، وهو المروي عن ابن عباس وغيره، انظر: "تنوير المقباس" ٥/ ٢٧٦ وهذا هو الثابت في الحديث المتفق عليه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور". صحيح البخاري، كتاب: بدء الخلق، باب ما جاء في قوله: ﴿وهو الذي يرسل الريا ح﴾ ٤/ ١٣٢، كتاب: الاستسقاء، باب: (نصرت بالصبا) ٢/ ٤٠. صحيح مسلم، كتاب: الاستسقاء: باب في ريح الصبا والدبور ٢/ ٦١٧، "المسند" ١/ ٢٢٣ - ٢٢٨ والدبور: ريح تأتي من دبر الكعبة مما يذهب نحو الشرق. "اللسان" ١/ ٩٤٠ (دبر).

(٣) انظر: "الجامع لأحكام القرآن" ١٧/ ٥، "الدر" ٦/ ١١٥، عن علي بن أبي طالب. والنكباء: كل ريح من الرياح الأربع انحرفت ووقعت بين ريحين، وهي تهلك المال وتحبس القطر. "اللسان" ٣/ ٧١٢ (نكب).

(٤) لم أجده. وفي العظمة ٤/ ١٣٣٣: عن عطاء بن يسار -رضي الله عنه- قال: قلت لكعب رحمه الله تعالى: من ساكن الأرض الثانية؟ قال: الريح العقيم، لما أراد الله -عز وجل- أن يهلك قوم عاد أوحي إلى خزنتها أن افتحوا منها بابا قالوا: يا ربنا مثل منخر الثور؟ قال: إذا تكفي الأرض بمن عليها. فقال: افتحوا منها مثل حلقة الخاتم. قال والأقرب أن يكون موقوفا على عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- من زاملتيه اللتين أصابهما يوم اليرموك والله أعلم.." (١)

"العذاب (١) كقوله: ﴿وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾ [الذاريات: ٤١].

وقد يختص اللفظ في التنزيل بشيء فيكون أمارة له، فمن ذلك أن عامة ما جاء في التنزيل من قوله: ﴿وما يدريك﴾ مبهم غير مبين، كقوله: ﴿وما يدريك لعل الساعة قريب﴾ [الشورى: ١٧]، وما كان من لفظ (أدراك) مفسر، كقوله: ﴿وما أدراك ما القارعة﴾ [القارعة: ٣]، ﴿وما أدراك ما هيه﴾ [القارعة: ١٠] (٢).

فأما التفسير، فالتصريف في اللغة: التقليب، وهو تفعيل من الصرف، والصرف: القلب عن الشيء. والصريف: اللبن الذي سكنت (٣) رغوته؛ لانصراف الرغوة عنه، وقيل: لا يسمى صريفا حتى ينصرف به عن الضرع (٤)، والصريف: الفحل نابيه؛ لأنه يقلب أحدهما بالآخر (٥).

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢٠/٤٥٦

قال المفسرون: ومعنى ﴿وتصريف الرياح﴾: تقليبها قبولا ودبورا وشمالا وجنوبا، كما بينا، وتصريفها مرة بالرحمة، ومرة بالعذاب، وتصريفها مرة حارة، ومرة باردة، ومرة لينة، ومرة عاصفة (٦).

---

(١) في (أ)، (م): (الإفراد والعذاب).

(٢) من كتاب "الحجة" ٢/ ٢٥٦ - ٢٥٨ بتصرف.

(٣) في (ش): (سكتت). ولعلها كذلك في (م).

(٤) ينظر في معاني التصريف: "المفردات" ص ٢٨٣، "اللسان" ٤/ ٢٤٣٤ (صرف).

(٥) العبارة غير واضحة، وقد يكون صوابها: صرف الفحل نابه، أي: حرقه فسمعت له صوتا، ولنابه صريف أي: صوت. قال في "اللسان" ٤/ ٢٤٣٦: الصريف: صوت الأنياب، وصرف الإنسان والبعير نابه، وبنابه حرقة فسمعت له صريفا، وناقة صروف بينة الصريف، وصريف الفحل: تهدره.

(٦) ينظر: "تفسير الطبري" ٢/ ٦٤، "تفسير ابن أبي حاتم" ١/ ٢٧٥، "تفسير الثعلبي" ١/ ١٣١١، "المحرر الوجيز" ٢/ ٥١، "البحر المحيط" ١/ ٤٦٧.." (١)

"لبئس الفتى إن كنت أعور عاقرا ... جبانا فما عذري لدى كل محضر (١)

قال أبو إسحاق (٢): قوله: ﴿وامرأتي عاقر﴾، في هذا دليل على أن (عاقرا) (٣) وقع على جهة النسب (٤)؛ لأن (فعلت) أسماء (٥) الفاعلين فيه على (فعيلة) نحو: (ظريفة) (٦)، و (كريمة)؛ وإنما (عاقر) على: (ذات عقر) (٧)،

---

(١) البيت في: "ديوانه": ٦٤، كما ورد منسوبا له في "مجاز القرآن" ٢/ ٩٢، "تفسير الطبري" ٣/ ٢٥٧، "المذكر والمؤنث" لابن الأنباري: ١/ ٢٠٣، "تفسير الثعلبي" ٣/ ٤٨ب، "المحرر الوجيز" ٣/ ١٠٧، "تفسير القرطبي" ١١/ ٧٩، "الدر المصون" ٣/ ١٦٢. وورد غير منسوب في "الزاهر" ٢/ ٥٨٢. وروايته في الديوان: (فبئس ..)، وفي "الزاهر" (.. فما أغني لدي كل مشهد)، وفي "المذكر والمؤنث" (.. فما أغني لدي كل محضر). قال الشاعر هذا البيت ضمن أبيات في وقعة دارت في موضع يسمى (فيف الريح)، وقد ذهبت عينه في هذه المعركة. فاجتمع له العور والعقم، فيقول هنا: إنه بئس الفتى إن كان يجمع إلى العور والعقم، الجبن، والمهابة من العدو، حيث لا يعذر بعدها.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣/٤٦٥

(٢) في "معاني القرآن" له ١/ ٤٠٨، نقله عنه بنصه.

(٣) في (ب): (عاقر).

(٤) أي مما جاءت النسبة فيه على صيغة (فاعل)، مثل: تامر، ولا بن، وحائك، وكاس؛ بمعنى: صاحب تمر، وصاحب لبن، وصاحب حياكة، وصاحب كساء. فعاقر، بمعنى: ذات عقر.

(٥) في (ج): (اسما)، وفي (د): (اسم).

(٦) في (أ)، (ب): (طريقة)، والمثبت من: (ج)، (د)، ومن "معاني القرآن" للزجاج؛ لأن (طريقة) من: (طرق) وليست من. (طرق)، كما أن (طريقة) تأتي على (مفعولة) بمعنى (مطروقة).

(٧) في (أ): (عقر). وفي بقية النسخ، مهملة من الشكل. وما أثبته هو ما استصوبته. والعقر: العقم. يقول السمين الحلبي بعد أن نقل كلام الزجاج السابق: (وهذا نص من أن الفعل =." [١]

"وفي زكريا قرءاتان: القصر والمد، وهما لغتان، كقولهم: الهيجاء والهيجا.

وقرأ حمزة وكفلها مشددة، وزكريا على هذه القراءة منصوب لأنه المفعول الثاني للتكفيل، ومعناه: ضمنها الله زكريا فضمنها إليه.

وقوله: ﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب﴾ [آل عمران: ٣٧] لما ضم زكريا مريم إلى نفسه بنى لها محرابا في المسجد لا يرقى إليه إلا بسلم ولا يصعد إليها غيره.

قال الأصمعي: ﴿المحراب﴾ [آل عمران: ٣٧] : الغرفة.

قال عمر بن أبي ربيعة:

ربة محراب إذ جئتها ... لم أدن حتى أرتقي سلما

أي: ربة بيت.

قال ابن عباس: صارت عنده لها غرفة تصعد إليها تصلي فيها الليل والنهار.

وقوله: ﴿وجد عندها رزقا﴾ [آل عمران: ٣٧] كان زكريا كلما دخل عليها غرفتها وجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء، تأتيها بها الملائكة من الجنة.

﴿قال يا مريم أنى لك هذا﴾ [آل عمران: ٣٧] من أين لك هذا؟ ﴿قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ [آل عمران: ٣٧] فقال زكريا: إن الذي رزقك العنب في غير حينه قادر على أن يرزقني

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٥/٢٣٧

من العقيم الولد.

فدعا زكريا أن يهب الله له ولدا، فذلك قوله: ﴿." (١)

"وقال السدي، عن أصحابه: لما وقع من هذا ما وقع، أنزل الله هذه الآية يطيب نفس محمد، ويخبره أن الأنبياء قبله قد كانوا مثله، ولم يبعث نبي إلا تمنى أن يؤمن قومه، ولم يتمنى ذلك نبي إلا ألقى الشيطان عليه ما يرضي قومه.

﴿فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم﴾ [الحج: ٥٢] وعلى هذا معنى قوله: ﴿إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾ [الحج: ٥٢] إذا أحب شيئا ألقى الشيطان في محبته، وهذا دليل على جواز الخطأ والنسيان على الرسل، ثم لا يقارون على ذلك، وعلى ما قال ابن عباس، إنما قاله الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يكن له من ذلك إحساس قبل، كانت فتنة من الله لعباده المؤمنين والمشركين.

وهو قوله: ﴿ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة﴾ [الحج: ٥٣] أي محنة، ولله أن يمتحن بما يشاء، واللام في قوله: ليجعل متعلقة بقوله: ألقى، أي: ليجعل الله ما يلقي فتنة، ﴿للذين في قلوبهم مرض﴾ [الحج: ٥٣] شك ونفاق، وذلك أنهم افتتنوا لما سمعوا ذلك، ثم نسخ ورفع، فازدادوا عتوا، وظنوا أن محمد يقول الشيء من عند نفسه ثم يندم فيبطله، وكذلك المشركون ازدادوا شرا وضلالة وتكذيبا، وهو قوله: والقاسية قلوبهم قال ابن عباس: يريد المشركين، وهم الذين لا تلين قلوبهم لتوحيد الله.

وإن الظالمين يعني: أهل مكة، ﴿لفي شقاق بعيد﴾ [الحج: ٥٣] لفي خلاف شديد.

ثم وصف حال المؤمنين في هذه الفتنة، فقال: ﴿وليعلم الذين أوتوا العلم﴾ [الحج: ٥٤] التوحيد والقرآن، وقال السدي: والتصديق بنسخ الله.

وهو قوله: ﴿أنه الحق من ربك﴾ [الحج: ٥٤] أن نسخ ذلك وإبطاله حق من الله، فيؤمنوا به فيصدقوا بالنسخ، ﴿فتخبت له قلوبهم﴾ [الحج: ٥٤] ترق قلوبهم للقرآن فينقادوا لأحكامه، بخلاف المشركين الذين قيل فيهم: والقاسية قلوبهم، ثم بين أن هذا الإيمان والإخبات إنما هو بلطف الله وهدايته إياهم، فقال: ﴿وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم﴾ [الحج: ٥٤] .

﴿ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم ﴿٥٥﴾ الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم ﴿٥٦﴾ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٤٣٢/١

لهم عذاب مهين ﴿٥٧﴾ ﴾ [الحج: ٥٥-٥٧] ﴿ولا يزال الذين كفروا﴾ [الحج: ٥٥] يعني المشركون، ﴿في مرية منه﴾ [الحج: ٥٥] في شك مما ألقى الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقولون: ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنها.

﴿حتى تأتيهم الساعة بغتة﴾ [الحج: ٥٥] يعني: ساعة موتهم، أي: حتى يموتوا أو يقتلوا، وهو قوله: ﴿أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾ [الحج: ٥٥] يعني: يوم بدر في قول ابن عباس، وقتادة، ومجاهد، والسدي.

وسمى الله ذلك اليوم عقيما لأنه لم تكن فيه للكفار بركة ولا خير، فهو **كالريح العقيم التي** لا تأتي بخير، قاله الضحاك، واختاره الزجاج.

قوله: الملك يومئذ يعني: يوم القيامة، لله من غير منازع ولا مدع، فلا مالك ولا ملك يومئذ إلا لله وحده، يحكم بينهم مما ذكر من قوله: فالذين آمنوا إلى قوله: عذاب مهين.

ثم ذكر فضل المهاجرين، فقال: ﴿والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين ﴿٥٨﴾ ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم حليم ﴿٥٩﴾ ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله إن الله لعفو غفور ﴿٦٠﴾ ﴾ [الحج: ٥٨-٦٠] ﴾." (١)

"وفي موسى أيضا، ﴿إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين﴾ [الذاريات: ٣٨] بحجة ظاهرة، وهي العصا.

فتولى بركنه أي: بجمعه، وجنده الذي كان يتقوى بهم، كالركن الذي يقوى البنيان، والباء في بركنه للتعدية، أي: جعلهم يتولون، وقال لموسى، ﴿ساحر أو مجنون ﴿٣٩﴾ فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم﴾ [الذاريات: ٣٩-٤٠] فطرحناهم في البحر، يعني: حين أغرقهم، وهو مليم أتى ما يلام عليه، حين ادعى الربوبية، وكذب الرسول.

﴿وفي عاد إذ أرسلنا عليهم **الريح العقيم** ﴿٤١﴾ ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم ﴿٤٢﴾ وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين ﴿٤٣﴾ فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون ﴿٤٤﴾ فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين ﴿٤٥﴾ وقوم نوح من قبل إنهم كانوا قوما فاسقين ﴿٤٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٤١-٤٦] .

وفي عاد أيضا آية، أي: في إهلاكهم، وهو قوله: ﴿إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾ [الذاريات: ٤١] وهي التي لا خير فيها، ولا بركة: لا تلقح شجرا، ولا تحمل مطرا، إنما هي ريح الإهلاك.

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٢٧٧/٣

ثم وصفها، فقال: ﴿ما تذر من شيء أتت عليه﴾ [الذاريات: ٤٢] من أنفسهم، وأنعامهم، وأموالهم، ﴿إلا جعلته كالرميم﴾ [الذاريات: ٤٢] كالشيء الهالك البالي، وهو نبات الأرض إذا يبس وديس.

وفي ثمود أيضا، ﴿إذ قيل لهم تمتعوا﴾ [الذاريات: ٤٣] وذلك أنهم لما عقروا الناقة، قال لهم صالح: تمتعوا ثلاثة أيام.

وهو قوله: ﴿تمتعوا حتى حين﴾ [الذاريات: ٤٣] .

فأخذتهم الصاعقة بعد مضي الأيام الثلاثة، وهي: الموت في قول ابن عباس، وقال مقاتل: يعني: العذاب. والصاعقة: كل عذاب مهلك، وقرأ الكسائي: الصعقة وهو الصوت الذي يكون عن الصاعقة، وهم ينظرون يرون ذلك عيانا.

﴿فما استطاعوا من قيام﴾ [الذاريات: ٤٥] قال قتادة: من نهوض.

يعني: لم ينهضوا من تلك الصرعة، ﴿وما كانوا منتصرين﴾ [الذاريات: ٤٥] ممتنعين من العذاب.

﴿وقوم نوح﴾ [الذاريات: ٤٦] نصبه بالحمل على المعنى، وهو: أن قوله: ﴿فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم﴾ [الذاريات: ٤٠] يدل على إغراقهم، فكأنه قال: فأغرقناهم، أغرقنا قوم نوح من قبل، أي: من قبل هؤلاء، ﴿إنهم كانوا قوما فاسقين﴾ [الذاريات: ٤٦] عاصين، خارجين عن أمر الله.." (١)

"﴿ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي﴾ لا يكسبنكم خلافي وعداوتي ﴿أن يصيبكم﴾ عذاب العاجلة ﴿مثل ما أصاب قوم نوح﴾ من الغرق ﴿أو قوم هود﴾ من **الريح العقيم** ﴿أو قوم صالح﴾ من الرجفة والصيحة ﴿وما قوم لوط منكم ببعيد﴾ في الزمان الذي بينكم وبينهم وكان إهلاكهم أقرب الإهلاكات التي عرفوها." (٢)

"﴿قالوا كذلك﴾ كما اخبرناك ﴿قال ربك﴾ أي: نخبرك عن الله لا عن أنفسنا ﴿إنه هو الحكيم العليم﴾ يقدر أن **يجعل العقيم ولودا** فلما قالوا ذلك علم إبراهيم أنهم رسل وأنهم ملائكة صلوات الله عليهم." (٣)

"﴿وفي عاد﴾ أيضا آية ﴿إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾ وهي التي لا بركة فيها ولا تأتي بخير." (٤)

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٤/١٧٩

(٢) الوجيز للواحدي الواحدي ص/٥٣١

(٣) الوجيز للواحدي الواحدي ص/١٠٢٩

(٤) الوجيز للواحدي الواحدي ص/١٠٣٠

"وابن إسحاق: روبيل. مجاهد: شمعون» (١). وكذلك في تفسير قول الله تعالى: ﴿ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين﴾ (٢٤) [الحجر:٢٤]، يقول: ﴿المستقدمين:﴾ القرون الماضية، و ﴿المستأخرين﴾ القرون الباقية، عن مجاهد. وهم المسارعون في الخيرات، والمتثاقلون عنها، عن الحسن، وهم من يسلم، ومن لا يسلم، عن سفيان بن عيينة» (٢).

٢ - أقوال لا يذكر أصحابها: بل يذكر على صيغة (قيل)، وهذا أمثلته كثيرة جدا أيضا، ومن هذه الأمثلة: ففي تفسير قول الله تعالى: ﴿هذا ربي﴾ [الأنعام:٧٦] يقول: «. . . وقيل: هذا ربي بزعمهم، قال الله تعالى: ﴿أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ [القصص:٦٢]. (٣) وقيل:

استدراج القوم ليطمئنوا إليها بإظهار الموافقة فيرجعوا برجوعه، ومثله يتصور في الشرع كالتقية، وعن بعض الحواريين نحو هذا. وقيل: إنه قول بظن، والذي من مقدمات اليقين. . .»، وقيل:

العجل: الطين، قاله الكلبي وغيره. وفي تفسير قوله: ﴿مسنون﴾ [الحجر:٢٦] يورد أقوالا عديدة في تفسير هذه الكلمة، فيقول: «وقيل: مصبوب. وقيل: خلق الله تعالى قالبا من سلالة الأرض على صورة آدم. . .» (٤).

٣ - يذكر أقوالا ولا يرجح بينها: ومنه في تفسير (الرياح اللواقح) في قول الله تعالى: ﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾ [الحجر:٢٢]، يقول: «التي تحمل الندى، والثرى؛ ليتكون غيوما في أثنائها بإذن الله.

وقيل: الملقحات للغيوم، والأشجار. وقيل: هي التي ينتفع بها؛ لما ضمنها الله تعالى من النفع، بخلاف العقيم، وهي الدبور. وقيل: اللواقح ريح واحدة، وهي الجنوب وحدها، وإنما جمع على الجنس. وقيل: كل ريح أتى بالمطر النافع، فهي من جملة اللواقح» (٥). فبعد ذكر هذه الأقوال لم يرجح قولا منها، وهذا كثير، كما في الأمثلة على ما سبق.

٤ - يذكر أقوالا ثم يردها أو يرد بعضها:

يرد قولا من هذه الأقوال: ومثاله ما جاء في تفسير قول الله تعالى: ﴿ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته﴾ [آل عمران:١٩٢]، يقول: «(الإخزاء): الإلجاء. . . وههنا أربعة أقوال أحدها: أنه لا يدخل المؤمنين النار وإن ارتكبوا الجرائم، بل يغفر لهم ويشفع فيهم؛ لأنه تعالى لا يخزي ﴿النبي والذين آمنوا معه﴾ [التحريم:٨]، [أي:] والمؤمنين، وهذا قول فيه مقال. . .» (٦).

---

(١) درج الدرر ٤٠.

(٢) درج الدرر ١٠٤.

(٣) الأصل (١٠٥ ظ).

(٤) درج الدرر ١٠٥.

(٥) درج الدرر ١٠٤.

(٦) الأصل (٧٩ ظ).." (١)

"**بخلاف العقيم وهي** الدبور. (١) وقيل: اللواقح ريح واحدة، وهي الجنوب وحدها، (٢) وإنما جمع على الجنس. وقيل: كل ريح أتى بالمطر النافع، فهي من جملة اللواقح.

٢٤ - ﴿المستقدمين:﴾ القرون الماضية. و ﴿المستأخرين:﴾ القرون الباقية، عن مجاهد. (٣) وهم المسارعون في الخيرات، والمتثاقلون عنها، عن الحسن. (٤) وهم من يسلم، ومن لا يسلم، وعن سفيان بن عيينة. (٥) وروى الكلبي عن ابن عباس: أنها نزلت بالمدينة في الذين قصدوا بيع دورهم القاصية عن المسجد، واشتروا دورا (٦) قريبة من المسجد؛ لازدحامهم على الصف الأول. (٧) فعلى هذا القول مكية إلا هذه الآية، أو (٨) الآية نزلت مرتين. وعن أبي الجوزاء (٩)، عن ابن عباس: نزلت في الذين كانوا يستأخرون في الصلاة إلى الصف المؤخر (١٠)؛ لينظروا في سجودهم من تحت آباطهم إلى امرأة حسناء كانت تشهد الجماعة مع النساء. (١١)

وروي موقوفا على أبي الجوزاء. (١٢)

٢٦ - ﴿ولقد خلقنا الإنسان:﴾ اتصالها لما جرى من ذكر العالم الأكبر حسن عطف العالم الأصغر والنفس عليها. وقيل: لما جرى ذكر المستقدمين والمستأخرين حسن ذكر ابتداء تخليقهم؛ ليكون أول الأمر شاهد الآخرة.

﴿من صلصال:﴾ لمن (١٣) شبه (١٤) الفخار.

---

(١) ينظر: تفسير الخازن ٣/ ٥٣، وفتح القدير ٣/ ١٧٦، وتفسير غرائب القرآن ٤/ ٢١٨.

(٢) ينظر: زاد المسير ٤/ ٣٠٠، وهذا القول مبني على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: ((ريح

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٢٦/٢

الجنوب من الجنة، والريح اللواقح التي ذكر الله في كتابه))، ينظر: العظمة ٤/ ١٣٠٥، والفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ٢٧١ عن أبي هريرة، وفيض القدير شرح الجامع الصغير (٤٤٨٧) عن ابن عباس، وضعفه.

(٣) ينظر: تفسير الطبري ٧/ ٥٠٨ - ٥٠٩، وزاد المسير ٤/ ٣٠٢، وتفسير الخازن ٣/ ٥٤، وتفسير غرائب القرآن ٤/ ٢١٨.

(٤) ينظر: تفسير الطبري ٧/ ٥٠٩، وزاد المسير ٤/ ٢٣٠، واللباب في علوم الكتاب ١١/ ٤٤٩.

(٥) ينظر: تفسير الخازن ٣/ ٥٤، واللباب في علوم الكتاب ١١/ ٤٤٩. وأبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران الكوفي المكي، حافظ العصر، شيخ الإسلام، توفي ١٧٨ هـ. ينظر: العقد الثمين أخبار البلد الأمين ٤/ ٥٩١، ووفيات الأعيان ٢/ ٣٩١، ونيل السائرين في طبقات المفسرين ٣٧.

(٦) الأصول المخطوطة: اشترى دور.

(٧) ينظر: زاد المسير ٤/ ٣٠٢.

(٨) ع: و.

(٩) أوس بن عبد الله الربعي البصري التابعي، من كبار العلماء، توفي سنة ٨٣ هـ. ينظر: ذكر أسماء التابعين ٢/ ٣٠، والعبر في خبر من غبر ١/ ٧١، وتهذيب التهذيب ١/ ٣٨٣.

(١٠) ك: الآخر.

(١١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/ ٣٠٥ وضعفه الشيخ شعيب، والنسائي في السنن ٢/ ١١٨، والطيالسي في المسند (٢٧١٢)، وصححه الحاكم ٢/ ٣٥٣ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(١٢) ينظر: تفسير عبد الرزاق ٢/ ٣٤٨، تفسير الطبري ٧/ ٥٠٩، وفتح القدير ٣/ ١٧٦.

(١٣) هكذا في الأصول المخطوطة، والأولى أن يكون من، من غير اللام، مجاراة للآية.

(١٤) أهنا زيادة: إلا.." (١)

"عباس (٢٢٩ ظ) فسلمنا عليه، (١) فقال لصاحبي: من أنت؟ فانتسب له فعرفه (٢) فقال: يا أبا العباس، ﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ [المعارج:٤]، أي يوم هذا؟ فقال: إنما سألتك لتخبرني، قال: فهي أيام سماها الله تعالى في كتابه، وهو أعلم بها، أكره أن أقول في كتاب الله ما لا أعلم، قال ابن أبي مليكة: فضرب الدهر ضربة، فجلست إلى سعيد بن المسيب، سئل عن

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ١٧٢/٢

المسألة، فلم يدر ما يقول، فقلت له: ألا أخبرك بما شهدته من ابن عباس؟ ثم ذكرته له، فسرى ذلك عنه (٣)، وقال: هذا ابن عباس قد اتقى أن يقول فيها وهو أعلم مني. (٤)

٥١ - ﴿والذين سعوا في آياتنا﴾ (٥): بالتكذيب أو التحريف (٦) والتبديل.

٥٣ - ﴿ليجعل ما يلقي الشيطان:﴾ مثل ﴿ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان﴾ [البقرة:١٠٢].

٥٤ - ﴿وليعلم الذين أوتوا العلم:﴾ الملهمون الراسخون (٧) في العلم.

﴿أنه الحق:﴾ الضمير عائد إلى نسخ ما ألقى الشيطان في أمنيته.

٥٥ - ﴿يوم عقيم:﴾ أيس عن خيره، ويحتمل: يوم بدر في حق قريش، فإنه أعقم نساءهم بقتل رجالهم. وقيل: المراد بالساعة انقراض الدنيا، **وباليوم العقيم افتتاح** الآخرة.

٦٠ - ﴿ذلك ومن عاقب:﴾ في المقتص بالحق.

﴿ثم بغي:﴾ بعد اقتصاصه (٨).

واتصالها بما قبلها من حيث نعي الكفار على المؤمنين بعد انتصارهم بالحق والعدل والإنصاف، فقول الله: ﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص﴾ [البقرة:١٩٤].

وقوله: ﴿بمثل ما عوقب به:﴾ لازدواج الكلام.

---

(١) هنا سقط في الكلام، وهو: «قال فقال له ابن فيروز يا أبا عباس قول الله تبارك وتعالى: يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره. . . الآية» الإضافة من كتب التخريج.

(٢) الأصل وك وع: معروفة.

(٣) ك وأ: فسري عنه.

(٤) ينظر: تفسير الصنعاني ٣/ ١٠٨، وتفسير القرطبي ١٤/ ٨٨، والإتقان في علوم القرآن ٣/ ١٠٨.

(٥) ك: في آياتنا معاجزين.

(٦) أ: التحويل.

(٧) أ: والراسخون.

(٨) الأصول المخطوطة: اقتصاده.." (١)

"بعد يبوستها وجدوبتها ﴿وبث فيها﴾ أي فرق فيها ﴿من كل دابة وتصريف الرياح﴾

قرأ حمزة والكسائي الريح بغير ألف وقرأ الباقون بالألف وكل ريح في القرآن ليس فيها ألف ولا لام اختلفوا في جمعها وتوحيدها إلا في الذاريات "الريح العقيم" (٤١-الذاريات) اتفقوا على توحيدها وفي الحرف الأول من سورة الروم "الرياح مبشرات" (٤٦-الروم) اتفقوا على جمعها، وقرأ أبو جعفر سائرها على الجمع، والقراء مختلفون فيها، والريح يذكر ويؤنث، وتصريفها أنها تتصرف إلى الجنوب والشمال والقبول والدبور والنكباء (١) .

وقيل: تصريفها أنها تارة تكون لينا وتارة تكون عاصفا وتارة تكون حارة وتارة تكون باردة قال ابن عباس: أعظم جنود الله الريح والماء وسميت الريح ريحا لأنها تريح النفوس قال شريح القاضي: ما هبت ريح إلا لشفاء سقيم أو لسقم صحيح والبشارة في ثلاث من الرياح في الصبا والشمال والجنوب أما الدبور فهي **الريح العقيم لا** بشارة فيها وقيل الرياح ثمانية: أربعة للرحمة وأربعة للعذاب. فأما التي للرحمة المبشرات والناشرات والذاريات والمرسلات وأما التي للعذاب فالعقيم والصرصر في البر والعاصف والقاصف في البحر ﴿والسحاب المسخر﴾ أي الغيم المذلل سمي سحابا لأنه ينسحب أي يسير في سرعة كأنه يسحب أي يجر ﴿بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾ فيعلمون أن لهذه الأشياء خالقا وصانعا قال وهب بن منبه: ثلاثة لا يدرى من أين تجيء الرعد والبرق والسحاب.

﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب (١٦٥) ﴾

قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا﴾ أي أصناما يعبدونها ﴿يحبونهم كحب الله﴾ أي يحبون آلهتهم كحب المؤمنين الله، وقال الزجاج: يحبون الأصنام كما يحبون الله لأنهم أشركوها مع الله فسووا بين الله وبين أوثانهم في المحبة ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ أي أثبت وأدوم على حبه لأنهم لا يختارون على الله ما سواه والمشركون إذا اتخذوا صنما ثم رأوا أحسن منه طرحوا الأول واختاروا الثاني قال قتادة: إن الكافر يعرض عن معبوده في وقت البلاء ويقبل على الله تعالى كما أخبر الله عز وجل عنهم فقال: ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين﴾ (٦٥-العنكبوت) والمؤمن لا يعرض عن الله

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٣٤١/٢

في السراء

(١) انظر: تفسير الطبري: ٣ / ٢٧٥-٢٧٦، الدر المنثور: ١ / ٣٩٦-٣٩٧.." (١)

"وخرج وفد عاد من مكة حتى مروا بمعاوية بن بكر فنزلوا عليها فبينما هم عنده إذا أقبل رجل على ناقة في ليلة مقمرة مساء ثالثة من مصاب عاد فأخبرهم الخبر، فقالوا له فأين فارقت هودا وأصحابه؟ فقال: فارقتهم بساحل البحر فكأنهم شكوا فيما حدثهم به، فقالت هزيلة بنت بكر: صدق ورب مكة.

وذكروا أن مرثد بن سعد ولقمان بن عاد، وقيل بن عنز حين دعوا بمكة، قيل لهم: قد أعطيتكم مناكم فاختاروا لأنفسكم، إلا أنه لا سبيل إلى الخلود، ولا بد من الموت، فقال مرثد: اللهم أعطني صدقا وبرا فأعطي ذلك، وقال لقمان: أعطني يا رب عمرا، فقيل له: اختر، فاختار عمر سبعة أنسر، فكان يأخذ الفرخ حين يخرج من بيضته فيأخذ الذكر منها لقوته، حتى إذا مات أخذ غيره فلم يزل يفعل ذلك حتى أتى على السابع، وكان كل نسر يعيش ثمانين سنة، وكان آخرها لبد فلما مات لبد مات لقمان معه.

وأما قيل فإنه قال: أختار أن يصيبني ما أصاب قومي فقيل له: إن الهلاك، فقال: لا أبالي لا حاجة لي في البقاء بعدهم، فأصابه الذي أصاب عادا من العذاب فهلك.

قال السدي: بعث الله على عاد الريح العقيم فلما دنت منهم نظروا إلى الإبل والرجال، تطير بهم الريح بين السماء والأرض، فلما رأواها تبادروا البيوت فدخلوها وأغلقوا أبوابهم، فجاءت الريح فقلعت أبوابهم فدخلت عليهم فأهلكتهم فيها، ثم أخرجتهم من البيوت، فلما أهلكهم الله أرسل عليهم طيرا سوداء فنقلتهم إلى البحر فألقتهم فيه.

وروي أن الله عز وجل أمر الريح فأهالت عليهم الرمال، فكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين تحت الرمل، ثم أمر الريح فكشفت عنهم الرمال فاحتملتهم فرمت بهم في البحر ولم تخرج ريح قط إلا بمكيال إلا يومئذ فإنها عتت على الخزنة فغلبتهم فلم يعلموا كم كان مكيالها.

وفي الحديث: "إنها خرجت عليهم على قدر خرق الخاتم" (١) وروي عن علي رضي الله عنه: أن قبر هود عليه السلام بحضرموت في كثيب أحمر. وقال عبد الرحمن بن سابط: بين الركن والمقام وزمزم قبر تسعة وتسعين نبيا، وإن قبر هود وشعيب وصالح وإسماعيل عليهم السلام في تلك البقعة. ويروى: أن النبي من الأنبياء إذا هلك قومه جاء هو والصالحون معه إلى مكة يعبدون الله فيها حتى يموتوا.

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ١٧٨/١

(١) جاء قريب من هذا في رواية الإمام أحمد والترمذي في الموضع السابق، وليس مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، بل السياق يدل على أنه من راوي القصة.." (١)

"وفي [بعض] الآثار: ما هبت ريح الجنوب إلا وبعث عينا غدقة (١) .

وأما الريح العقيم: فإنها تأتي بالعذاب ولا تلقح.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال، حدثنا أبو العباس الأصم، أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا من لا أتهم بحديثه، حدثنا العلاء بن راشد، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: ما هبت ريح قط إلا جثا النبي صلى الله عليه وسلم على ركبتيه، وقال: اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا، اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا. قال ابن عباس: في كتاب الله عز وجل: ﴿إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا﴾ (القمر-١٩) ﴿إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾ (الذاريات-٤١) وقال: ﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾ (الحجر-٢٢) وقال: ﴿أن يرسل الرياح مبشرات﴾ (٢) (الروم-٤١) .

قوله: ﴿فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه﴾ أي: جعلنا المطر لكم سقيا، يقال: أسقى فلان فلانا: إذا جعل له سقيا، وسقاه: إذا أعطاه ما يشرب. وتقول العرب: سقيت الرجل ماء ولبنا إذا كان لسقيه (٣) ١٩٦/ب فإذا جعلوا له ماء لشرب أرضه ودوابه تقول: أسقيته.

﴿وما أنتم له بخازنين﴾ يعني المطر في خزائننا لا في خزائنكم. وقال سفيان: بمانعين.

﴿وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون (٢٣) ﴾ .

﴿وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون﴾ بأن نميت جميع الخلائق، فلا يبقى حي سوانا.

والوارث من صفات الله عز وجل. قيل: الباقي بعد فناء الخلق.

وقيل: معناه إن مصير الخلق إليه (٤) .

---

(١) أخرج البيهقي في السنن: ٣ / ٣٦٣ عن عبد الله مرفوعا: "ما عام بأمطر من عام، ولا هبت جنوب إلا سال وادي" وقال: كذا روي مرفوعا، والصحيح أنه موقوف.

(٢) أخرجه الشافعي في المسند: ١ / ٧٥، وفيه العلاء بن راشد وهو مجهول، ورواه الطبراني، ومسدد، وأبو يعلى، والبيهقي في "الدعوات الكبير". قال الهيثمي: وفيه حسين بن قيس الملقب بحنش، وهو متروك.

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٢٤٦/٣

وقال البوصيري: رواه مسدد وأبو يعلى بسند ضعيف لضعف حسين بن قيس. انظر: مجمع الزوائد: ١٠ / ١٣٦، المطالب العالية: ٣ / ٢٣٨، مشكاة المصابيح: ١ / ٤٨١.

(٣) في "ب" لشفته.

(٤) قال البيهقي في "الأسماء والصفات" (١ / ٤١) "الوارث: ومعناه الباقي بعد ذهاب غيره. وربنا جل ثناؤه بهذه الصفة؛ لأنه يبقى بعد ذهاب الملاك الذين أمتعهم في هذه الدنيا بما آتاهم، لأن وجودهم ووجود الأملاك كان به، ووجوده ليس بغيره. وهذا الاسم مما يؤثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خير الأسامي". وانظر: "المنهاج في شعب الإيمان" للحليمي: ١ / ١٨٩.." (١)

"﴿الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم (٥٦) والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين (٥٧) والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين (٥٨) ﴾

﴿ولا يزال الذين كفروا في مرية منه﴾ أي: في شك مما ألقى الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون: ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنها. وقال ابن جريج: "منه" أي من القرآن. وقيل: من الدين، وهو الصراط المستقيم. ﴿حتى تأتيهم الساعة بغتة﴾ يعني: القيامة. وقيل: الموت، ﴿أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾ قال الضحاك وعكرمة: عذاب يوم لا ليلة له، وهو يوم القيامة.

والأكثرون على أن **اليوم العقيم يوم** بدر، لأنه ذكر الساعة من قبل وهو يوم القيامة. وسمي يوم بدر عقيما لأنه لم يكن في ذلك اليوم للكفار خير، **كالريح العقيم التي** لا تأتي بخير، سحاب ولا مطر، [والعقم في اللغة: المنع، يقال: رجل عقيم إذا منع من الولد] (١) . وقيل: لأنه لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه. وقال ابن جريج: لأنهم لم ينظروا فيه إلى الليل حتى قتلوا قبل المساء. ﴿الملك يومئذ﴾ يعني يوم القيامة، ﴿لله﴾ وحده من غير منازع، ﴿يحكم بينهم﴾ ثم بين الحكم، فقال تعالى: ﴿فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم﴾ ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين﴾ . ﴿والذين هاجروا في سبيل الله﴾ فارقوا أوطانهم وعشائرهم في طاعة الله وطلب رضاه، ﴿ثم قتلوا أو ماتوا﴾ وهم كذلك، قرأ ابن عامر "قتلوا" بالتشديد ﴿ليرزقنهم الله رزقا حسنا﴾ والرزق الحسن الذي لا ينقطع أبدا هو رزق الجنة، ﴿وإن الله لهو خير الرازقين﴾ قيل: هو قوله: ﴿بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ (آل عمران: ١٦٩) .

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٣٧٦/٤

(١) ما بين القوسين زيادة من "ب".." (١)

"﴿وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين (٣٨) فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون (٣٩) فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم (٤٠) وفي عاد إذ أرسلنا عليهم **الريح العقيم** (٤١) ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم (٤٢) وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين (٤٣) فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون (٤٤) فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين (٤٥) ﴾

﴿وفي موسى﴾ ، أي: وتركنا في إرسال موسى آية وعبرة. وقيل: هو معطوف على قوله: "وفي الأرض آيات للموقنين"، [وفي موسى] (١) ﴿إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين﴾ ، بحجة ظاهرة.

﴿فتولى﴾ ، فأعرض وأدبر عن الإيمان، ﴿بركنه﴾ ، أي بجمعه وجنوده الذين كانوا يتقوى بهم، كالركن الذي يقوى به البنيان، نظيره: "أو آوي إلى ركن شديد" (هود-٨٠) ، ﴿وقال ساحر أو مجنون﴾ ، قال أبو عبيدة: "أو" بمعنى الواو.

﴿فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم﴾ ، أغرقناهم فيه، ﴿وهو مليم﴾ أي: آت بما يلام عليه من دعوى الربوبية وتكذيب الرسول.

﴿وفي عاد﴾ ، أي: وفي إهلاك عاد أيضا آية، ﴿إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾ ، وهي التي لا خير فيها ولا بركة ولا تلقح شجرا ولا تحمل مطرا.

﴿ما تذر من شيء أتت عليه﴾ ، من أنفسهم وأنعامهم وأموالهم، ﴿إلا جعلته كالرميم﴾ ، كالشيء الهالك البالي، وهو نبات الأرض إذا يبس وديس. قال مجاهد: كالتبن اليابس. قال قتادة: كرميم الشجر. قال أبو العالية: كالتراب المدقوق. وقيل: أصله من العظم البالي.

﴿وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين﴾ ، يعني وقت فناء آجالهم، وذلك أنهم لما عقروا الناقة قيل لهم: تمتعوا ثلاثة أيام.

﴿فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة﴾ ، يعني بعد مضي الأيام الثلاثة، وهي الموت في قول ابن عباس، قال مقاتل: يعني العذاب، و"الصاعقة": كل عذاب مهلك، وقرأ الكسائي: "الصعقة"، وهي الصوت الذي يكون من الصاعقة، ﴿وهم ينظرون﴾ ، يرون ذلك عيانا.

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٥/٣٩٦

(١) زيادة من "ب".." (١)

"والذين في قلوبهم مرض المنافقون والشاكون والقاسية قلوبهم المشركون المكذبون وإن الظالمين يريد: وإن هؤلاء المنافقين والمشركين. وأصله: وإنهم، فوضع الظاهر موضع الضمير قضاء عليهم بالظلم أنه الحق من ربك أى ليعلموا أن تمكين الشيطان من الإلقاء: هو الحق من ربك والحكمة وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى أن يتأولوا ما يتشابه في الدين بالتأويلات الصحيحة، ويطلبوا لما أشكل منه المحمل الذي تقتضيه الأصول المحكمة والقوانين الممهدة، حتى لا تلحقهم حيرة ولا تعتريهم شبهة ولا تزل أقدامهم. وقرئ: لهاد الذين آمنوا، بالتنوين.

[سورة الحج (٢٢) : آية ٥٥]

ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم (٥٥)

الضمير في مرية منه للقرآن أو الرسول صلى الله عليه وسلم. اليوم العقيم: يوم بدر، وإنما وصف يوم الحرب بالعقيم لأن أولاد النساء يقتلون فيه، فيصرن كأنهن عقم لم يلدن، أو لأن المقاتلين يقال لهم أبناء الحرب، فإذا قتلوا وصف يوم الحرب بالعقيم على سبيل المجاز. وقيل:

هو الذي لا خير فيه. يقال: ريح عقيم إذا لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا. وقيل: لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة عليهم السلام فيه. وعن الضحاك أنه يوم القيامة، وأن المراد بالساعة مقدماته. ويجوز أن يراد بالساعة وبيوم عقيم: يوم القيامة، وكأنه قيل: حتى تأتيهم الساعة أو يأتيهم عذابها، فوضع يوم عقيم موضع الضمير.

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٥٦ الى ٥٧]

الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم (٥٦) والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين (٥٧)

فإن قلت: التنوين في يومئذ عن أى جملة ينوب؟ قلت: تقديره: الملك يوم يؤمنون.

أو يوم تزول مريتهم، لقوله ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة.

---

(١) تفسير البغوي – طيبة البغوي ، أبو محمد ٣٧٨/٧

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٥٨ الى ٥٩]
والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين (٥٨) ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم حليم (٥٩)." (١)

"أكثر من ذلك لأنجاهم، ليعلموا أن الإيمان محفوظ لا ضيعة على أهله عند الله آية علامة يعتبر بها الخائفون دون القاسية قلوبهم. قال ابن جريج: هي صخر منضود فيها. وقيل: ماء أسود منتن.

[سورة الذاريات (٥١) : الآيات ٣٨ الى ٤٠]
وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين (٣٨) فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون (٣٩) فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم (٤٠)

وفي موسى عطف على وفي الأرض آيات أو على قوله وتركنا فيها آية على معنى:

وجعلنا في موسى آية كقوله:

علفتها تبنا وماء باردا

فتولى بركنه فازور وأعرض، كقوله تعالى ونأى بجانبه وقيل: فتولى بما كان يتقوى به من جنوده وملكه. وقرئ: بركنه، بضم الكاف وقال ساحر أى هو ساحرليم

آت بما يلام عليه من كفره وعناده، والجملة مع الواو حال من الضمير في فأخذناه.

فإن قلت: كيف وصف نبى الله يونس صلوات الله عليه بما وصف به فرعون في قوله تعالى فالتقمه الحوت وهو مليم؟ قلت: موجبات اللوم تختلف وعلى حسب اختلافها تختلف مقادير اللوم، فراكب الكبيرة ملوم على مقدارها، وكذلك مقترف الصغيرة. ألا ترى إلى قوله تعالى وعصوا رسله، وعصى آدم ربه لأن الكبيرة والصغيرة يجمعهما اسم العصيان، كما يجمعهما اسم القبيح والسيئة.

[سورة الذاريات (٥١) : الآيات ٤١ الى ٤٢]
وفي عاد إذ أرسلنا عليهم **الريح العقيم** (٤١) ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم (٤٢)

العقيم التي لا خير فيها من إنشاء مطر أو إلقاح شجر، وهي ريح الهلاك. واختلف فيها: فعن على رضى

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ١٦٦/٣

الله عنه: النكباء. وعن ابن عباس: الدبور. وعن ابن المسيب: الجنوب.

الرميم: كل ما رم أى بلى وتفتت من عظم أو نبات أو غير ذلك.

[سورة الذاريات (٥١) : الآيات ٤٣ الى ٤٥]

وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين (٤٣) فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون (٤٤) فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين (٥٤)." (١)

"حاتم: وهي قراءة الحسن وأبي عبد الرحمن وأبي رجاء، واختلف عنهم الأعرج، وأبي جعفر ونافع وأبي عمرو وعيسى بن عمر وأبي يحيى وأبي نوفل الأعرابيين، وقرأ ابن كثير «الريح» واحدة «نشرا» بضمها أيضا، وقرأ ابن عامر «الرياح» جمعا «نشرا» بضم النون وسكون الشين، قال أبو حاتم: ورويت عن الحسن وأبي عبد الرحمن وأبي رجاء وقتادة وأبي عمرو، وقرأ حمزة والكسائي، «الريح» واحدة، «نشرا» بفتح النون وسكون الشين، قال أبو حاتم وهي قراءة ابن مسعود وابن عباس وزر بن حبيش وابن وثاب وإبراهيم وطلحة والأعمش ومسروق بن الأجدع، وقرأ ابن جني قراءة مسروق «نشرا» بفتح النون والشين، وقرأ عاصم «الرياح» جماعة «بشرا» بالباء المضمومة والشين الساكنة، وروي عنه «بشرا» بضم الباء والشين، وقرأ بها ابن عباس والسلمي وابن أبي عبلة. وقرأ محمد بن السميفع وأبو قطيب «بشرى» على وزن فعلى بضم الباء، ورويت عن أبي يحيى وأبي نوفل، وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي «بشرا» بفتح الباء وسكون الشين، قال الزهراوي: ورويت هذه عن عاصم.

ومن جمع الريح في هذه الآية فهو أسعد، وذلك أن الرياح حيث وقعت في القرآن فهي مقترنة بالرحمة كقوله ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات [الروم: ٤٥] وقوله وأرسلنا الرياح لواقح [الحجر: ٢٢] وقوله الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا [الروم: ٤٨] وأكثر ذكر الريح مفردة، إنما هو بقرينة عذاب، كقوله وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم [الذاريات: ٤١] وقوله وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية [الحاقة: ٦] وقوله بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها [الأحقاف: ٢٤] نحا هذا المنحى يحيى بن يعمر وأبو عمرو بن العلاء وعاصم، وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا هبت الريح يقول «اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا» .

قال القاضي أبو محمد: والمعنى في هذا كله بين، وذلك أن ريح السقيا والمطر أنها هي منتشرة لينة تجيء

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤٠٣/٤

من هاهنا وتتفرق فيحسن من حيث هي منفصلة الأجزاء متغايرة المهب يسيرا أن يقال لها رياح، وتوصف بالكثرة ريح الصر والعذاب، عاصفة صرصر جسد واحد شديدة المر مهلكة بقوتها وبما تحمله أحيانا من الصر المحرق، فيحسن من حيث هي شديدة الاتصال أن تسمى ريحا مفردة، وكذلك أفردت الريح في قوله تعالى: وجرين بهم بريح طيبة [يونس: ٢٢] من حيث جري السفن إنما جرت بريح متصلة كأنها شيء واحد فأفردت لذلك ووصفت بالطيب إزالة الاشتراك بينها وبين الريح المكروهة، وكذلك ريح سليمان عليه السلام إنما كانت تجري بأمره أو تعصف في حقوله وهي متصلة، وبعد فمن قرأ في هذه الآية الريح بالإفراد فإنما يريد به اسم الجنس، وأيضا فتقييدها ب «نشر» يزيل الاشتراك.

والإرسال في الريح هو بمعنى والإجراء والإطلاق والإسالة ومنه الحديث فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة، والريح تجمع في القليل أرواح وفي الكثير رياح لأن العين من الريح واو انقلبت في الواحد ياء للكسر الذي قبلها، وكذلك في الجمع الكثير، وصحت في القليل لأنه لا شيء فيه يوجب الإعلال، وأما «نشرا» بضم النون والشين فيحتمل أن يكون جمع ناشر على النسب أي ذات نشر من الطي أو نشور من الحياة، ويحتمل «نشرا» أن يكون جمع نشور بفتح النون وضم الشين كرسول ورسل وصبور وصبر وشكور وشكر، ويحتمل «نشرا» أن يكون كالمفعول بمعنى منشور." (١)

"«المرية» الشك، والضمير في قوله منه قالت فرقة هو عائد على القرآن، وقالت فرقة: على محمد عليه السلام، وقالت فرقة: على ما ألقى الشيطان [الحج: ٥٢] ، وقال سعيد بن جبير أيضا على سجود النبي صلى الله عليه وسلم في سورة النجم، والساعة، قالت فرقة: أراد يوم القيامة، «واليوم العقيم» ، يوم بدر، وقالت فرقة: الساعة، موتهم أو قتلهم في الدنيا كيوم بدر ونحوه، و «اليوم العقيم» ، يوم القيامة، ع وهذان القولان جيدان لأنهما أحرزا التقسيم ب أو ومن جعل الساعة و «اليوم العقيم» ، يوم القيامة، فقد أفسد رتبة أو، وسمي يوم القيامة أو يوم الاستئصال عقيما لأنه لا ليلة بعده ولا يوم، والأيام كأنها نتائج لمجيء واحد إثر واحد، فكأن آخر يوم قد عقم وهذه استعارة، وجملة هذه الآية توعد، وقوله الملك يومئذ لله، السابق منه أنه في يوم القيامة من حيث لا ملك فيه لأحد من ملوك الدنيا، ويجوز أن يريد به يوم بدر ونحوه من حيث ينفذ فيه قضاء الله وحده ويبطل ما سواه ويمضي حكمه فيمن أراد تعذيبه، فأما من تأوله في يوم القيامة فاتسق له قوله فالذين آمنوا إلى قوله مهين، ومن تأوله في يوم بدر ونحوه جعل قوله «فالذين آمنوا» ، ابتداء خبر عن حالهم المتركبة على حالهم في ذلك **اليوم العقيم من** الإيمان والكفر. وقوله والذين

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢/٤١٢

هاجروا في سبيل الله الآية ابتداء معنى آخر وذلك أنه لما مات بالمدينة عثمان بن مظعون وأبو سلمة بن عبد الأسد قال بعض الناس: من قتل من المهاجرين أفضل ممن مات حتف أنفه فنزلت هذه الآية مسوية بينهم في أن الله تعالى يرزق جميعهم رزقا حسنا وليس هذا بقاض بتساويهم في الفضل، وظاهر الشريعة أن المقتول أفضل، وقال بعض الناس: المقتول والميت في سبيل الله شهيدان، ولكن للمقتول مزية ما أصابه في ذات الله، و «الرزق الحسن» ، يحتمل أن يريد به رزق الشهداء عند ربهم في البرزخ ويحتمل أن يريد بعد يوم القيامة في الجنة، وقرأت فرقة، «مدخلا» ، بضم الميم من أدخل فهو محمول على الفعل المذكور، وقرأت فرقة «مدخلا» بفتح الميم من دخل فهو محمول على فعل مقدر تقديره فيدخلون مدخلا، وأسند الطبري عن سلامان بن عامر قال: كان فضالة برودس أميرا على الأرباع فخرج بجنازتي رجلين أحدهما قتيل والآخر متوفى فرأى ميل الناس مع جنازة القتيل، فقال: أراكم أيها الناس تميلون مع القتيل وتفضلونه فو الذي نفسي بيده ما أبالي من أي حفرتيهما بعثت اقرؤوا قول الله تعالى والذين هاجروا في سبيل الله الآية، إلى قوله حليم وقوله تعالى: ذلك، إلى قوله الكبير المعنى الأمر ذلك، ثم أخبر تعالى عمن عاقب من المؤمنين من ظلمه من الكفرة ووعد المبغي." (١)

"الرماني وقيل كان عليها أمثال الخواتم. وقال ابن عباس: تسويمها إن كان في الحجارة السود نقط بيض وفي البيض سود. ويحتمل أن يكون المعنى: أنها بجملتها معلومة عند ربك لهذا المعنى معلمة له. لا أن كل واحد منها له علامة خاصة به. والمسرف: الذي يتعدى الطور، فإذا جاء مطابقا فهو لأبعد الغايات الكفر فما دونه.

ثم أخبر تعالى أنه أخرج بأمره من كان في قرية لوط من المؤمنين منجيا لهم. وأعاد الضمير على القرية. ولم يصرح لها قبل ذلك بذكر لشهرة أمرها. ولأن القوم المجرمين معلوم أنهم في قرية ولا بد. قال المفسرون: ولا فرق بين تقدم ذكر المؤمنين وتأخره، وإنما هما وصفان ذكرهم أولا بأحدهما ثم آخر بالثاني. قال الرماني: الآية دالة على أن الإيمان هو الإسلام.

قال القاضي أبو محمد: ويظهر إلي أن في المعنى زيادة تحسن التقديم للإيمان، وذلك أنه ذكره مع الإخراج من القرية، كأنه يقول: نفذ أمرنا بإخراج كل مؤمن، ولا يشترط فيه أن يكون عاملا بالطاعات. بل التصديق بالله فقط.

ثم لما ذكر حال الموحدين ذكرهم بالصفة التي كانوا عليها، وهي الكاملة التصديق والأعمال، والبيت من

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤/١٣٠

المسلمين: هو بيت لوط، وكان هو وابنتاه، وقيل وبنته. وفي كتاب الثعلبي: وقيل لوط وأهل بيته ثلاثة عشر، وهلكت امرأته فيمن هلك، وهذه القصة بجملتها ذكرت على جهة المثال لقريش. أي أنهم إذا كفروا وأصابهم مثل ما أصاب هؤلاء المذكورين.

قوله عز وجل:

[سورة الذاريات (٥١) : الآيات ٣٧ الى ٤٤]

وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم (٣٧) وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين (٣٨) فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون (٣٩) فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم (٤٠) وفي عاد إذ أرسلنا عليهم **الريح العقيم** (٤١)

ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم (٤٢) وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين (٤٣) فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون (٤٤)

المعنى: وتركنا في القرية المذكورة، وهي سدوم أثرا من العذاب باقيا مؤرخا لا يفنى ذكره فهو: آية أي علامة على قدرة الله وانتقامه من الكفرة. ويحتمل أن يكون. والمعنى: وتركنا في أمرها كما قال: لقد كان في يوسف [يوسف: ٧] وقال ابن جريج: ترك فيها حجرا منضودا كثيرا جدا.

و: للذين يخافون العذاب هم العارفون بالله تعالى.

وقوله تعالى: وفي موسى يحتمل أن يكون عطفا على قوله فيها أي وتركنا في موسى وقصته أثرا أيضا هو آية. ويحتمل أن يكون عطفا على قوله قيل: وفي الأرض آيات [الذاريات: ٢٠] ، وفي موسى. و: فرعون هو صاحب مصر. والسلطان في هذه الآية الحجة و: (تولى) معناه: فأعرض وأدبر عن أمر الله و: بركنه بسلطانه وجنده وشدة أمره. وهو الأمر الذي يركن فرعون إليه ويسند في." (١)

"أحدهما: تلا، قاله الأكثرون، وأنشدوا:

تمنى كتاب الله أول ليله ... وآخره لاقى حمام المقادر

وقال آخر:

تمنى كتاب الله آخر ليله ... تمني داود الزبور على رسل

والثاني: أنه من الأمنية، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تمنى يوما أن لا يأتيه من الله شيء ينفر

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١٧٩/٥

عنه به قومه، فألقى الشيطان على لسانه لما كان قد تمناه، قاله محمد بن كعب القرظي.

قوله تعالى: فينسخ الله ما يلقي الشيطان أي: يبطله ويذهبه ثم يحكم الله آياته قال مقاتل: يحكمها من الباطل. قوله تعالى: ليجعل اللام متعلقة بقوله: ألقى الشيطان، والفتنة ها هنا بمعنى البلية والمحنة. والمرض: الشك والنفاق. والقاسية قلوبهم يعني: الجافية عن الإيمان. ثم أعلمه أنهم ظالمون وأنهم في شقاق دائم، والشقاق: غاية العداوة.

قوله تعالى: وليعلم الذين أوتوا العلم وهو التوحيد والقرآن، وهم المؤمنون. وقال السدي:

التصديق بنسخ الله. قوله تعالى: أنه الحق إشارة إلى نسخ ما يلقي الشيطان فالمعنى: ليعلموا أن نسخ ذلك وإبطاله حق من الله فيؤمنوا بالنسخ فتخبت له قلوبهم أي: تخضع وتذل. ثم بين بباقي الآية أن هذا الإيمان والإخبات إنما هو بلطف الله وهدايته..

قوله تعالى: في مرية منه أي: في شك. وفي هاء «منه» أربعة أقوال «١» : أحدها: أنها ترجع إلى قوله: تلك الغرانيق العلى. والثاني: أنها ترجع إلى سجوده في سورة النجم. والقولان عن سعيد بن جبير، فيكون المعنى: إنهم يقولون: ما باله ذكر آلهتنا ثم رجع عن ذكرها؟! والثالث: أنها ترجع إلى القرآن، قاله ابن جريج. والرابع: أنها ترجع إلى الدين، حكاه الثعلبي. قوله تعالى: حتى تأتيهم الساعة وفيها قولان: أحدهما: القيامة تأتي من تقوم عليه من المشركين، قاله الحسن. والثاني: ساعة موتهم، ذكره الواحدي. قوله تعالى: أو يأتيهم عذاب يوم عقيم فيه قولان «٢» : أحدهما: أنه يوم بدر، روي عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي. والثاني: أنه يوم القيامة، قاله عكرمة، والضحاك. **وأصل العقم في** الولادة، يقال: امرأة عقيم لا تلد، ورجل عقيم لا يولد له وأنشدوا:

عقم النساء فلا يلدن شبيهه ... إن النساء بمثله عقم

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ١٨٠: وأولى هذه الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: هي كناية من ذكر القرآن الذي أحكم الله آياته وذلك أن ذلك من ذكر قوله وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك أقرب منه من ذكر قوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان والهاء في قوله أنه من ذكر القرآن، فإلحاق الهاء في قوله في مرية منه بالهاء من قوله أنه الحق من ربك أولى من إلحاقها بما التي في قوله ما يلقي الشيطان مع بعد ما بينهما.

(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ١٨١: والقول الأول: أنه يوم بدر أولى بتأويل الآية، لأنه لا

وجه لأن يقال: لا يزالون في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة، أو تأتيهم الساعة، وذلك أن الساعة هي يوم القيامة، فإن كان **اليوم العقيم أيضا** هو يوم القيامة، فإنما معناه تكرير الساعة مرتين، باختلاف الألفاظ، وذلك لا معنى له فأولى التأولين أصحهما معنى، وهو ما ذكرنا. فتأويل الكلام: أو يأتيهم عذاب يوم عقيم لهم، فلا ينظر وافيه إلى الليل، ولا يؤخروا فيه إلى المساء لكنهم يقتلون قبل المساء.." (١)

"وسميت **الريح العقيم بهذا** الاسم، لأنها لا تأتي بالسحاب الممطر، فقيل لهذا اليوم: عقيم، لأنه لم يأت بخير.

فعلى قول من قال: هو يوم بدر في تسميته بالعقيم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه لم يكن فيه للكفار بركة ولا خير، قاله الضحاك. والثاني: لأنهم لم ينظروا فيه إلى الليل، بل قتلوا قبل المساء، قاله ابن جريج. والثالث: لأنه لا مثل له في عظم أمره، لقتال الملائكة فيه، قاله يحيى بن سلام. وعلى قول من قال: هو يوم القيامة، في تسميته بذلك قولان: أحدهما: لأنه لا ليلة له، قاله عكرمة. والثاني: لأنه لا يأتي المشركين بخير ولا فرج، ذكره بعض المفسرين.

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٥٦ الى ٥٩]

الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم (٥٦) والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين (٥٧) والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين (٥٨) ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم حليم (٥٩)

قوله تعالى: الملك يومئذ أي: يوم القيامة لله من غير منازع ولا مدع يحكم بينهم أي: بين المسلمين والمشركين وحكمه بينهم بما ذكره في تمام الآية وما بعدها. ثم ذكر فضل المهاجرين فقال: والذين هاجروا في سبيل الله أي: من مكة إلى المدينة. وفي الرزق الحسن قولان: أحدهما: أنه الحلال، قاله ابن عباس. والثاني: رزق الجنة، قاله السدي. قوله تعالى: ثم قتلوا وقرأ ابن عامر: «قتّلوا» بالتشديد قوله تعالى: ليدخلنهم مدخلا وقرأ نافع بفتح الميم برضوانه يعني: الجنة. والمدخل يجوز أن يكون مصدرا، فيكون المعنى: ليدخلنهم إدخالا يكرمون به فيرضونه ويجوز أن يكون بمعنى المكان. و «مدخلا» بفتح الميم على تقدير: فيدخلون مدخلا.

وإن الله لعليم بنياتهم حليم عنهم.

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٣/٢٤٦

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٦٠ الى ٦٢]

ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله إن الله لعفو غفور (٦٠) ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير (٦١) ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير (٦٢)

قوله تعالى: ذلك قال الزجاج: المعنى: الأمر ذلك، أي: الأمر ما قصصنا عليكم ومن عاقب بمثل ما عوقب به والعقوبة: الجزاء والأول ليس بعقوبة، ولكنه سمي عقوبة، لاستواء الفعلين في جنس المكروه، كقوله: وجزاء سيئة سيئة مثلها «١» لما كانت المجازاة إساءة بالمفعول به سميت سيئة، ومثله: الله يستهزئ بهم «٢» قاله الحسن، ومعنى الآية: من قاتل المشركين كما قاتلوه ثم بغي عليه أي: ظلم باخراجه عن منزله. وزعم مقاتل أن سبب نزول هذه الآية أن مشركي مكة لقوا المسلمين لليلة بقيت من المحرم، فقاتلوهم، فناشدهم المسلمون أن لا يقاتلوا في الشهر الحرام، فأبوا إلا القتال،

---

(١) سورة الشورى: ٤٠.

(٢) سورة البقرة: ١٥.." (١)

"قوله تعالى: فراغ إلى أهله قال ابن قتيبة: أي: عدل إليهم في خفية، ولا يكون الرواغ إلا أن تخفي ذهابك ومجيئك. قوله تعالى: فجاء بعجل سمين وكان مشويا فقربه إليهم قال الزجاج:

والمعنى: فقربه إليهم ليأكلوا منه، فلم يأكلوا، فقال: ألا تأكلون؟! على النكير، أي: أمركم في ترك الأكل مما أنكره. قوله تعالى: فأوجس منهم خيفة قد شرحناه في هود «١» . وذكرنا معنى: «غلام عليم» في (الحجر) «٢» . فأقبلت امرأته وهي: سارة. قال الفراء وابن قتيبة: لم تقبل من موضع إلى موضع، وإنما هو كقولك: أقبل يشتمني، وأقبل يصيح ويتكلم أي: أخذ في ذلك، والصرة: الصيحة. وقال أبو عبيدة: الصرة: شدة الصوت. وفيما قالت في صيحتها قولان: أحدهما: أنها تأوهت، قاله قتادة.

والثاني: أنها قالت: يا ويلتا، ذكره الفراء. قوله تعالى: فصكت وجهها فيه قولان: أحدهما: لطمت وجهها، قاله ابن عباس. والثاني: ضربت جبينها تعجبا، قاله مجاهد، ومعنى الصك، ضرب الشيء بالشيء العريض. وقالت عجوز قال الفراء: هذا مرفوع بإضمار «أتلد عجوز» . وقال الزجاج: المعنى:

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٢٤٧/٣

أنا عجوز عقيم، فكيف ألد؟! وقد ذكرنا معنى «العقيم» في هود «٣» . قالوا كذلك قال ربك أنك ستلدين غلاما والمعنى: إنما نخبرك عن الله عز وجل، وهو حكيم عليم يقدر أن **يجعل العقيم ولودا**، فعلم حينئذ إبراهيم أنهم ملائكة. قال فما خطبكم مفسر في الحجر «٤» .

قوله تعالى: حجارة من طين قال ابن عباس: هو الآجر. قوله تعالى: مسومة عند ربك قد شرحناه في هود «٥» . قوله تعالى: للمسرفين قال ابن عباس: للمشركين. قوله تعالى: فأخرجنا من كان فيها، أي: من قرى لوط من المؤمنين وذلك قوله تعالى: فأسر بأهلك الآية «٦» . فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وهو لوط وابنتاه، وصفهم الله عز وجل بالإيمان والإسلام، لأنه ما من مؤمن إلا وهو مسلم. وتركنا فيها آية أي: علامة للخائفين من عذاب الله تدلهم على أن الله أهلكهم. وقد شرحنا هذا في العنكبوت «٧» وبينا المكني عنها.

[سورة الذاريات (٥١) : الآيات ٣٨ الى ٥١]

وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين (٣٨) فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون (٣٩) فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم (٤٠) وفي عاد إذ أرسلنا عليهم **الريح العقيم** (٤١) ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم (٤٢)

وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين (٤٣) فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون (٤٤) فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين (٤٥) وقوم نوح من قبل إنهم كانوا قوما فاسقين (٤٦) والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون (٤٧)

والأرض فرشناها فنعم الماهدون (٤٨) ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون (٤٩) ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين (٥٠) ولا تجعلوا مع الله إلها آخر إني لكم منه نذير مبين (٥١)

قوله تعالى: وفي موسى اي وفيه ايضا آية إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين أي بحجة ظاهرة

---

(١) هود: ٧٠.

(٢) الحجر: ٥٤.

(٣) هود: ٧٢.

(٤) الحجر: ٥٧.

(٥) هود: ٨٣.

(٦) هود: ٨١.

(٧) العنكبوت: ٣٥.." [١]

"فتولى اي أعرض بركنه قال مجاهد: بأصحابه. وقال ابو عبيدة: «بركنه» و «بجانبه» سواء، إنما هي ناحيته وقال ساحر اي وقال لموسى: هذا ساحر أو مجنون وكان أبو عبيدة يقول: «أو» بمعنى الواو. فأما «اليم» فقد ذكرناه في الأعراف «١» و «مليم» في الصافات «٢» .

قوله تعالى: وفي عاد اي في إهلاكهم آية ايضا إذ أرسلنا عليهم **الريح العقيم وهي** التي لا خير فيها ولا بركة، لا تلقح شجرا ولا تحمل مطرا، وإنما هي للإهلاك. وقال سعيد بن المسيب: هي الجنوب. ما تذر من شيء أتت عليه أي من أنفسهم وأموالهم إلا جعلته كالرميم اي كالشيء الهالك البالي، قال الفراء: الرميم: نبات الأرض إذا يبس وديس. وقال الزجاج: الرميم: الورق الجاف المتحطم مثل الهشيم. وفي ثمود آية ايضا إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين فيه قولان: أحدهما: أنه قيل لهم: تمتعوا في الدنيا إلى وقت انقضاء آجالكم تهددا لهم. والثاني: أن صالحا قال لهم بعد عقر الناقة:

تمتعوا ثلاثة أيام: فكان الحين وقت فناء آجالهم، فعتوا عن أمر ربهم قال مقاتل: عصوا أمره فأخذتهم الصاعقة يعني العذاب، وهو الموت من صيحة جبريل. وقرأ الكسائي وحده: «الصعقة» بسكون العين من غير الف وهي الصوت الذي يكون عن الصاعقة. قوله تعالى: وهم ينظرون فيه قولان: أحدهما: يرون ذلك عيانا، والثاني: وهم ينتظرون العذاب فأتاهم صبيحة يوم السبت. قوله تعالى: فما استطاعوا من قيام فيه قولان: أحدهما: ما استطاعوا نهوضا من تلك الصرعة. والثاني: ما أطاقوا ثبوتا لعذاب الله وما كانوا منتصرين أي ممتنعين من العذاب.

قوله تعالى: وقوم نوح من قبل قرأ أبو عمرو إلا عبد الوارث، وحمزة، والكسائي: بخفض الميم، وروى عبد الوارث رفع الميم. والباقون بنصبها. وقال الزجاج: من خفض (القوم) فالمعنى:

وفي قوم نوح آية، ومن نصب فهو عطف على معنى قوله: «فأخذتهم الصاعقة» فإن معناه: أهلكناهم، فيكون المعنى: وأهلكنا قوم نوح، والأحسن- والله أعلم- أن يكون محمولا على قوله: «فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم» لأن المعنى: أغرقناه، وأغرقنا قوم نوح.

والسماء بنيناها المعنى: وبنينا السماء بنيناها بأيد أي بقوة، وكذلك قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وسائر

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ١٧١/٤

المفسرين واللغويين: «بأيد» اي: بقوة. وفي قوله: وإنا لموسعون خمسة أقوال: أحدها: لموسعون الرزق بالمطر، قاله الحسن. والثاني: لموسعون السماء، قاله ابن زيد.
والثالث: لقادرون، قاله ابن قتيبة. والرابع: لموسعون ما بين السماء والأرض، قاله الزجاج.
والخامس: لذو سعة لا يضيق عما يريد، حكاه الماوردي.
قوله تعالى: والأرض فرشناها فنعم الماهدون قال الزجاج: هذا عطف على ما قبله منصوب بفعل مضمر محذوف يدل عليه قوله: «فرشناها» فالمعنى فرشنا الأرض فرشناها «فنعم الماهدون» أي: فنعم الماهدون نحن. قال مقاتل: «فرشناها» أي: بسطناها مسيرة خمسمائة عام، وهذا بعيد، وقد قال قتادة:
الأرض عشرون ألف فرسخ، والله تعالى أعلم.
قوله تعالى: ومن كل شيء خلقنا زوجين اي: صنفين ونوعين كالذكر والأنثى، والبر والبحر،

---

(١) الأعراف: ١٣٦.
(٢) الصافات: ١٤٢. [.....]."[١]

"الذي لا عفو فيه، والنكر: المنكر فذاقت وبال أمرها أي: جزاء ذنبها وكان عاقبة أمرها خسرا في الدنيا، والآخرة، وقال ابن قتيبة: الخسر: الهلكة.
قوله عز وجل: قد أنزل الله إليكم ذكرا أي: قرآنا رسولا أي: وبعث رسولا، قاله مقاتل.
وإلى نحوه ذهب السدي. وقال ابن السائب: الرسول هاهنا: جبرائيل، فعلى هذا: يكون الذكر والرسول جميعا منزلين. وقال ثعلب: الرسول: هو الذكر. وقال غيره: معنى الذكر هاهنا: الشرف.
وما بعده قد تقدم «١» إلى قوله عز وجل: قد أحسن الله له رزقا يعني: الجنة التي لا ينقطع نعيمها.

[سورة الطلاق (٦٥) : آية ١٢]
الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما (١٢)
قوله: ومن الأرض مثلهن أي: وخلق الأرض بعددهن. وجاء في الحديث: أن كثافة كل سماء مسيرة خمسمائة عام، وما بينها وبين الأخرى كذلك، وكثافة كل أرض خمسمائة عام، وما بينها وبين الأرض

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ١٧٢/٤

الأخرى كذلك.

(١٤٦٤) وقد روى أبو الضحى عن ابن عباس قال: في كل أرض آدم مثل آدمكم، ونوح مثل نوحكم، وإبراهيم مثل إبراهيمكم، وعيسى كعيسى، فهذا الحديث تارة يرفع إلى ابن عباس، وتارة يوقف على أبي الضحى، وليس له معنى إلا ما حكى أبو سليمان الدمشقي، قال: سمعت أن معناه: إن في كل أرض خلقا من خلق الله لهم سادة، يقوم كبيرهم ومتقدمهم في الخلق مقام آدم فينا، وتقوم ذريته في السن والقدم كمقام نوح. وعلى هذا المثال سائرهم. وقال كعب: ساكن الأرض الثانية: الريح العقيم، وفي الثالثة: حجارة جهنم، والرابعة: كبريت جهنم، والخامسة: حيات جهنم، والسادسة:

عقارب جهنم، والسابعة: فيها إبليس «٢» .

قوله عز وجل: يتنزل الأمر بينهن، في الأمر قولان: أحدهما: أنه قضاء الله وقدره، قاله الأكثرون. قال قتادة: في كل أرض من أرضه وسماء من سمائه خلق من خلقه، وأمر من أمره، وقضاء من قضائه. والثاني: أنه الوحي، قاله مقاتل.

قوله عز وجل: لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما المعنى أعلمكم هذا لتعلموا قدرته على كل شيء وعلمه بكل شيء.

هذا الأثر من الإسرائيليات، وهو باطل لا أصل له. فلا يوجد في باطن الأرض كنبينا ولا غيره، بل وليس في باطن الأرض بشرا، وليست صالحة للحياة أصلا. والإسناد إلى أبي الضحى صحيح كما في «تفسير الطبري» ٣٤٣٧١ وأبو الضحى ثقة، وعلى هذا يكون ابن عباس تلقاه عن أهل الكتاب، فقد ثبت أنه روى عن كعب الأحبار وغيره. لا فائدة من هذه الأقوال لأنها إسرائيلية.

---

(١) البقرة: ٢٥٧، والأحزاب: ٤٣، والتغابن: ٩.

(٢) هذا كسابقه من الإسرائيليات التي نقلها كعب وغيره عن كتب الأقدمين. والله أعلم.." (١)

"أنهم استمتعوا بخلاقهم فأنتم أيها المنافقون استمتعم بخلاقكم كما استمتع أولئك بخلاقهم.

فإن قيل: ما الفائدة في ذكر الاستمتاع بالخلاق في حق الأولين مرة ثم ذكره في حق المنافقين ثانيا ثم ذكره في حق الأولين ثالثا.

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٣٠٣/٤

قلنا: الفائدة فيه أنه تعالى ذم الأولين بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا وحرمانهم عن سعادة الآخرة بسبب استغراقهم في تلك الحظوظ العاجلة، فلما قرر تعالى هذا الذم عاد فشبه حال هؤلاء المنافقين بحالهم، فيكون ذلك نهاية في المبالغة، ومثاله: أن من أراد أن ينبه بعض الظلمة على قبح ظلمه يقول له: أنت مثل فرعون، كان يقتل بغير جرم ويعذب من غير موجب، وأنت تفعل مثل ما فعله، وبالجملة فالتكرير هاهنا للتأكيد، ولما بين تعالى مشابهة هؤلاء المنافقين لأولئك المتقدمين في طلب الدنيا، وفي الإعراض عن طلب الآخرة، بين حصول المشابهة بين الفريقين في تكذيب الأنبياء وفي المكر والخديعة والغدر بهم.
فقال: وخضتم كالذي خاضوا قال الفراء: يريد كخوضهم الذي خاضوا، ف (الذي) صفة مصدر محذوف دل عليه الفعل.
ثم قال تعالى: أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة أي بطلت حسناتهم في الدنيا بسبب الموت والفقر والانتقال من العز إلى الذل ومن القوة إلى الضعف، وفي الآخرة بسبب أنهم/ لا يثابون بل يعاقبون أشد العقاب وأولئك هم الخاسرون حيث أتعبوا أنفسهم في الرد على الأنبياء والرسل، فما وجدوا منه إلا فوات الخيرات في الدنيا والآخرة، وإلا حصول العقاب في الدنيا والآخرة، والمقصود أنه تعالى لما شبه حال هؤلاء المنافقين بأولئك الكفار بين أن أولئك الكفار لم يحصل لهم إلا حبوط الأعمال وإلا الخزي والخسار، مع أنهم كانوا أقوى من هؤلاء المنافقين وأكثر أموالا وأولادا منهم، فهؤلاء المنافقون المشاركون لهم في هذه الأعمال القبيحة أولى أن يكونوا واقعين في عذاب الدنيا والآخرة، محرومين من خيرات الدنيا والآخرة.

[سورة التوبة (٩) : آية ٧٠]

ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (٧٠)
اعلم أنه تعالى لما شبه المنافقين بالكفار المتقدمين في الرغبة في الدنيا وفي تكذيب الأنبياء والمبالغة في إيذائهم بين أن أولئك الكفار المتقدمين منهم، فذكر هؤلاء الطوائف الستة، فأولهم قوم نوح والله أهلكهم بالإغراق، وثانيهم: عاد والله تعالى أهلكهم بإرسال **الريح العقيم عليهم**. وثالثهم: ثمود والله أهلكهم بإرسال الصيحة والصاعقة. ورابعهم: قوم إبراهيم أهلكهم الله بسبب سلب النعمة عنهم، وبما
روي في الأخبار أنه تعالى سلط البعوضة على دماغ نمروذ.
وخامسهم: قوم شعيب وهم أصحاب مدين، ويقال: إنهم من ولد مدين بن إبراهيم، والله تعالى أهلكهم بعذاب يوم الظلة، والمؤتفكات قوم لوط أهلكهم الله بأن جعل عالي أرضهم سافلها، وأمطر عليهم الحجارة،

وقال الواحدي: المؤتفكات جمع مؤتفكة، ومعنى الائتفاك في اللغة الانقلاب، وتلك القرى ائتفكت بأهلها، أي انقلبت فصار أعلاها أسفلها، يقال أفكه فائتفك أي قلبه فانقلب، وعلى هذا التفسير فالمؤتفكات صفة القرى، وقيل ائتفاكهن انقلاب أحوالهن من الخير إلى الشر.

واعلم أنه تعالى قال في الآية الأولى: ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم وذكر هؤلاء الطوائف الستة وإنما." (١)

"اعلم أن قوله: ولما جاء أمرنا أي عذابنا وذلك هو ما نزل بهم من **الريح العقيم عذبهم** الله بها سبع ليال وثمانية أيام، تدخل في مناخرهم وتخرج من أدبارهم وتصرعهم على الأرض على وجوههم حتى صاروا كأعجاز نخل خاوية.

فإن قيل: فهذه الريح كيف تؤثر في إهلاكهم؟

قلنا: يحتمل أن يكون ذلك لشدة حرها أو لشدة بردها أو لشده قوتها، فتخطف الحيوان من الأرض، ثم تضربه على الأرض، فكل ذلك محتمل.

وأما قوله: نجينا هودا فاعلم أنه يجوز إتيان البلية على المؤمن وعلى الكافر معا، وحينئذ تكون تلك البلية رحمة على المؤمن وعذابا على الكافر، فأما العذاب النازل بمن يكذب الأنبياء عليهم السلام فإنه يجب في حكمة الله تعالى أن ينجي المؤمن منه، ولولا ذلك لما عرف كونه عذابا على كفرهم، فلهذا السبب قال الله تعالى هاهنا: نجينا هودا والذين آمنوا معه.

وأما قوله: برحمة منا ففيه وجوه: الأول: أراد أنه لا ينجو أحد وإن اجتهد في الإيمان والعمل الصالح إلا برحمة من الله، والثاني: المراد من الرحمة: ما هداهم إليه من الإيمان بالله والعمل الصالح. الثالث: أنه رحمهم في ذلك الوقت، وميزهم عن الكافرين في العقاب.

وأما قوله: ونجيناهم من عذاب غليظ فالمراد من النجاة الأولى هي النجاة من عذاب الدنيا، والنجاة الثانية من عذاب القيامة، وإنما وصفه بكونه غليظا تنبيها على أن العذاب الذي حصل لهم بعد موتهم بالنسبة إلى العذاب الذي وقعوا فيه كان عذابا غليظا، والمراد من قوله تعالى: ونجيناهم أي حكمنا بأنهم لا يستحقون ذلك العذاب الغليظ ولا يقعون فيه.

واعلم أنه تعالى لما ذكر قصة عاد خاطب قوم محمد صلى الله عليه وسلم، فقال: وتلك عاد فهو إشارة إلى قبورهم وآثارهم، كأنه تعالى قال: سيروا في الأرض فانظروا إليها واعتبروا. ثم إنه تعالى جمع أوصافهم ثم ذكر عاقبة أحوالهم في الدنيا والآخرة، فأما أوصافهم فهي ثلاثة.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٩٩/١٦

الصفة الأولى: قوله: جحدوا بآيات ربهم والمراد: جحدوا دلالة المعجزات على الصدق، أو الجحد، ودلالة المحدثات على وجود الصانع الحكيم، إن ثبت أنهم كانوا زنادقة.

الصفة الثانية: قوله: وعصوا رسله والسبب فيه أنهم إذا عصوا رسولا واحدا، فقد عصوا جميع الرسل لقوله تعالى: لا نفرق بين أحد من رسله [البقرة: ٢٨٥] وقيل: لم يرسل إليهم إلا هود عليه السلام.

الصفة الثالثة: قوله: واتبعوا أمر كل جبار عنيد والمعنى أن السفلة كانوا يقلدون الرؤساء في قولهم: ما هذا إلا بشر مثلكم [المؤمنون: ٢٤] والمراد من الجبار المرتفع المتمرد العنيد العنود والمعاند، وهو المنازع المعارض.

واعلم أنه تعالى لما ذكر أوصافهم ذكر بعد ذلك أحوالهم فقال: وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم." (١)

"أنه ظرف والتقدير: مدة استطاعتي للإصلاح وما دمت متمكنا منه لا آلو فيه جهدا. والثاني: أنه بدل من الإصلاح، أي المقدار الذي استطعت منه. والثالث: أن يكون مفعولا له أي ما أريد إلا أن أصلح ما استطعت إصلاحه.

واعلم أن المقصود من هذا الكلام أن القوم كانوا قد أقروا بأنه حليم رشيد، وإما أقروا له بذلك لأنه كان مشهورا فيما بين الخلق بهذه الصفة، فكأنه عليه السلام قال لهم إنكم تعرفون من حالي أني لا أسعى إلا في الإصلاح وإزالة الفساد والخصومة، فلما أمرتكم بالتوحيد وترك إيذاء الناس، فاعلموا أنه دين حق وأنه ليس غرضي منه إيقاع الخصومة وإثارة الفتنة، فإنكم تعرفون أني أبغض ذلك الطريق ولا أدور إلا على ما يوجب الصلح والصلاح بقدر طاقتي، وذلك هو الإبلاغ والإنذار، وأما الإجبار على الطاعة فلا أقدر عليه، ثم إنه عليه السلام أكد ذلك بقوله: وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب وبين بهذا أن توكله واعتماده في تنفيذ كل الأعمال الصالحة على توفيق الله تعالى وهدايته.

واعلم أن قوله عليه السلام توكلت إشارة إلى محض التوحيد، لأن قوله عليه السلام توكلت يفيد الحصر، وهو أنه لا ينبغي للإنسان أن يتوكل على أحد إلا على الله تعالى وكيف وكل ما سوى الحق سبحانه ممكن لذاته فان بذاته، ولا يحصل إلا بإيجاده وتكوينه، وإذا كان كذلك لم يجز التوكل إلا على الله تعالى وأعظم مراتب معرفة المبدأ هو الذي ذكرناه، وأما قوله: وإليه أنيب فهو إشارة إلى معرفة المعاد، وهو أيضا يفيد الحصر لأن قوله: وإليه أنيب يدل على أنه لا مرجع للخلق إلا إلى الله تعالى

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا ذكر شعيب عليه السلام قال: «ذاك خطيب الأنبياء»

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٦٦/١٨

لحسن مراجعته في كلامه بين قومه.

وأما الوجه الرابع: من الوجوه التي ذكرها شعيب عليه السلام فهو قوله: ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم قال صاحب «الكشاف» : جرم مثل كسب في تعديته تارة إلى مفعول واحد وأخرى إلى مفعولين يقال جرم ذنبا وكسبه وجرمه ذنبا وكسبه إياه، ومنه قوله تعالى: لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم أي لا يكسبنكم شقاقي إصابة العذاب، وقرأ ابن كثير يجرمنكم بضم الياء من أجرمته ذنبا إذا جعلته جارما له أي كاسبا له.

وهو منقول من جرم المتعدي إلى مفعول واحد، وعلى هذا فلا فرق بين جرمته ذنبا وأجرمته إياه، والقراءتان مستويتان في المعنى لا تفاوت بينهما إلا أن المشهورة أفصح لفظا كما أن كسبه مالا أفصح من أكسبه.

إذا عرفت هذا فنقول: المراد من الآية لا تكسبنكم معاداتكم إياي أي يصيبكم عذاب الاستئصال في الدنيا مثل ما حصل لقوم نوح عليه السلام من الغرق، ولقوم هود من الريح العقيم ولقوم صالح من الرجفة، ولقوم لوط من الخسف.

وأما قوله: وما قوم لوط منكم ببعيد ففيه وجهان: الأول: أن المراد نفي البعد في المكان لأن بلاد قوم لوط عليه السلام قريبة من مدين، والثاني: أن المراد نفي البعد في الزمان لأن إهلاك قوم لوط عليه السلام أقرب الإهلاكات التي عرفها الناس في زمان شعيب عليه السلام، وعلى هذين التقديرين فإن القرب في المكان وفي الزمان يفيد زيادة المعرفة وكمال الوقوف على الأحوال فكأنه يقول اعتبروا بأحوالهم واحذروا من مخالفة الله تعالى ومنازعته حتى لا ينزل بكم مثل ذلك العذاب.." (١)

"أن يتأولوا ما يتشابه في الدين بالتأويلات الصحيحة ويطلبوا ما أشكل منه من المجمل الذي تقتضيه الأصول المحكمة حتى لا تلحقهم حيرة ولا تعتريهم شبهة وقرئ (لهاد الذين آمنوا) بالتنوين، ولما بين سبحانه حال الكافرين أولا ثم حال المؤمنين ثانيا عاد إلى شرح حال الكافرين مرة أخرى فقال: ولا يزال الذين كفروا في مرية منه أي من القرآن أو من الرسول، وذلك يدل على أن الأعصار إلى قيام الساعة لا تخلو ممن هذا وصفه.

أما قوله تعالى: حتى تأتيهم الساعة بغتة أي فجأة من دون أن يشعروا ثم جعل الساعة غاية لكفرهم، وأنهم يؤمنون عند أشراط الساعة على وجه الإلجاء. واختلف في المراد باليوم العقيم/ وفيه قولان: أحدهما: أنه يوم بدر وإنما وصف يوم الحرب بالعقيم لوجوه أربعة: أحدها: أن أولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كأنهن

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٨٩/١٨

عقم لم يلدن وثانيها: أن المقاتلين يقال لهم أبناء الحرب فإذا قتلوا وصف يوم الحرب بالعقيم على سبيل المجاز وثالثها: هو الذي لا خير فيه يقال ريح عقيم إذا لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا ورابعها: أنه لا مثل له في عظم أمره، وذلك لقتال الملائكة فيه القول الثاني: أنه يوم القيامة، وإنما وصف بالعقيم لوجوه: أحدها: أنهم لا يرون فيه خيرا وثانيها: أنه لا ليل فيه فيستمر كاستمرار المرأة على تعطل الولادة وثالثها: أن كل ذات حمل تضع حملها في ذلك اليوم فكيف يحصل الحمل فيه، وهذا القول أولى لأنه لا يجوز أن يقول الله تعالى ولا يزال الذين كفروا ويكون المراد يوم بدر، لأن من المعلوم أنهم في مرية بعد يوم بدر، فإن قيل لما ذكر الساعة. فلو حملتم **اليوم العقيم على** يوم القيامة لزم التكرار قلنا ليس كذلك لأن الساعة من مقدمات القيامة **واليوم العقيم هو** نفس ذلك اليوم، وعلى أن الأمر لو كان كما قاله لم يكن تكرارا لأن في الأول ذكر الساعة، وفي الثاني ذكر عذاب ذلك اليوم، ويحتمل أن يكون المراد بالساعة وقت موت كل أحد وبعذاب يوم عقيم القيامة.

أما قوله: الملك يومئذ لله فمن أقوى ما يدل على أن **اليوم العقيم هو** ذلك اليوم وأراد بذلك أنه لا مالك في ذلك اليوم سواه فهو بخلاف أيام الدنيا التي ملك الله الأمور غيره، وبين أنه الحاكم بينهم لا حاكم سواه وذلك زجر عن معصيته ثم بين كيف يحكم بينهم، وأنه يصير المؤمنين إلى جنات النعيم، والكافرين في العذاب المهين، وقد تقدم وصف الجنة والنار فإن قيل التنوين في (يومئذ) عن أي جملة ينوب؟ قلنا تقديره: الملك يوم يؤمنون أو يوم تزول مريتهم لقوله تعالى: ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة.

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٥٨ الى ٦٢]

والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين (٥٨) ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم حليم (٥٩) ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله إن الله لعفو غفور (٦٠) ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير (٦١) ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير (٦٢)." (١)

"السؤال الثالث: لم قال في إعطاء الإناث وحدهن، وفي إعطاء الذكور وحدهم بلفظ الهبة فقال: يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور وقال في إعطاء الصنفين معا أو يزوجهم ذكرانا وإناثا.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٤٢/٢٣

السؤال الرابع: لما كان حصول الولد هبة من الله فيكفي في عدم حصوله أن لا يهب فأي حاجة في عدم حصوله إلى أن يقول ويجعل من يشاء عقيما؟.

السؤال الخامس: هل المراد من هذا الحكم جمع معينون أو المراد الحكم على الإنسان المطلق؟.

والجواب: عن السؤال الأول من وجوه الأول: أن الكريم يسعى في أن يقع الختم على الخير والراحة والسرور والبهجة فإذا وهب الولد الأنثى أولا ثم أعطاه الذكر بعده فكأنه نقله من الغم إلى الفرح وهذا غاية الكرم، أما إذا أعطى الولد أولا ثم أعطى الأنثى ثانيا فكأنه نقله من الفرح إلى الغم فذكر تعالى هبة الولد الأنثى أولا وثانيا هبة الولد الذكر حتى يكون قد نقله من الغم إلى الفرح فيكون ذلك أليق بالكرم الوجه الثاني: أنه إذا أعطي الولد الأنثى أولا علم أنه لا اعتراض له على الله تعالى فيرضى بذلك فإذا أعطاه الولد الذكر بعد ذلك علم أن هذه الزيادة فضل من الله تعالى وإحسان إليه فيزداد شكره وطاعته، ويعلم أن ذلك إنما حصل بمحض الفضل والكرم والوجه الثالث: قال بعض المذكرين الأنثى ضعيفة ناقصة عاجزة فقدم ذكرها تنبيها على أنه كلما كان العجز والحاجة أتم كانت عناية الله به أكثر الوجه الرابع: كأنه يقال أيتها المرأة الضعيفة العاجزة إن أباك وأمك يكرهان وجودك فإن كانا قد كرها وجودك فأنا قدمتك في الذكر لتعلمي أن المحسن المكرم هو الله تعالى، فإذا علمت المرأة ذلك زادت في الطاعة والخدمة والبعد عن موجبات الطعن والذم، فهذه المعاني هي التي لأجلها وقع ذكر الإناث مقدما على ذكر الذكور وإنما قدم ذكر الذكور بعد ذلك على ذكر الإناث لأن الذكر أكمل وأفضل من الأنثى والأفضل الأكمل مقدم على الأخس الأرذل، والحاصل أن النظر إلى كونه ذكرا أو أنثى يقتضي تقديم ذكر الذكر على ذكر الأنثى، أما العوارض الخارجية التي ذكرناها فقد أوجبت تقديم ذكر الأنثى على ذكر الذكر، فلما حصل المقتضي للتقديم والتأخير في البابين لا جرم قدم هذا مرة وقدم ذلك مرة أخرى والله أعلم.

وأما السؤال الثاني: وهو قوله لم عبر عن الإناث بلفظ التنكير، وعن الذكور بلفظ التعريف؟ فجوابه أن المقصود منه التنبيه على كون الذكر أفضل من الأنثى.

وأما السؤال الثالث: وهو قوله لم قال تعالى في إعطاء الصنفين أو يزوجهم ذكرانا وإناثا؟ فجوابه أن كل شيئين يقرن أحدهما بالآخر فهما زوجان، وكل واحد منهما يقال له زوج والكناية في يزوجهم عائدة على الإناث والذكور التي في الآية الأولى، والمعنى يقرن الإناث والذكور فيجعلهم أزواجا.

وأما السؤال الرابع: فجوابه **أن العقيم هو** الذي لا يولد له، يقال رجل عقيم لا يلد، وامرأة عقيم لا تلد **وأصل العقم القطع**، ومنه قيل الملك عقيم لأنه يقطع فيه الأرحام بالقتل والعقوق.

وأما السؤال الخامس: فجوابه قال ابن عباس يهب لمن يشاء إناثا يريد لوطا وشعيبا عليهما السلام لم يكن لهما إلا النبات ويهب لمن يشاء الذكور يريد إبراهيم عليه السلام لم يكن له/ إلا الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإناثا يريد محمدا صلى الله عليه وسلم كان له من البنين أربعة القاسم والطاهر وعبد الله وإبراهيم، ومن البنات أربعة زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة ويجعل من يشاء عقيما يريد عيسى ويحيى، وقال الأكثرون من المفسرين." (١)

"أحضر شيئا ينبغي أن يخفيه عن الضيف كي لا يمنعه من الإحضار بنفسه حيث راغ هو ولم يقل هاتوا، وغيبة المضيف لحظة/ من الضيف مستحسن ليستريح ويأتي بدفع ما يحتاج إليه ويمنعه الحياء منه ثم اختيار الأجود بقوله سمين ثم تقديم الطعام إليهم لا نقلهم إلى الطعام بقوله فقربه إليهم لأن من قدم الطعام إلى قوم يكون كل واحد مستقرا في مقره لا يختلف عليه المكان فإن نقلهم إلى مكان الطعام ربما يحصل هناك اختلاف جلوس فيقرب الأدنى ويضيق على الأعلى ثم العرض لا الأمر حيث قال: ألا تأكلون ولم يقل كلوا ثم كون المضيف مسرورا بأكلهم غير مسرور بتركهم الطعام كما يوجد في بعض البخلاء المتكلفين الذين يحضرون طعاما كثيرا ويكون نظره ونظر أهل بيته في الطعام متى يمسك الضيف يده عنه يدل عليه قوله تعالى:

[سورة الذاريات (٥١) : آية ٢٨]

فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم (٢٨)

ثم أدب الضيف أنه إذا أكل حفظ حق المؤاكلة، يدل عليه أنه خافهم حيث لم يأكلوا، ثم وجوب إظهار العذر عند الإمساك يدل عليه قوله لا تخف ثم تحسين العبارة في العذر وذلك لأن من يكون محتميا وأحضر لديه الطعام فهناك أمران أحدهما: أن الطعام لا يصلح له لكونه مضرا به الثاني: كونه ضعيف القوة عن هضم ذلك الطعام فينبغي أن لا يقول الضيف هذا طعام غليظ لا يصلح لي بل الحسن أن يأتي بالعبارة الأخرى ويقول:

لي مانع من أكل الطعام وفي بيتي لا آكل أيضا شيئا، يدل عليه قوله وبشروه بغلام حيث فهموه أنهم ليسوا ممن يأكلون ولم يقولوا لا يصلح لنا الطعام والشراب، ثم أدب آخر في البشارة أن لا يخبر الإنسان بما يسره دفعة فإنه يورث مرضا يدل عليه أنهم جلسوا واستأنس بهم إبراهيم عليه السلام ثم قالوا نبشرك ثم ذكروا

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٦١٠/٢٧

أشرف النوعين وهو الذكر ولم يقتنعوا به حتى وصفوه بأحسن الأوصاف فإن الابن يكون دون البنت إذا كانت البنت كاملة الخلقة حسنة الخلق والابن بالضد، ثم إنهم تركوا سائر الأوصاف من الحسن والجمال والقوة والسلامة واختاروا العلم إشارة إلى أن العلم رأس الأوصاف ورئيس النعوت، وقد ذكرنا فائدة تقديم البشارة على الإخبار عن إهلاكهم قوم لوط، ليعلم أن الله تعالى يهلكهم إلى خلف، ويأتي ببدلهم خيرا منهم.

[سورة الذاريات (٥١) : الآيات ٢٩ الى ٣٠]
فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم (٢٩) قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم (٣٠)
ثم قال تعالى: فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم.
أي أقبلت على أهلها، وذلك لأنها كانت في خدمتهم، فلما تكلموا مع زوجها بولادتها استحيت وأعرضت عنهم، فذكر الله تعالى ذلك بلفظ الإقبال على الأهل، ولم يقل بلفظ الإدبار عن الملائكة، وقوله تعالى: في صرة أي صيحة، كما جرت عادة النساء حيث يسمعن شيئا من أحوالهن يصحن صيحة معتادة لهن عند الاستحياء أو التعجب، ويحتمل أن يقال تلك الصيحة/ كانت بقولها يا ويلتا، تدل عليه الآية التي في سورة هود، وصك الوجه أيضا من عادتهن، واستبعدت ذلك لوصفين من اجتماعهما أحدهما: كبر السن والثاني: العقم، لأنها كانت لا تلد في صغر سنها، وعنفوان شبابها، ثم عجزت وأيست فاستبعدت، فكأنها قالت يا ليتكم دعوتم دعاء قريبا من الإجابة، ظنا منها أن ذلك منهم، كما يصدر من الضيف على سبيل الأخبار من الأدعية كقول الداعي: الله يعطيك مالا ويرزقك ولدا، فقالوا هذا منا ليس بدعاء. وإنما ذلك قول الله تعالى:." (١)

"وهو إشارة إلى بعض ما أتى به، كأنه يقول: واتخذ الأولياء فلم ينفعوه، وأخذه الله وأخذ أركانه وألقاهم جميعا في اليم وهو البحر، والحكاية مشهورة، وقوله تعالى: هو مليم
نقول فيه شرف موسى عليه السلام وبشارة للمؤمنين، أما شرفه فلأنه تعالى قال بأنه أتى بما يلام عليه بمجرد قوله: إني أريد هلاك أعدائك يا إله العالمين، فلم يكن له سبب إلا هذا، أما فرعون فقال: أنا ربكم الأعلى [النازعات: ٢٤] فكان سببه تلك، وهذا كما قال القائل: فلان عيبه أنه سارق، أو قاتل، أو يعاشر الناس

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٧٧/٢٨

يؤذيهم، وفلان عيبه أنه مشغول بنفسه لا يعاشر، فتكون نسبة العيبين بعضهما إلى بعض سببا لمدح أحدهما وذم الآخر. وأما بشارة المؤمنين فهو بسبب أن من التقمه الحوت وهو مليم نجاه الله تعالى بتسبيحه، ومن أهلكه الله بتعذيبه لم ينفعه إيمانه حين قال:

آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل [يونس: ٩٠] . ثم قال تعالى:

[سورة الذاريات (٥١) : آية ٤١]

وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم (٤١)

وفيه ما ذكرنا من الوجوه التي ذكرناها في عطف موسى عليه السلام، وفيه مسائل:

المسألة الأولى: ذكر أن المقصود هاهنا تسلية قلب النبي صلى الله عليه وسلم وتذكيره بحال الأنبياء، ولم يذكر في عاد وثمود أنبياءهم، كم ذكر إبراهيم وموسى عليهما السلام، نقول في ذكر الآيات ست حكايات: حكاية إبراهيم عليه السلام وبشارته، وحكاية قوم لوط ونجاة من كان فيها من المؤمنين، وحكاية موسى عليه السلام، وفي هذه الحكايات الثلاث ذكر الرسل والمؤمنين، لأن الناجين فيهم كانوا كثيرين، أما في حق إبراهيم وموسى عليهما السلام فظاهر، وأما في قوم لوط فلأن الناجين، وإن كانوا أهل بيت واحد، ولكن المهلكين كانوا أيضا أهل بقعة واحدة.

وأما عاد وثمود وقوم نوح فكان عدد المهلكين بالنسبة إلى الناجين أضعاف ما كان عدد المهلكين بالنسبة إلى الناجين من قوم لوط عليه السلام.

فذكر الحكايات الثلاث الأول للتسلية بالنجاة، وذكر الثلاث المتأخرة للتسلية بإهلاك العدو، والكل مذكور للتسلية بدليل قوله تعالى في آخر هذه الآيات كذلك ما أتى الذين من قبلهم من/ رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون إلى أن قال: فتول عنهم فما أنت بملوم وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين [الذاريات: ٥٤، ٥٥] . وفي هود قال بعد الحكايات ذلك من أنباء القرى نقصه عليك إلى أن قال: وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد [هود: ١٠٠- ١٠٢] فذكر بعدها ما يؤكد التهديد، وذكر بعد الحكايات هاهنا ما يفيد التسلي، وقوله العقيم أي ليست من اللواقح لأنها كانت تكسر وتقلع فكيف كانت تلقح والفعيل لا يلحق به تاء التأنيث إذا كان بمعنى مفعول وكذلك إذا كان بمعنى فاعل في بعض الصور، وقد ذكرنا سببه أن فعيل لما جاء للمفعول والفاعل جميعا ولم يتميز المفعول عن الفاعل فأولى أن لا يتميز المؤنث عن المذكر فيه لأنه لو تميز لتميز الفاعل عن المفعول قبل تميز المؤنث والمذكر لأن

الفاعل جزء من الكلام محتاج إليه فأول ما يحصل في الفعل الفاعل ثم التذكير والتأنيث يصير كالصفة للفاعل والمفعول، تقول فاعل وفاعلة ومفعول ومفعولة، ويدل على ذلك أيضا أن التمييز بين الفاعل والمفعول جعل بحرف ممازج للكلمة." (١)

"فقيل فاعل بألف فاصلة بين الفاء والعين التي هي من أصل الكلمة، وقيل مفعول بواو فاصلة بين العين واللام والتأنيث كان بحرف في آخر الكلمة فالمميز فيهما غير نظم الكلمة لشدة الحاجة وفي التأنيث لم يؤثر، ولأن التمييز في الفاعل والمفعول كان بأمرين يختص كل واحد منهما بأحدهما فالألف بعد الفاء يختص بالفاعل والميم والواو يختص بالمفعول والتمييز في التذكير والتأنيث بحرف عند وجوده يميز المؤنث وعند عدمه يبقى اللفظ على أصل التذكير فإذا لم يكن فعيل يمتاز فيه الفاعل عن المفعول إلا بأمر منفصل كذلك المؤنث والمذكر لا يمتاز أحدهما عن الآخر إلا بحرف غير متصل به وقوله تعالى:

[سورة الذاريات (٥١) : آية ٤٢]

ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم (٤٢)

وفيه مباحث:

الأول: في إعرابه وفيه وجهان أحدهما: نصب على أنه صفة الريح بعد **صفة العقيم ذكر** الواحدي أنه وصف فإن قيل كيف يكون وصفا والمعرفة لا توصف بالجمل وما تذر جملة ولا يوصف بها إلا النكرات؟ نقول الجواب فيه من وجهين أحدهما: أنه يكون بإعادة الريح تقديرا كأنه يقول: وأرسلنا عليهم **الريح العقيم ريحا** ما تذر ثانيهما: هو أن المعرف نكرة لأن تلك الريح منكرة كأنه يقول: وأرسلنا الريح التي لم تكن من الرياح التي تقع ولا وقع مثلها فهي لشدتها منكرة، ولهذا أكثر ما ذكرها في القرآن ذكرها منكرة ووصفها بالجملة من جملتها قوله تعالى: بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم [الأحقاف: ٢٤] وقوله بريح صرصر عاتية سخرها [الحاقة: ٦، ٧] إلى غير ذلك الوجه الثاني: وهو الأصح أنه نصب على الحال تقول جاءني ما يفهم شيئا فعلمته وفهمته أي حاله كذا، فإن قيل لم تكن حال الإرسال ما تذر والحال ينبغي أن يكون موجودا مع ذي الحال وقت الفعل/ فلا يجوز أن يقال جاءني زيد أمس راكبا غدا، والريح بعد ما أرست بزمان صارت ما تذر شيئا نقول المراد به اربيان بالصلاحية أي أرسلناها وهي على قوة وصلاحية أن لا تذر، نقول لمن جاء وأقام عندك أياما ثم سألك شيئا، جئتني سائلا أي قبل السؤال بالصلاحية والإمكان، هذا

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٨٣/٢٨

إن قلنا إنه نصب وهو المشهور، ويحتمل أنه رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره هي ما تذر.
البحث الثاني: ما تذر للنفي حال التكلم يقال ما يخرج زيد أي الآن، وإذا أردت المستقبل تقول لا يخرج أو لن يخرج، وأما الماضي تقول ما خرج ولم يخرج، والريح حالة الكلام مع النبي صلى الله عليه وسلم كانت ما تركت شيئا إلا جعلته كالرميم فكيف قال بلفظ الحالة ما تذر؟ نقول الحكاية مقدرة على أنها محكية حال الوقوع، ولهذا قال تعالى: وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد [الكهف: ١٨] مع أن اسم الفاعل الماضي لا يعمل وإنما يعمل ما كان منه بمعنى الحال والاستقبال.
البحث الثالث: هل في قوله تعالى: ما تذر من شيء أتت عليه مبالغة ودخول تخصيص كما في قوله تعالى: تدمر كل شيء بأمر ربها [الأحقاف: ٢٥] نقول هو كما وقع لأن قوله أتت عليه وصف لقوله شيء كأنه قال كل شيء أتت عليه أو كل شيء تأتي عليه جعلته كالرميم ولا يدخل فيه السموات لأنها ما أتت عليها وإنما يدخل فيه الأجسام التي تهب عليها الرياح، فإن قيل فالجبال والصخور أتت عليها وما جعلتها كالرميم؟ نقول المراد أتت عليه قصدا وهو عاد وأبنيتهم وعروشهم وذلك لأنها كانت مأمورة بأمر من عند الله." (١)

"أمر بالتوحيد، وفيه لطائف الأولى: قوله تعالى: ففروا ينبئ عن سرعة الإهلاك كأنه يقول الإهلاك والعذاب أسرع وأقرب من أن يحتمل الحال الإبطاء في الرجوع، فافزعوا إلى الله سريعا وفروا الثانية: قوله تعالى: إلى الله بيان المهروب إليه ولم يذكر الذي منه الهرب لأحد وجهين، إما لكونه معلوما وهو هول العذاب أو الشيطان الذي قال فيه إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا [فاطر: ٦] وإما ليكون عاما كأنه يقول: كل ما عدا الله عدوكم ففروا إليه من كل ما عداه، وبيانه وهو أن كل ما عداه فإنه يتلف عليك رأس مالك الذي هو العمر، ويفوت عليك ما هو الحق والخير، ومتلف رأس المال مفوت الكمال عدو، وأما إذا فررت إلى الله وأقبلت على الله فهو يأخذ عمرك ولكن يرفع أمرك ويعطيك بقاء لا فناء معه والثالثة: الفاء للترتيب معناه إذا ثبت أن خالق الزوجين فرد ففروا إليه واتركوا غيره تركا مؤبدا الرابعة: في تنوع الكلام فائدة وبيانها هو أن الله تعالى قال: والسماء بنيناها [الذاريات: ٤٧] والأرض فرشناها [الذاريات: ٤٨] ومن كل شيء خلقنا [الذاريات: ٤٩] ثم جعل الكلام للنبي عليه السلام وقال: ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين ولم يقل ففروا إلينا، وذلك لأن لاختلاف الكلام تأثيرا، وكذلك لاختلاف المتكلمين تأثيرا، ولهذا يكثر الإنسان من النصائح مع ولده الذي حاد عن الجادة، ويجعل الكلام مختلفا، نوعا ترغيبا ونوعا ترهيبا، وتنبيها بالحكاية، ثم يقول لغيره تكلم معه لعل كلامك ينفع، لما في أذهان الناس أن اختلاف المتكلمين

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٨٤/٢٨

واختلاف الكلام كلاهما مؤثر، والله تعالى ذكر أنواعا من الكلام وكثيرا من الاستدلالات والآيات وذكر طرفا صالحا من الحكايات، ثم ذكر كلاما من متكلم آخر هو النبي صلى الله عليه وسلم، ومن المفسرين من يقول تقديره فقل لهم ففروا وقوله إني لكم منه نذير إشارة إلى الرسالة.

وفيه أيضا لطائف إحداها: أن الله تعالى بين عظمته بقوله والسماء بنيناها والأرض فرشناها وهيبته بقوله نبذناهم في اليم

[القصص: ٤٠] وقوله تعالى: أرسلنا عليهم **الريح العقيم** [الذاريات: ٤٨] وقوله فأخذتهم الصاعقة [النساء: ١٥٣] وفيه إشارة إلى أنه تعالى إذا عذب قدر على أن يعذب بما به البقاء والوجود وهو التراب والماء والهواء والنار، فحكايات لوط تدل على أن التراب الذي منه الوجود والبقاء إذا أراد الله جعله سبب الفناء والماء كذلك في قوم فرعون والهواء في عاد والنار في ثمود، ولعل ترتيب الحكايات الأربع للترتيب الذي في العناصر الأربعة وقد ذكرنا في سورة العنكبوت شيئا منه، ثم إذ أبان عظمته وهيبته قال لرسوله عرفهم الحال وقل أنا رسول بتقديم الآيات وسرد الحكايات فلإردافه بذكر الرسول فائدة ثانيها: في الرسالة أمور ثلاثة المرسل والرسول والمرسل إليه وهاهنا ذكر الكل، فقوله لكم إشارة إلى المرسل إليهم وقوله منه إشارة إلى المرسل وقوله نذير بيان للرسول، وقدم المرسل إليه في الذكر، لأن المرسل إليه أدخل في أمر الرسالة/ لأن عنده يتم الأمر، والملك لو لم يكن هناك من يخالفه أو يوافقه فيرسل إليه نذيرا أو بشيرا لا يرسل وإن كان ملكا عظيما، وإذا حصل المخالف أو الموافق يرسل وإن كان غير عظيم، ثم المرسل لأنه متعين وهو الباعث، وأما الرسول فباختياره، ولولا المرسل المتعين لما تمت الرسالة، وأما الرسول فلا يتعين، لأن للملك اختيار من يشاء من عباده، فقال: منه ثم قال: نذير تأخيرا للرسول عن المرسل ثالثها: قوله مبين إشارة إلى ما به تعرف الرسالة، لأن كل حادث له سبب وعلامة، فالرسول هو الذي به تتم الرسالة، ولا بد له من علامة يعرف به، فقوله مبين إشارة إليها وهي إما البرهان والمعجزة.." (١)

"بجوهر غير جسم لما اختل الغرض ثانيها: أن يكون المحل هو المقصود كقولنا الحيوان لأنه اسم لجنس ما له الحياة لا كالحي الذي هو اسم لشيء له الحياة، فالمقصود هنا المحل وهو الجسم حتى لو وجد حي ليس بجسم لا يحصل مقصود من قال: الحيوان ولو حمل اللفظ على الله الحي الذي لا يموت لحصل غرض المتكلم ولو حمل لفظ الحيوان على فرس قائم أو إنسان نائم لم تفارقه الحياة لم يبق للسامع نفع ولم يحصل للمتكلم غرض فإن القائل إذا قال لإنسان قائم وهو ميت هذا حيوان ثم بان موته لا يرجع

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٨٩/٢٨

عما قال بل يقول: ما قلت إنه حي بل قلت إنه حيوان فهو حيوان فارقته الحياة ثالثها: ما يكون الأمران مقصودين كقولنا رجل وامرأة وناقة وجمل فإن الرجل اسم موضوع لإنسان ذكر والمرأة لإنسان أنثى والناقة لبعير أنثى والجمل لبعير ذكر فالناقة إن أطلقت على حيوان فظهر فرسا أو ثور اختل الغرض وإن بان جملا كذلك، إذا علمت هذا ففي كل صورة كان المحل مقصودا إما وحده وإما مع الحال فلا يوصف به فلا يقال جسم حيوان ولا يقال بعير ناقة وإنما يجعل ذلك جملة، فيوصف بالجملة، فيقال جسم هو حيوان وبعير هو ناقة، ثم إن الأبلق والأفطس شأنه الحيوان من وجه وشأنه العالم من وجه وكذلك المهند لكن دليل ترجيح الحال فيه ظاهر، لأن المهند لا يذكر إلا لمدح السيف، والأفطس لا يقال إلا لوصف الأنف لا لحقيقته، وكذلك الأبلق بخلاف الحيوان فإنه لا يقال لوصفه، وكذلك الناقة، إذا علمت هذا فالصرصر يقال لشدة الريح أو لبردها فوجب أن يعمل به ما يعمل بالبارد والشديد فجاز الوصف وهذا بحث عزيز.

المسألة الثالثة: قال تعالى هاهنا إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا وقال في الطور: وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم [الذاريات: ٤١] فعرف الريح هناك ونكرها هنا لأن العقم في الريح أظهر من البرد الذي يضر النبات أو الشدة التي تعصف الأشجار لأن الريح العقيم هي التي لا تنشئ سحابا ولا تلقح شجرا وهي كثيرة الوقوع، وأما الريح المهلكة الباردة فقلما توجد، فقال: الريح العقيم أي هذا الجنس المعروف، ثم زاده بيانا بقوله: ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم [الذاريات: ٤٢] فتميزت عن/ الرياح العقم، وأما الصرصر فقليلة الوقوع فلا تكون مشهورة فنكرها.

المسألة الرابعة: قال هنا في يوم نحس مستمر وقال في السجدة: في أيام نحسات [فصلت: ١٦] وقال في الحاقة: سبع ليال وثمانية أيام حسوما [الحاقة: ٧] والمراد من اليوم هنا الوقت والزمان كما في قوله تعالى: يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا [مريم: ٣٣] وقوله: مستمر يفيد ما يفيده الأيام لأن الاستمرار ينبئ عن إمرار الزمان كما ينبئ عنه الأيام، وإنما اختلف اللفظ مع اتحاد المعنى، لأن الحكاية هنا مذكورة على سبيل الاختصار، فذكر الزمان ولم يذكر مقداره ولذلك لم يصفها، ثم إن فيه قراءتين أحدهما:

يوم نحس بإضافة يوم، وتسكين نحس على وزن نفس، وثانيتهما: يوم نحس بتنوين الميم وكسر الحاء على وصف اليوم بالنحس، كما في قوله تعالى: في أيام نحسات فإن قيل أيتهما أقرب؟ قلنا: الإضافة أصح، وذلك لأن من يقرأ: يوم نحس مستمر يجعل المستمر صفة ليوم، ومن يقرأ يوم نحس مستمر يكون المستمر وصفا لنحس، فيحصل منه استمرار النحوسة فالأول أظهر وأليق، فإن قيل: من يقرأ يوم نحس بسكون الحاء، فماذا يقول في النحس؟ نقول: يحتمل أن يقول هو تخفيف نحس كفخذ وفخذ في غير الصفات،

ونصر ونصر ورعد ورعد، وعلى هذا يلزمه أن يقول تقديره: يوم كائن نحس، كما تقول في قوله تعالى: بجانب." (١)

"عسق: إن يشأ يسكن الرياح [الشورى: ٣٣] وقرأ ابن كثير: الرياح في خمسة مواضع/ البقرة والحجر والكهف والروم في موضعين وقرأ الكسائي في ثلاثة مواضع: في الحجر والفرقان والروم الأول منها.

واعلم أن كل واحدة من هذه الرياح مثل الأخرى في دلالتها على الوحدانية، وأما من وحد فإنه يريد به الجنس، كقولهم: أهلك الناس الدينار والدرهم، وإذا أريد بالريح الجنس كانت قراءة من وحد كقراءة من جمع، فأما ما

روي في الحديث من أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا هبت الريح قال: «اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا»

فإنه يدل على أن مواضع الرحمة بالجمع أولى، قال تعالى: ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات [الروم: ٤٦] وإنما يبشر بالرحمة، وقال في موضع الإفراد: في عاد إذ أرسلنا عليهم **الريح العقيم [**الذاريات: ٤١] وقد يختص اللفظ في القرآن بشيء فيكون أمارة له، فمن ذلك أن عامة ما جاء في التنزيل من قوله تعالى: وما يدريك لعل الساعة قريب [الشورى: ١٧] وما كان من لفظ أدراك فإنه مفسر لمبهم غير معين كقوله: وما أدراك ما القارعة ... وما أدراك ما هيه [القارعة: ٣، ١٠] النوع الثامن من الدلائل: قوله تعالى: والسحاب المسخر بين السماء والأرض [البقرة: ١٦٤] سمي السحاب سحابا لانسحابه في الهواء، ومعنى التسخير التذليل، وإنما سماه مسخرا لوجوه. أحدها: أن طبع الماء ثقيل يقتضي النزول فكان بقاؤه في جو الهواء على خلاف الطبع، فلا بد من قاسر قاهر يقهره على ذلك فلذلك سماه بالمسخر. الثاني: أن هذا السحاب لو دام لعظم ضرره من حيث إنه يستر ضوء الشمس، ويكثر الأمطار والابتلال، ولو انقطع لعظم ضرره لأنه يقتضي القحط وعدم العشب والزراعة، فكان تقديره بالمقدار المعلوم هو المصلحة فهو المسخر الله سبحانه يأتي به في وقت الحاجة ويرده عند زوال الحاجة. الثالث: أن السحاب لا يقف في موضع معين بل يسوقه الله تعالى بواسطة تحريك الرياح إلى حيث أراد وشاء فذلك هو التسخير فهذا هو الإشارة إلى وجوه الاستدلال بهذه الدلائل.

وأما قوله تعالى: لآيات لقوم يعقلون [الروم: ٢٤] ففيه مسائل:

المسألة الأولى: قوله: لآيات لفظ جمع فيحتمل أن يكون ذلك راجعا إلى الكل، أي مجموع هذه الأشياء

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٠٣/٢٩

آيات ويحتمل أن يكون راجعا إلى كل واحد مما تقدم ذكره، فكأنه تعالى بين أن في كل واحد مما ذكرنا آيات وأدلة وتقرير ذلك من وجوه. أحدها: أنا بينا أن كل واحد من هذه الأمور الثمانية يدل على وجود الصانع سبحانه وتعالى من وجوه كثيرة. وثانيها: أن كل واحد من هذه الآيات يدل على مدلولات كثيرة فهي من حيث إنها لم تكن موجودة ثم وجدت دلت على وجود المؤثر وعلى كونه قادرا، لأنه لو كان المؤثر موجبا لدام الأثر بدوامه، فما كان يحصل التغير ومن حيث إنها وقعت على وجه الإحكام والإتقان دلت على علم الصانع، ومن حيث إن حدوثها اختص بوقت دون وقت دلت على إرادة الصانع، ومن حيث إنها وقعت على وجه الاتساق والانتظام من غير ظهور الفساد فيها دلت على وحدانية الصانع، على ما قال تعالى/ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا [الأنبياء: ٢٢] . وثالثها: أنها كما تدل على وجود الصانع وصفاته فكذلك تدل على وجوب طاعته وشكره علينا عند من يقول بوجوب شكر المنعم عقلا لأن كثرة النعم توجب الخلوص في الشكر. ورابعها: أن كل واحد من هذه الدلائل الثمانية أجسام عظيمة فهي مركبة من الأجزاء التي لا تتجزأ فذلك الجزء الذي يتقاصر الحس والوهم والخيال عن إدراكه قد حصل فيه جميع هذه الدلائل، فإن ذلك الجزء من حيث إنه حادث، فكان." (١)

"ليجعل ما يلقي الشيطان علة لتمكين الشيطان منه، وذلك يدل على أن الملقى أمر ظاهر عرفه المحق والمبطل. فتنة للذين في قلوبهم مرض شك ونفاق. والقاسية قلوبهم المشركين. وإن الظالمين يعني الفريقين فوضع الظاهر موضع ضميرهم قضاء عليهم بالظلم. لفي شقاق بعيد عن الحق أو عن الرسول والمؤمنين.

وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك أن القرآن هو الحق النازل من عند الله، أو تمكين الشيطان من الإلقاء هو الحق الصادر من الله لأنه مما جرت به عادته في الإنس من لدن آدم. فيؤمنوا به بالقرآن أو بالله. فتخبت له قلوبهم بالانقياد والخشية. وإن الله لهاد الذين آمنوا فيما أشكل. إلى صراط مستقيم هو نظر صحيح يوصلهم إلى ما هو الحق فيه.

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٥٥ الى ٥٦]

ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم (٥٥) الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم (٥٦)

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٧٣/٤

ولا يزال الذين كفروا في مرية في شك. منه من القرآن أو الرسول، أو مما ألقى الشيطان في أمنيته يقولون ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنها. حتى تأتيهم الساعة القيامة أو أشراطها أو الموت. بغتة فجأة. أو يأتيهم عذاب يوم عقيم يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر، سمي به لأن أولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كالعقم، أو لأن المقاتلين أبناء الحرب فإذا قتلوا صارت عقيما، فوصف اليوم بوصفها اتساعا أو لأنه لا خير لهم فيه، ومنه الريح العقيم لما لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا، أو لأنه لا مثل له لقتال الملائكة فيه، أو يوم القيامة على أن المراد ب الساعة غيره أو على وضعه، موضع ضميرها للتهويل.

الملك يومئذ لله التنوين فيه ينوب عن الجملة التي دلت عليها الغاية أي: يوم تزول مريتهم. يحكم بينهم بالمجازاة، والضمير يعم المؤمنين والكافرين لتفصيله بقوله: فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم.

[سورة الحج (٢٢) : آية ٥٧]

والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين (٥٧)

والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين وإدخال الفاء في خبر الثاني دون الأول تنبيه على أن إثابة المؤمنين بالجنات تفضل من الله تعالى، وأن عقاب الكافرين مسبب عن أعمالهم فلذلك قال لهم عذاب ولم يقل: هم في عذاب.

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٥٨ الى ٥٩]

والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين (٥٨) ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم حليم (٥٩)

والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا في الجهاد. أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا الجنة ونعيمها، وإنما سوى بين من قتل في الجهاد ومن مات حتف أنفه في الوعد لاستوائهما في القصد وأصل العمل.

روي أن بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم قالوا: يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله تعالى من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا إن متنا فنزلت.

وإن الله لهو خير الرازقين فإنه يرزق بغير حساب.." (١)

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٧٦/٤

"أخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم

فأغرقناهم في البحر. هو مليم

آت بما يلام عليه من الكفر والعناد، والجملة حال من الضمير في أخذناه.

[سورة الذاريات (٥١) : الآيات ٤١ الى ٤٢]

وفي عاد إذ أرسلنا عليهم **الريح العقيم** (٤١) ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم (٤٢)

وفي عاد إذ أرسلنا عليهم **الريح العقيم سماها** عقيما لأنها أهلكتهم وقطعت دابرهم، أو لأنها لم تتضمن منفعة، وهي الدبور أو الجنوب أو النكباء.

ما تذر من شيء أتت مرت. عليه إلا جعلته كالرميم كالرماد من الرم وهو البلى والتفتت.

[سورة الذاريات (٥١) : الآيات ٤٣ الى ٤٥]

وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين (٤٣) فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون (٤٤) فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين (٤٥)

وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين تفسيره قوله: تمتعوا في داركم ثلاثة أيام.

فعتوا عن أمر ربهم فاستكبروا عن امتثاله. فأخذتهم الصاعقة أي العذاب بعد الثلاث. وقرأ الكسائي «الصعقة» وهي المرة من الصعق. وهم ينظرون إليها فإنها جاءتهم معاينة بالنهار.

فما استطاعوا من قيام كقوله: فأصبحوا في دارهم جاثمين. وقيل من قولهم ما يقوم به إذا عجز عن دفعه.

وما كانوا منتصرين ممتنعين منه.

[سورة الذاريات (٥١) : آية ٤٦]

وقوم نوح من قبل إنهم كانوا قوما فاسقين (٤٦)

وقوم نوح أي وأهلكنا قوم نوح لأن ما قبله يدل عليه. أو أذكر ويجوز أن يكون عطفا على محل في عاد، ويؤيده قراءة أبي عمرو وحمزة والكسائي بالجر. من قبل من قبل هؤلاء المذكورين. إنهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن الاستقامة بالكفر والعصيان.

[سورة الذاريات (٥١) : الآيات ٤٧ الى ٤٩]

والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون (٤٧) والأرض فرشناها فنعم الماهدون (٤٨) ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون (٤٩)

والسماء بنيناها بأيد بقوة. وإنا لموسعون لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الإنفاق. أو لموسعون السماء أو ما بينها وبين الأرض أو الرزق.

والأرض فرشناها مهدناها لتستقروا عليها. فنعم الماهدون أي نحن.

ومن كل شيء من الأجناس. خلقنا زوجين نوعين لعلكم تذكرون فتعلمون أن التعدد من خواص الممكنات وأن الواجب بالذات لا يقبل التعدد والانقسام.

[سورة الذاريات (٥١) : الآيات ٥٠ الى ٥١]

ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين (٥٠) ولا تجعلوا مع الله إلها آخر إني لكم منه نذير مبين (٥١)

ففروا إلى الله من عقابه بالإيمان والتوحيد وملازمة الطاعة. إني لكم منه أي من عذابه المعد لمن أشرك أو عصى. نذير مبين بين كونه منذرا من الله بالمعجزات، أو مبين ما يجب أن يحذر عنه.

ولا تجعلوا مع الله إلها آخر إفراد لأعظم ما يجب أن يفر منه. إني لكم منه نذير مبين تكرير للتأكيد، أو الأول مرتب على ترك الإيمان والطاعة والثاني على الإشراك.." (١)

"وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين (٢٢)

﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾ جمع لاقحة أي وأرسلنا الرياح حوامل بالسحاب لأنها تحمل السحاب في جوفها كأنها لاقحة بها من لقحت الناقة حملت **وضدها العقيم الريح** حمزة ﴿فأنزلنا من السمآء مآء فأسقيناكموه﴾ فجعلناه لكم سقيا ﴿ومآ أنتم له بخازنين﴾ نفي عنهمماااثته عنه ما اثبته لنفسه في قوله وإن من شيء إلا عندنا خزائنه كأنه قال نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على خلقه في السماء وإنزاله منها وما أنتم عليه بقادرين دلالة عظيمة على قدرته وعجزهم." (٢)

"ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم (٥٥)

﴿ولا يزال الذين كفروا فى مرية﴾ شك ﴿منه﴾ من القرآن أو من الصراط المستقيم ﴿حتى تأتيهم الساعة بغتة﴾ فجأة ﴿أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾ يعني يوم بدر فهو عقيم عن أن يكون للكافرين فيه فرج أو راحة

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ١٥٠/٥

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ١٨٧/٢

كالريح العقيم لا تأتي بخير أو شديد لا رحمة فيه أو لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه وعن الضحاك أنه يوم القيامة وأن المراد بالساعة مقدماته." (١)

"وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم (٤١)

﴿وفى عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾ هي التي لا خير فيها من إنشاء مطر أو إلقاح شجر وهي ريح الهلاك واختلف فيها والاظهر انا الدبور لقوله عليه السلام نصرت بالصبا واهتلكت عاد بالدبور." (٢)

"العالم والمدبر له واحد قادر مختار، فبين سبحانه وتعالى من عجائب مخلوقاته ثمانية أنواع أولها: إن في خلق السموات والأرض وإنما جمع السموات لأنها أجناس مختلفة كل سماء من جنس غير جنس الأخرى ووحد الأرض لأنها جنس واحد وهو التراب، والآية في السماء هي سمكها وارتفاعها بغير عمد، ولا علاقة وما يرى فيها من الشمس والقمر والنجوم، والآية في الأرض مدها وبسطها على الماء، وما يرى فيها من الجبال والبحار والمعادن والجواهر والأنهار والأشجار والثمار والنبات. النوع الثاني قوله تعالى: واختلاف الليل والنهار أي تعاقبهما في المجيء والذهاب وقيل اختلافهما في الطول والقصر والزيادة والنقصان والنور والظلمة. وإنما قدم الليل على النهار لأن الظلمة أقدم. والآية في الليل والنهار أن انتظام أحوال العباد بسبب طلب الكسب والمعيشة يكون في النهار وطلب النوم والراحة يكون في الليل فاختلاف الليل والنهار إنما هو لتحصيل مصالح العباد. النوع الثالث قوله تعالى: والفلك التي تجري في البحر أي السفن واحدة وجمعه سواء، وسمي البحر بحرا لاتساعه وانبساطه، والآية في الفلك تسخيرها وجريانها على وجه الماء وهي موقرة بالأثقال والرجال فلا ترسب وجريانها بالريح مقبلة ومدبرة، وتسخير البحر لحمل الفلك مع قوة سلطان الماء، وهيجان البحر فلا ينجي منه إلا الله تعالى النوع الرابع قوله تعالى: بما ينفع الناس يعني ركوبها والحمل عليها في التجارات لطلب الأرباح، والآية في ذلك أن الله تعالى لو لم يقو قلب من يركب هذه السفن لما تم الغرض في تجاراتهم، ومنافعهم وأيضا فإن الله تعالى خص كل قطر من أقطار العالم بشيء معين، وأحوج الكل إلى الكل فصار ذلك سببا يدعوهم إلى اقتحام الأخطار في الأسفار من ركوب السفن وخوض البحر وغير ذلك فالحامل ينتفع، لأنه يربح والمحمول إليه ينتفع بما حمل إليه. النوع الخامس قوله تعالى: وما أنزل الله من السماء من ماء يعني المطر قيل أراد بالسماء السحاب سمي سماء لأن كل ما علاك فأظلك فهو سماء خلق الله الماء في السحاب، ومنه ينزل إلى الأرض وقيل: أراد السماء

---

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٢/٤٤٩

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٣/٣٧٨

بعينها خلق الله الماء في السماء ومنه ينزل إلى السحاب ثم منه إلى الأرض فأحيا به أي بالماء الأرض بعد موتها أي يبسها وجدبها سماه موتا مجازا لأنها إذا لم تنبت شيئا، ولم يصبها المطر فهي كالميتة، والآية في إنزال المطر وإحياء الأرض به أن الله تعالى جعله سببا لإحياء الجميع من حيوان ونبات ونزوله عند وقت الحاجة إليه بمقدار المنفعة، وعند الاستسقاء والدعاء وإنزاله بمكان دون مكان. النوع السادس قوله تعالى: وبث أي فرق فيها أي في الأرض من كل دابة قال ابن عباس: يريد كل ما دب على وجه الأرض من جميع الخلق من الناس وغيرهم، والآية في ذلك أن جنس الإنسان يرجع إلى أصل واحد وهو آدم ثم ما فيهم من الاختلاف في الصور والأشكال والألوان والألسنة والطبائع والأخلاق والأوصاف إلى غير ذلك ثم يقاس على بني آدم سائر الحيوان. النوع السابع قوله تعالى: وتصريف الرياح يعني في مهابها قبولا ودبورا وشمالا وجنوبا ونكباء وهي الريح التي تأتي من غير مهب صحيح، فكل ريح تختلف مهابها تسمى: نكباء وقيل: تصريفها في أحوال مهابها لينة وعاصفة وحارة وباردة وسميت ريحا لأنها تريح قال ابن عباس: أعظم جنود الله الريح وقيل ما هبت ريح إلا لشفاء سقيم أو ضده. وقيل: البشارة في ثلاث رياح الصبا والشمال والجنوب والدبور: هي **الريح العقيم التي** أهلكت بها عاد فلا بشارة فيها، والآية في الريح أنها جسم لطيف لا يمسك ولا يرى وهي مع ذلك في غاية القوة تقلع الشجر والصخر وتخرب البنيان العظيم وهي مع ذلك حياة الوجود فلو أمسكت

طرفة عين لمات كل ذي روح وأنتن ما على وجه الأرض.

النوع الثامن قوله تعالى: والسحاب المسخر بين السماء والأرض أي الغيم المذلل سمي سحابا لسرعة سيره كأنه يسحب. والآية في ذلك أن السحاب مع ما فيه من المياه العظيمة التي تسيل منها الأدوية العظيمة يبقى معلقا بين السماء والأرض، ففي هذه الأنواع الثمانية المذكورة في هذه الآية دلالة عظيمة على وجود الصانع القادر المختار، وأنه الواحد في ملكه فلا شريك له ولا نظير وهو المراد من قوله: «وإلهكم إله واحد لا إله إلا." (١)

"ألا يا سعد إنك من قبيل ... ذوي كرم وأمك من ثمود

فإنا لا نطيعك ما بقينا ... ولسنا فاعلين لما تريد

أتأمرنا لنترك دين وفد ... ورمل والصداء مع الصمود

ونترك دين آباء كرام ... ذوي رأي ونتبع دين هود

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١/٩٩

ثم قال جلهمة لمعاوية بن بكر وأبيه بكر احبسا عنا مرثدا فلا يقدمن معنا مكة فإنه قد تبع دين هود وترك ديننا ثم خرجوا إلى مكة يستسقون بها لعاد فلما ولو إلى مكة خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية بن بكر حتى أدركهم بمكة قبل أن يدعو الله بشيء مما خرجوا إليه فلما انتهى إليهم قام يدعو الله وبها وفد عاد يدعونه فقال مرثد: اللهم أعطني سؤلي وحدي ولا تدخلني فيما يدعوك به وفد عاد، وقام قيل بن عنز رأس وفد عاد يدعو فقال: اللهم أعط قيلا ما سألك. وقال الوفد معه: واجعل سؤلنا مع سؤله. وكان قد تخلف عن وفد عاد لقمان بن عاد وكان سيد عاد حتى إذا فرغوا من دعواتهم قام لقمان فقال: اللهم إني جئتك وحدي في حاجتي فأعطني سؤلي وسأل طول العمر فعمر عمر سبعة أنسر وقال قيل بن عنز حين دعا يا إلهنا إن كان هود صادقا فاسقنا فإنا قد هلكنا فأنشأ الله تعالى سحائب ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لقومك ولنفسك من هذه السحائب فقال قيل: قد اخترت السحابة السوداء فإنها أكثر السحاب ماء فناداه مناد اخترت رمادا رمددا لا يبقي من آل عاد أحدا وساق الله تعالى السحابة السوداء التي اختارها قيل بما فيها من النقمة إلى عاد حتى خرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا يقول الله عز وجل: بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء أي كل شيء مرت به بأمر ربها وكان أول من أبصر ما فيها وعرف أنها ريح مهلكة امرأة من عاد يقال لها مهدد فلما عرفت ما فيها من العذاب صاحت ثم صعقت فلما أن أفاقت قالوا لها ماذا رأيت قالت رأيت الريح فيها كشهب النار أمامها رجال يقودونها فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فلم تدع من آل عاد أحدا إلا أهلكه واعتزل هود ومن معه من المؤمنين في حظيرة ما يصيبه ومن معه من الريح إلا ما تلين عليه الجلود وتلذ به الأنفس وإنها في وقتها لتمر بالظعن من عاد فتحملها بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة وخرج وفد عاد من مكة حتى مروا بمعاوية بن بكر فنزلوا عليه فبينما هم عنده إذ أقبل إليه رجل على ناقة في ليلة مقمرة وذلك مساء ثالثة من مصاب عاد فأخبرهم الخبر فقالوا له: أين فارقت هودا وأصحابه؟ فقال: فارقتهم بساحل البحر وكأنهم شكوا فيما حدثهم به فقالت هذيلة بنت بكر: صدق ورب الكعبة. وقال السدي بعث الله عز وجل على عاد **الريح العقيم فلما** دنت منهم نظروا إلى الإبل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والأرض فلما رأوها تبادروا إلى البيوت فدخلوها وأغلقوا الأبواب، فجاءت الريح فقلعت أبوابهم ودخلت عليهم فأهلكتهم فيها ثم أخرجتهم من البيوت فلما أهلكتهم أرسل الله تعالى عليهم طيرا أسود فنقلهم إلى البحر فألقاهم فيه، وقيل: إن الله تعالى أمر الريح فأمالت عليهم الرمال فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام يسمع لهم أنين تحت الرمل ثم أمر الله الريح

فكشفت عنهم الرمل ثم احتملتهم فرمت بهم في البحر ولم تخرج ريح قط إلا بمكيال إلا يومئذ فإنها عتت على الخزنة فغلبتهم فلم يعلموا كم كان مكيالها وفي الحديث «إنما خرجت على مثل خرق الخاتم» وقيل: إن مرثد بن سعد ولقمان بن عاد وقيل ابن عنز حين دعوا بمكة قيل لهم أعطيتم مناكم فاختاروا لأنفسكم غير أنه لا سبيل إلى الخلود ولا بد من الموت فقال مرثد: اللهم أعطني برا وصدقا فأعطي ذلك، وقال لقمان: اللهم أعطني عمرا فقيل له اختر فاختار عمر سبعة أنسر فكان يأخذ الفرخ حين يخرج من البيضة وكان يأخذ الذكر لقوته فيربيه حتى يموت فإذا مات أخذ غيره فلم يزل يفعل ذلك حتى أتى على السابع وكان كل نسر يعيش ثمانين سنة وكان السابع من النسور اسمه لبد فلما مات لبد مات لقمان معه.." (١)

"وتخسرون (ق). عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا حجر ضب لاتبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن» قوله تعالى:

[سورة التوبة (٩): الآيات ٧٠ الى ٧٢]

ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (٧٠) والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم (٧١) وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم (٧٢)

ألم يأتهم رجع من الخطاب إلى الغيبة يعني ألم يأت هؤلاء المنافقين والكفار وهو استفهام بمعنى التقرير أي قد أتاهم نبأ يعني خبر الذين من قبلهم يعني الأمم الماضية الذين خلوا من قبلهم كيف أهلكناهم حين خالفوا أمرنا وعصوا رسلنا ثم ذكرهم فقال تعالى: قوم نوح يعني أنهم أهلكوا بالطوفان وعاد أهلكوا **بالريح العقيم وثمود** أهلكوا بالرجفة وقوم إبراهيم أهلكوا بسلب النعمة وكان هلاك نمرود ببعوضة وأصحاب مدين وهم قوم شعيب أهلكوا بعذاب يوم الظلة والمؤتفكات يعني المنقلبات التي جعل الله عاليها سافلها وهي مدائن قوم لوط.

وإنما ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الطوائف الستة، لأن آثارهم باقية وبلادهم بالشام والعراق واليمن وكل

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٢/٢١٩

ذلك قريب من أرض العرب، فكانوا يمرون عليهم ويعرفون أخبارهم أتتهم رسلهم بالبينات يعني بالمعجزات الباهرات والحجج الواضحات الدالة على صدقهم فكذبوهم وخالفوا أمرنا كما فعلتم أيها المنافقون والكفار فاحذروا أن يصيبكم مثل ما أصابهم فتعجل لكم النقمة كما عجلت لهم فما كان الله ليظلمهم يعني بتعجيل العقوبة ولكن كانوا أنفسهم يظلمون يعني أن الذي استحقوه من العقوبة بسبب ظلمهم أنفسهم.

قوله عز وجل: والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض لما وصف الله المنافقين بالأعمال الخبيثة والأحوال الفاسدة ثم ذكر بعده ما أعد لهم من أنواع الوعيد في الدنيا والآخرة عقبه بذكر أوصاف المؤمنين وأعمالهم الحسنة وما أعد لهم من أنواع الكرامات والخيرات في الدنيا والآخرة فقال تعالى: والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يعني الموالاة في الدين واتفاق الكلمة والعون والنصرة.

فإن قلت: إنه سبحانه وتعالى قال في وصف المنافقين: بعضهم من بعض وقال في وصف المؤمنين: بعضهم أولياء بعض فما الفائدة في ذلك.

قلت: لما كان نفاق الأتباع وكفرهم إنما حصل بتقليد المتبوعين وهم الرؤساء والأكابر وحصل بمقتضى الطبيعة أيضا قال فيهم بعضهم من بعض ولما كانت الموافقة الحاصلة بين المؤمنين بتسديد الله وتوفيقه وهدايته لا بمقتضى الطبيعة وهوى النفس وصفهم بأن بعضهم أولياء بعض فظهر الفرق بين الفريقين وظهرت الفائدة.

وقوله سبحانه وتعالى: يأمرون بالمعروف يعني بالإيمان بالله ورسوله واتباع أمره والمعروف كل ما عرف في الشرع من خير وبر وطاعة وينهون عن المنكر يعني عن الشرك والمعصية والمنكر كل ما ينكره الشرع وينفر منه الطبع وهذا في مقابلة ما وصف به المنافقون وضده ويقيمون الصلاة يعني الصلاة المفروضة." (١)

"يسوقها إلى حيث يشاء الله تعالى. وقيل: إن المطر ينزل من السماء كل عام بقدر واحد لا يزيد ولا ينقص ولكن الله يمطر قوما، ويحرم آخرين وقيل: إذا أراد الله بقوم خيرا أنزل عليهم المطر والرحمة وإذا أراد بقوم شرا صرف المطر عنهم إلى حيث لا ينتفع به، كالبراري والقفار والرمال والبحار ونحو ذلك. وحكى جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده أنه قال في العرش تمثال جميع ما خلق الله في البر والبحر. وهو تأويل قوله وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وأرسلنا الرياح لواقح قال ابن عباس يعني للشجر، وهو قول الحسن وقتادة وأصل هذا من قولهم: لقحت الناقة وألقحها الفحل إذا ألقى إليها الماء، فحملته فكذلك الرياح كالفحل للسحاب وقال ابن مسعود في تفسير هذه الآية: يرسل الله الرياح لتلقح السحاب فتحمل

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣٨٢/٢

الماء فتمجه في السحاب ثم تمر به فتدر كما تدر اللقحة، وقال عبيد بن عمير: يرسل الله الريح المبشرة فتقم الأرض قما، ثم يرسل المثيرة فتثير السحاب، ثم يرسل المؤلفة فتؤلف السحاب بعضه إلى بعض فتجعله ركاما، ثم يرسل اللواقح فتلقح الشجر والأظهر في هذه الآية إلقاحها السحاب لقوله بعده فأنزلنا من السماء ماء قال أبو بكر بن عياش: لا تقطر قطرة من السماء إلا بعد أن تعمل الرياح الأربع فيها فالصبا تهيج السحاب، والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه. وقال أبو عبيد: لواقح هنا بمعنى ملاقح جمع ملقحة حذفت الميم وردت إلى الأصل. وقال الزجاج: يجوز أن يقال لها لواقح وإن ألقحت غيرها، لأن معناها النسبة كما يقال: درهم وازن أي ذو وزن واعترض الواحدي على هذا.

فقال هذا ليس بمغن لأنه كان يجب أن يصح اللاقح بمعنى ذات لقح حتى يوافق قول المفسرين، وأجاب الرازي عنه بأن قال: هذا ليس بشيء. لأن اللاقح هو المنسوب إلى اللقحة، ومن أفاد غير اللقحة فله نسبة إلى اللقحة وقال صاحب المفردات لواقح أي ذات لقاح وقيل إن الريح في نفسها لاقح لأنها حاملة للسحاب والدليل عليه قوله تعالى حتى إذا أقلت سحابا ثقالا، أي حملت فعلى هذا تكون الريح لاقحة بمعنى حاملة تحمل السحاب. وقال الزجاج: ويجوز أن يقال للريح لقحت إذا أتت بالخير كما قيل لها عقيم إذا لم تأت بخير، وورد في بعض الأخبار أن الملقح الرياح الجنوب، وفي بعض الآثار ما هبت رياح الجنوب إلا واتبعت عينا غدقة (ق) عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا عصفت الريح قال: «اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها، وشر ما فيها وشر ما أرسلت به» وروى البغوي بسنده إلى الشافعي إلى ابن عباس قال:

ما هبت ريح قط إلا جثا النبي صلى الله عليه وسلم على ركبتيه، وقال: «اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا» قال ابن عباس في كتاب الله عز وجل إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا أرسلنا عليهم **الريح العقيم وقال**: وأرسلنا الرياح لواقح وقال يرسل الرياح مبشرات وقوله سبحانه وتعالى فأنزلنا من السماء ماء يعني المطر فأسقيناكموه يعني جعلنا لكم المطر سقيا يقال أسقى فلان فلانا إذا جعل له سقيا، وسقاه إذا أعطاه ما يشرب، وتقول العرب: سقيت الرجل ماء، ولبنا إذا كان لسقيه فإذا جعلوا له ماء لشرب أرضه أو ماشيته يقال: أسقيناه وما أنتم له يعني للمطر بخازنين يعني: إن المطر في خزائننا لا في خزائنكم. وقيل: وما أنتم له بمانعين.

[سورة الحجر (١٥): الآيات ٢٣ الى ٣٠]

وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون (٢٣) ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين (٢٤)

وإن ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم (٢٥) ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون (٢٦)
والجان خلقناه من قبل من نار السموم (٢٧)
وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون (٢٨) فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين (٢٩) فسجد الملائكة كلهم أجمعون (٣٠)
وإنا لنحن نحيي ونميت يعني بيدنا إحياء الخلق وإماتتهم لا يقدر على ذلك أحد إلا الله سبحانه." (١)

"أولها الله عز وجل الجواب الرابع: في تحقيق تفسير الآية وقد تقدم أن التمني يكون بمعنى حديث النفس وبمعنى التلاوة فعلى الأول: يكون معنى قوله إلا إذا تمنى أي خطر بباله وتمنى بقلبه بعض الأمور ولا يبعد أنه إذا قوي التمني اشتغل الخاطر فحصل السهو في الأفعال الظاهرة وعلى الثاني: وهو تفسير التمني بالتلاوة فيكون معنى قوله «إلا إذا تمنى» أي تلا وهو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو في إسقاط آية أو آيات أو كلمة أو نحو ذلك ولكنه لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر به للوقت والحين كما صح في الحديث «لقد أذكرني كذا كذا آية كنت أنسيتها من سورة كذا» وحاصل هذا أن الغرض من هذه الآية أن الأنبياء والرسل وإن عصمهم الله عن الخطأ في العلم فلم يعصمهم من جواز السهو عليهم بل حالهم في ذلك كحال سائر البشر والله تعالى أعلم. قوله عز وجل فينسخ الله ما يلقي الشيطان أي
يبطله ويذهبه ثم يحكم الله آياته أي يثبتها والله عليم حكيم قوله عز وجل ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة أي محنة وبلية والله تعالى يمتحن عباده بما يشاء للذين في قلوبهم مرض أي شك ونفاق والقاسية قلوبهم أي الجافية قلوبهم عن قبول الحق وهم المشركون وإن الظالمين لفي شقاق بعيد أي في خلاف شديد.

[سورة الحج (٢٢): الآيات ٥٤ الى ٥٨]
وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم (٥٤) ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم (٥٥) الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم (٥٦) والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين (٥٧) والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين (٥٨)

---
(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٥٣/٣

وليعلم الذين أوتوا العلم أي التوحيد والقرآن والتصديق ينسخ الله ما يشاء أنه الحق من ربك أي الذي أحكم الله من آيات القرآن هو الحق من ربك فيؤمنوا به أي يعتقدوا أنه من الله عز وجل فتخبت له قلوبهم أي تسكن إليه وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم أي إلى طريق قويم وهو الإسلام. قوله عز وجل ولا يزال الذين كفروا في مرية منه أي في شك من القرآن وقيل من الدين الذي هو صراط مستقيم حتى تأتيهم الساعة بغتة أي فجأة وقيل أراد بالساعة الموت أو يأتيهم عذاب يوم عقيم أي عذاب يوم لا ليلة له وهو يوم القيامة وقيل هو يوم بدر سمي عقيما لأنه لم يكن في ذلك اليوم للكفار خير **كالريح العقيم لا** تأتي بخير وقيل لأنه لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه الملك يومئذ يعني يوم القيامة لله وحده من غير منازع ولا مشارك فيه يحكم أي يفصل بينهم ثم بين ذلك الحكم فقال تعالى فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين. قوله تعالى والذين هاجروا في سبيل الله أي فارقوا أوطانهم وعشائرهم في طاعة الله وطلب رضاه ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا أي لا ينقطع أبدا وهو رزق الجنة لأنه فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وإن الله لهو خير الرازقين فإن قلت الرازق في الحقيقة هو الله عز وجل لا رازق للخلق غيره فكيف قال وإن الله لهو خير الرازقين. قلت قد يسمى غير الله رازقا على المجاز كقوله رزق السلطان الجند أي أعطاهم أرزاقهم وإن الرزاق في الحقيقة هو الله تعالى وقيل لأنه الله تعالى يعطي الرزق ما لا يقدر عليه غيره.

[سورة الحج (٢٢): الآيات ٥٩ الى ٧١]

ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم حليم (٥٩) ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله إن الله لعفو غفور (٦٠) ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير (٦١) ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير (٦٢) ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير (٦٣)

له ما في السماوات وما في الأرض وإن الله لهو الغني الحميد (٦٤) ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤف رحيم (٦٥) وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم إن الإنسان لكفور (٦٦) لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك في الأمر وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم (٦٧) وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون (٦٨)

الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون (٦٩) ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن

ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير (٧٠) ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير (٧١)." [(١)]

"[سورة الذاريات (٥١): الآيات ٢٥ الى ٣٤]

إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون (٢٥) فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين (٢٦) فقربه إليهم قال ألا تأكلون (٢٧) فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم (٢٨) فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم (٢٩)

قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم (٣٠) قال فما خطبكم أيها المرسلون (٣١) قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين (٣٢) لنرسل عليهم حجارة من طين (٣٣) مسومة عند ربك للمسرفين (٣٤)

إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون أي غرباء لا نعرفكم.

قال ابن عباس: قال في نفسه هؤلاء قوم لا نعرفهم وقيل: إنما أنكر أمرهم، لأنهم دخلوا بغير استئذان وقيل: أنكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الأرض فراغ أي عدل ومال إلى أهله فجاء بعجل سمين أي جيد وكان مشويا. قيل: كان عامة مال إبراهيم البقر فجاء بعجل فقربه إليهم هذا من آداب المضيف أن يقدم الطعام إلى الضيف ولا يحوجهم السعي إليه فلما لم يأكلوا قال ألا تأكلون يعني أنه حثهم على الأكل. وقيل:

عرض عليهم الأكل من غير أن يأمرهم فأوجس أي فأضمر منهم خيفة لأنهم لم يتحرموا بطعامه قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم أي يبلغ ويعلم وقيل: عليم أي نبي فأقبلت امرأته قيل لم يكن ذلك إقبالا من مكان إلى مكان بل كانت في البيت فهو كقول القائل أقبل يفعل كذا إذا أخذ فيه في صرة أي في صيحة والمعنى أنها أخذت تولول وذلك من عاد النساء إن سمعن شيئا فصكت وجهها قال ابن عباس: لطمت وجهها. وقيل: جمعت أصابعها وضربت جبينها تعجبا وذلك من عادة النساء أيضا إذا أنكرن شيئا وقالت عجوز عقيم معناه: أتلد عجوز عقيم وذلك لأن سارة لم تلد قبل ذلك قالوا كذلك قال ربك أي كما قلنا لك قال ربك إنك ستلدين غلاما إنه هو الحكيم العليم ثم إن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما علم حالهم وأنهم من الملائكة قال فما خطبكم أي فما شأنكم وما طلبكم أيها المرسلون قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين يعني قوم لوط لنرسل عليهم حجارة من طين قيل هو الآجر مسومة أي معلمة قيل على كل حجر اسم من يهلك به.

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٢٦٢/٣

وقيل: معلمه بعلامة تدل على أنها ليست من حجارة الدنيا عند ربك للمسرفين قال ابن عباس يعني المشركين لأن الشرك أسرف الذنوب وأعظمها.

[سورة الذاريات (٥١): الآيات ٣٥ الى ٤٣]

فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين (٣٥) فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين (٣٦) وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم (٣٧) وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين (٣٨) فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون (٣٩)

فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم (٤٠) وفي عاد إذ أرسلنا عليهم **الريح العقيم** (٤١) ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم (٤٢) وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين (٤٣)

فأخرجنا من كان فيها أي في قرى قوم لوط من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت أي أهل بيت من المسلمين يعني لوطا وابنتيه وصفهم الله تعالى بالإيمان والإسلام جميعا لأنه ما من مؤمن إلا وهو مسلم. لأن الإسلام أعم من الإيمان. وإطلاق العام على الخاص لا مانع منه فإذا سمي المؤمن مسلما، لا يدل على اتحاد مفهوميهما وتركنا فيها أي في مدينة قوم لوط آية أي عبرة للذين يخافون العذاب الأليم والمعنى تركنا فيها علامة للخائفين تدلهم على أن الله مهلكهم فيخافون مثل عذابهم قوله عز وجل: وفي موسى أي وتركنا في إرسال موسى آية وعبرة إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين أي حجة ظاهرة فتولى أي أعرض عن الإيمان بركنه أي بجمعه وجنوده الذين كان يتقوى بهم وقال ساحر أو مجنون فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم أي فأغرقناهم في البحر هو مليم

أي آت بما يلام عليه من دعوى الربوبية وتكذيب الرسل وفي." (١)

"عاد أي وفي إهلاك عاد أيضا آية وعبرة إذ أرسلنا عليهم **الريح العقيم يعني** التي لا خير فيها ولا بركة فلا تلقح شجرا ولا تحمل مطرا ما تذر من شيء أتت عليه أي من أنفسهم وأموالهم وأنعامهم إلا جعلته كالرميم أي كالشيء الهالك البالي وهو ما يبس وديس من نبات الأرض كالشجر والتبن ونحوه وأصله من رم العظم إذا بلي وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين يعني إلى وقت انقضاء آجالهم وذلك أنهم لما عقروا الناقة قيل لهم: تمتعوا في داركم ثلاثة أيام.

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٤/١٩٥

[سورة الذاريات (٥١): الآيات ٤٤ الى ٥١]
فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون (٤٤) فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين (٤٥) وقوم نوح من قبل إنهم كانوا قوما فاسقين (٤٦) والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون (٤٧) والأرض فرشناها فنعم الماهدون (٤٨)
ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون (٤٩) ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين (٥٠) ولا تجعلوا مع الله إلها آخر إني لكم منه نذير مبين (٥١)
فعتوا عن أمر ربهم أي تكبروا عن طاعة ربهم فأخذتهم الصاعقة أي بعد مضي ثلاثة أيام من بعد عقر الناقة وهي الموت في قول ابن عباس. وقيل: أخذهم العذاب والصاعقة كل عذاب مهلك وهم ينظرون أي يرون ذلك العذاب عيانا فما استطاعوا من قيام أي فما قاموا بعد نزول العذاب بهم ولا قدروا على نهوض من تلك الصرعة وما كانوا منتصرين أي ممتنعين منا وقيل: ما كانت عندهم قوة يمتنعون بها من أمر الله وقوم نوح قرئ بكسر الميم ومعناه وفي يوم نوح وقرئ بنصبها ومعناه: وأغرقنا قوم نوح من قبل أي من قبل هؤلاء وهم عاد وثمود وقوم فرعون إنهم كانوا قوما فاسقين أي خارجين عن الطاعة.
قوله تعالى: والسماء بنيناها بأيد أي بقوة وقدرة وإنا لموسعون قيل: هو من السعة: أي أوسعنا السماء بحيث صارت الأرض وما يحيط بها من السماء والفضاء وبالنسبة إلى سعة السماء كالحلقة الملقاة في الفلاة وقال ابن عباس: معناه قادرون على بنائها كذلك وعنه لموسعون أي الرزق على خلقنا وقيل: معناه وإنا ذوو السعة والغنى والأرض فرشناها أي بسطناها ومهدناها لكم فنعم الماهدون أي نحن ومن كل شيء خلقنا زوجين أي صنفين ونوعين مختلفين كالسماء والأرض والشمس والقمر والليل والنهار والبر والبحر والسهل والجبل والصيف والشتاء والجن والإنس والذكر والأنثى والنور والظلمة والإيمان والكفر والسعادة والشقاوة والحق والباطل والحلو والمر والحامض لعلكم تذكرون أي فتعلمون أن خالق الأزواج فرد لا نظير له ولا شريك معه ففروا إلى الله أي: قل يا محمد ففروا إلى الله أي فاهربوا من عذابه إلى ثوابه بالإيمان والطاعة وقال ابن عباس ففروا منه إليه واعملوا بطاعته وقال سهل بن عبد الله ففروا مما سوى الله إلى الله إني لكم منه نذير أي مخوف مبين أي بين الرسالة بالحجة الظاهرة والمعجزة الباهرة والباهرة القاطع ولا تجعلوا مع الله إلها آخر أي وحدوه ولا تشركوا به شيئا إني لكم منه نذير مبين قيل: إنما كرر قوله إني لكم منه نذير مبين عند الأمر بالطاعة والنهي عن الشرك ليعلم أن الإيمان لا ينفع إلا مع العمل كما أن العمل لا ينفع إلا مع الإيمان وأنه لا يفوز عند الله إلا الجامع بينهما.

[سورة الذاريات (٥١): الآيات ٥٢ الى ٥٧]

كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون (٥٢) أتواصوا به بل هم قوم طاغون (٥٣) فتول عنهم فما أنت بملوم (٥٤) وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين (٥٥) وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون (٥٦)

ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون (٥٧)

كذلك أي كما كذبك قومك وقالوا ساحر أو مجنون كذلك ما أتى الذين من قبلهم أي من قبل كفار." (١)

"من عنا يعنو: إذا خضع عاقب: له معنيان:

من العقوبة على الذنب، ومن العقبى، ومنه:

وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم: أي أصبتم عقبا أعجاز نخل:

أصولها، أعجز الشيء: إذا فات ولم يقدر عليه، ومنه: وما هم بمعجزين، وما كان الله ليعجزه من شيء، وأما معاجزين بالألف:

فمعناه مسابقين عال: يعيل عيلة: أي افتقر ومنه: ووجدك عائلا، وعال يعول، عدل عن الحق، وعال يعول أيضا: كثر عياله، والأشهر أن يقال في هذا المعنى: أعال بالألف عرج: يعرج بفتح الراء في الماضي، وضمها في المضارع صعد وارتقى ومنه:

المعارج، وعرج بالكسر في الماضي والفتح في المستقبل: صار أعرج عتبى: معناه الرضى، ومنه: فما هم من المعتبين، ولا هم يستعتبون، العتاب: العذل أعد: بالألف يعد الشيء: هيأه، وعد بغير الألف من العدد عرش: سرير الملك، ومنه: ورفع أبويه على العرش، أهكذا عرشك؟ وعرش الله: فوق السماء، وتعرشون: تبنون، وعلى عروشها:

سقوفها عورة: أصل معناه: الانكشاف فيما يكره كشفه، ولذلك قيل: عورة الإنسان عورات، أي: أوقات انكشاف، وبيوتنا عورة: أي خالية معرضة للسراق عاقر: له معنيان: المرأة العقيم، واسم فاعل من: عقر الحيوان عبر: يعبر، له معنيان: من عبارة الرؤيا ومنه: إن كنتم للرؤيا تعبرون، ومن الجواز على الموضع، ومنه: عابر سبيل عمون: جمع عم، وهو صفة على وزن فعل بكسر العين من العمى في البصر أو في البصيرة علا يعلو: تكبر، ومنه: قوما عالين، وعلا في الأرض، والعلي اسم الله، والمتعالي، والأعلى: من العلو بمعنى الجلال والعظمة، وقيل: بمعنى التنزيه عما لا يليق به عزب الشيء: غاب، ومنه: لا يعزب عن ربك: أي لا

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١٩٦/٤

يخفى عنه عصبة:

جماعة من العشرة إلى الأربعين علقة: واحدة العلق: وهو الدم عاصف: ريح شديدة عصف: ورق الزرع.

حرف الغين

غشاوة غطاء إما حقيقة أو مجازا غمام:

هو السحاب غلف: جمع أغلف، وهو كل شيء جعلته في غلاف: أي قلوبنا محجوبة غرفة: بضم الغين لها معنيان: المسكن المرتفع، والغرفة من الماء بالضم وبالفتح:

المرة الواحدة غادر: ترك، ومنه: لم نغادر غل يغل: من الغلول، وهو الخيانة، والأخذ من المغنم بغير حق، والغل: الحقد أغلال:

جمع غل بالضم، وهو ما بجعل في العنق، ومنه: مغلولة غلا يغلو من الغلو وهو مجاوزة الحد والإفراط، ومنه: لا تغلوا في دينكم أي: لا تجاوزوا الحد غائط: المكان المنخفض، ثم استعمل في حاجة الإنسان غشي الأمر يغشى بالكسر في الماضي والفتح في المضارع معناه: غطى حسا ومعنى، ومنه: والليل إذا يغشى لأنه يغطي بظلامه، وينقل بالهمزة والتشديد، فيقال غشى وأغشى: ومن فوقهم غواش يعني ما يغشاهم من العذاب أو يصيبهم، ومنه: غاشية من عذاب الله، والغاشية أيضا: القيامة لأنها تغشى الخلق غبر له معنيان: ذهب وبقي، ومنه: عجوزا في الغابرين: أي في الهالكين أو في الباقين في العذاب غرور: بضم الغين.." (١)

"وهو مفعول بفعل مضمر، ورفع الثاني لأنه خبر تقديره: أمري سلام، وهذا على أن يكون السلام بمعنى السلامة، وإن كان بمعنى التحية فإنما رفع الثاني ليدل على إثبات السلام، فيكون قد حياهم بأكثر مما حيوه، وينتصب السلام الأول على هذا على المصدرية تقديره:

سلمنا عليك سلاما، ويرتفع الثاني بالابتداء تقديره: سلام عليكم قوم منكرون أي لم يعرفهم

قال ألا تأكلون يحتمل أن يكون ألا حضا على الأكل، أو تكون الهمزة للإنكار دخلت على لا النافية فأوجس منهم خيفة إنما خاف منهم لما لم يأكلوا.

وبشروه بغلام عليم هو إسحاق عليه السلام لقوله: فبشرناها بإسحاق [هود: ٧١] في صرة أي صيحة، وذلك قولها: يا ويلتى أألد وأنا عجوز [هود: ٧٢] وهو من صر القلم وغيره إذا صوت، وقيل: معناه في

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٣٩/١

جماعة في النساء فصكت وجهها أي ضربته حياء منهم وتعجبا من ولادتها وهي عجوز وقالت عجوز عقيم تقديره: قالت أنا عجوز عقيم فكيف ألد؟ أو تقديره: أتلد عجوز عقيم؟ قال فما خطبكم أي ما شأنكم وخبركم، والخطب أكثر ما يقال في الشدائد قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين يعني قوم سيدنا لوط، وقد ذكرنا الحجارة ومسومة في هود فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين الضمير المجرور لقرية قوم سيدنا لوط، لأن الكلام يدل عليها وإن لم يتقدم ذكرها، والمراد بالمؤمنين لوط وأهله: أمرهم الله بالخروج من القرية لينجو من العذاب الذي أصاب أهلها، ووصفهم بالمؤمنين وبالمسلمين لأنهم جمعوا الوصفين وقد ذكرنا معنى الإسلام والإيمان في الأحزاب وفي موسى معطوف على قوله وفي الأرض آيات للموقنين أو على قوله:

وتركنا فيها آية فتولى بركنه معنى تولى أعرض عن الإيمان، وركنه سلطانه وقوته قالوا ساحر أو مجنون أي قالوا إن موسى ساحر أو مجنون: فأو للشك أو للتقسيم، وقيل: بمعنى الواو وهذا ضعيف ولا يستقيم هنا هو مليم

أي فعل ما يلام عليه يعني فرعون الريح العقيم وصفها بالعقم، لأنها لا بركة فيها من إنشاء المطر أو إلقاح الشجر كالرميم أي الفاني المنقطع، والعموم هنا يراد به الخصوص فيما أذن للريح أن تهلكه وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين فيه قولان: أحدهما أن الحين هي الثلاثة الأيام." (١)

"كفروا كمثل الذي ينعق «١» انتهى. ويجوز أن يكون على حذف مضاف من الأول تقديره: مثل مهلك ما ينفقون. أو من الثاني تقديره: كمثل مهلك ريح. وقيل: يجوز أن تكون ما مصدرية، أي مثل إنفاقهم، فيكون قد شبه المعقول بالمحسوس، إذ شبه الإنفاق بالريح.

وظاهر قوله: ينفقون أنه من نفقة المال. وقال السدي: معناه ينفقون من أقوالهم التي يبطنون ضدها. ويضعف هذا أنها في الكفار الذين يعلنون لا في المنافقين الذين يبطنون.

وقيل: متعلق الإنفاق هو أعمالهم من الكفر ونحوه، هي كالريح التي فيها صر أبطلت أعمالهم كل ما لهم من صلة رحم وتحنث بعتق، كما يبطل الريح الزرع. قال ابن عطية:

وهذا قول حسن، لولا بعد الاستعارة في الإنفاق انتهى. وقال الراغب: ومنهم من قال: ما ينفقون عبارة عن أعمالهم كلها، لكنه خص الإنفاق لكونه أظهروا أكثر انتهى.

وقرأ ابن هرمز والأعرج: تنفقون بالتاء على معنى قل لهم، وأفرد ريحا لأنه ا مختصة بالعذاب، كما أفردت

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٢/٣٠٩

في قوله: بل هو ما استعجلتم به ريح «٢» ولئن أرسلنا ريحا إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا كالريح العقيم. كما أن الجمع مختص بالرحمة أن يرسل الرياح مبشرات «٣» وأرسلنا الرياح لواقح «٤» يرسل الرياح بشرا «٥» ولذلك

روي: «اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا»

وارتفاع صر على أنه فاعل بالمجرور قبله، إذ قد اعتمد بكونه وقع صفة للريح. فإن كان الصر البرد وهو قول: ابن عباس، والحسن، وقتادة، والسدي، أو صوت لهيب النار أو صوت الريح الشديدة. فظاهر كون ذلك في الريح. وإن كان الصر صفة للريح كالصرصر، فالمعنى فيها قرة صر كما تقول: برد بارد، وحذف الموصوف، وقامت الصفة مقامه. أو تكون الظرفية مجازا جعل الموصوف ظرفا للصفة.

كما قال: وفي الرحمن كاف للضعفاء. وقولهم: إن ضيعني فلان ففي الله كاف. المعنى الرحمن كاف، والله كاف. وهذا فيه بعد.

وقوله: أصابت حرث قوم في موضع الصفة لـريح. بدأ أولا بالوصف بالمجرور، ثم بالوصف بالجملة. وقوله: ظلموا أنفسهم جملة في موضع الصفة لقوم. وظاهره أنهم ظلموا أنفسهم بمعاصيهم، فكان الإهلاك أشد إذ كان عقوبة لهم.

---

(١) سورة البقرة: ٢/ ١٧١.

(٢) سورة الأحقاف: ٢٦/ ٢٤.

(٣) سورة الروم: ٣٠/ ٤٦.

(٤) سورة الحجر: ١٥/ ٢٢. [.....]

(٥) سورة الأعراف: ٧/ ٥٧.." (١)

"الهدم: معروف وهو نقض ما بني. قال الشاعر:

وكل بيت وإن طالت إقامته ... على دعائمه لا بد مهدوم

الصومعة: موضع العبادة وزنها فعولة، وهي بناء مرتفع منفرد حديد الأعلى، والأصمع من الرجال الحديد القول، وكانت قبل الإسلام مختصة برهبان النصارى وبعباد الصابئين، قاله قتادة ثم استعمل في مئذنة المسلمين. البيع: كنائس النصارى واحدها بيعة. وقيل: كنائس اليهود. البئر: من بأرت أي حفرت، وهي

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٣/٣١٥

مؤنثة على وزن فعل بمعنى مفعول، وقد تذكر على معنى القليب. تعطيل الشيء: إبطال منافعه. العقم: الامتناع من الولادة، يقال: امرأة عقيم ورجل عقيم لا يولد له، والجمع عقم وأصله من القطع، ومنه الملك عقيم أي يقطع فيه الأرحام بالقتل، والعقيم الذي قطعت ولادتها. وقال أبو **عبيد العقم السد**، يقال: امرأة معقومة الرحم أي مسدودة الرحم. السطو: القهر. وقال ابن عيسى: السطوة إظهار ما يهول للإخافة. الذباب: الحيوان المعروف يجمع على ذباب." (١)

"المرية: الشك. والضمير في منه قيل: عائد على القرآن. وقيل: على الرسول.

وقيل: ما ألقى الشيطان، ولما ذكر حال الكافرين أولا ثم حال المؤمنين ثانيا عاد إلى شرح حال الكافرين، والظاهر أن الساعة يوم القيامة. قيل: **واليوم العقيم يوم** بدر. وقيل:

ساعة موتهم أو قتلهم في الدنيا كيوم بدر، **واليوم العقيم يوم** القيامة.

وقال الزمخشري: **اليوم العقيم يوم** بدر، وإنما وصف يوم الحرب بالعقيم لأن أولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كأنهن عقم لم يلدن، أو لأن المقاتلين يقال لهم أبناء الحرب فإذا قتلوا وصف يوم الحرب بالعقم على سبيل المجاز.

وقيل: هو الذي لا خير فيه يقال: ريح عقيم إذا لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا.

وقيل: لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه. وعن الضحاك: إنه يوم القيامة وإن المراد بالساعة مقدماته ويجوز أن يراد بالساعة ويوم عقيم يوم القيامة كأنه قيل حتى تأتيهم الساعة أو يأتيهم عذابها فوضع يوم عقيم موضع الضمير انتهى. وقال ابن عطية: وسمي يوم القيامة أو يوم الاستئصال عقيما لأنه لا ليلة بعده ولا يوم، والأيام كلها نتائج يجيء واحد إثر واحد، وكان آخر يوم قد عقم وهذه استعارة، وجملة هذه الآية توعد انتهى. وحتى غاية لاستمرار مريتهم، فالمعنى حتى تأتيهم الساعة أو عذاب يوم عقيم فتزول مريتهم ويشاهدون الأمر عيانا.

والتنوين في يومئذ تنوين العوض، والجملة المعوض منها هذا التنوين هو الذي حذف بعد الغاية أي الملك يوم تزول مريتهم وقدره الزمخشري أولا يوم يؤمنون وهو لازم لزوال المرية، فإنه إذا زالت المرية آمنوا، وقدر ثانيا كما قدرنا وهو الأولى. والظاهر أن هذا اليوم هو يوم القيامة من حيث إنه لا ملك فيه لأحد من ملوك الدنيا كما قال تعالى لمن الملك اليوم «١» ويساعد هذا التقسيم بعده، ومن قال إنه يوم بدر ونحوه فمن حيث ينفذ قضاء الله وحده ويبطل ما سواه ويمضي حكمه فيمن أراد تعذيبه، ويكون التقسيم إخبارا متركبا

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٥١٣/٧

على حالهم في ذلك **اليوم العقيم من** الإيمان والكفر وألفاظ التقسيم ومعانيها واضحة لا تحتاج إلى شرح. وقابل النعيم بالعذاب ووصفه بالمهين مبالغة فيه.

والذين هاجروا الآية هذا ابتداء معنى آخر، وذلك أنه لما مات عثمان بن مظعون وأبو سلمة بن عبد الأسد قال بعض الناس: من قتل من المهاجرين أفضل ممن مات حتف

---

(١) سورة غافر: ٤٠/ ١٦.." (١)

"أو يزوجهم ذكرانا وإناثا. ولما **كان العقم ليس** بمحمود قال: ويجعل من يشاء عقيما، وهو قسيم لمن يولد له. ولما كانت الخنثى مما يحزن بوجوده، لم يذكره تعالى. قالوا:

وكانت الخلقة مستمرة، ذكرا وأنثى، إلى أن وقع في الجاهلية الأولى الخنثى،

فسئل فارض العرب ومعمرها عامر بن الظرب عن ميراثه، فلم يدر ما يقوله وأرجأهم. فلما جن عليه الليل، جعل يتقلب وتذهب به الأفكار، وأنكرت خادمه حاله فسألته، فقال: بهرت لأمر لا أدري ما أقول فيه، فقالت له: ما هو؟ فقال: شخص له ذكر وفرج، كيف يكون حاله في الميراث؟ قالت له الأمة: ورثه من حيث يبول، فعقلها وأصبح فعرضها عليهم، فرضوا بها.

وجاء الإسلام على ذلك، وقضى بذلك علي، كرم الله وجهه، إنه عليم بمصالح العباد، قدير على تكوين ما يشاء.

كان من الكفار خوض في معنى تكليم الله موسى، فذهبت قريش واليهود في ذلك إلى التجسيم، فنزلت.

وقيل: كانت قريش تقول: ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبيا صادقا، كما كلمه موسى ونظر إليه؟ فقال لهم الرسول عليه السلام: «لم ينظر موسى إلى الله» ، فنزلت: وما كان لبشر أن يكلمه الله

، بيانا لصورة تكليم الله عباده أي ما ينبغي ولا يمكن البشر إلا يوحى إليه أحد وجوه الوحي من الإلهام. قال مجاهد: أو النفث في القلب.

وقال النقاش: أو وحي في المنام. وقال النخعي: كان في الأنبياء من يخط له في الأرض، أو بأن يسمعه كلامه دون أن يعرف هو للمتكلم جهة ولا حيزا، كموسى عليه السلام، وهذا معنى من وراء حجاب: أي من خفاء عن المتكلم، لا يحده ولا يتصور بذهنه عليه، وليس كالحجاب في المشاهد، أو بأن يرسل إليه ملكا يشافهه بوحي الله تعالى، قاله ابن عطية. وقال الزمخشري: وما صح لأحد من البشر أن يكلمه الله

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٥٢٨/٧

إلا على ثلاثة أوجه:
إما على طريق الوحي، وهو الإلهام والقذف في القلب والمنام، كما أوحى إلى أم موسى وإلى إبراهيم عليه السلام في ذبح ولده. وعن مجاهد: أوحى الله الزبور إلى داود عليه السلام في صدره، قال عبيد بن الأبرص:
وأوحى إلي الله أن قد تأمروا ... بابن أبي أوفى فقمت على رجل
أي: ألهمني وقذف في قلبي.
وإما على أن يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الأجرام من غير أن يبصر السامع من يكلمه، لأنه في ذاته غير مرئي. من وراء حجاب مثل، أي: كما يكلم الملك." (١)
"سورة الذاريات

[سورة الذاريات (٥١) : الآيات ١ الى ٦٠]
بسم الله الرحمن الرحيم
والذاريات ذروا (١) فالحاملات وقرا (٢) فالجاريات يسرا (٣) فالمقسمات أمرا (٤)
إنما توعدون لصادق (٥) وإن الدين لواقع (٦) والسماء ذات الحبك (٧) إنكم لفي قول مختلف (٨) يؤفك عنه من أفك (٩)
قتل الخراصون (١٠) الذين هم في غمرة ساهون (١١) يسئلون أيان يوم الدين (١٢) يوم هم على النار يفتنون (١٣) ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون (١٤)
إن المتقين في جنات وعيون (١٥) آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين (١٦) كانوا قليلا من الليل ما يهجعون (١٧) وبالأسحار هم يستغفرون (١٨) وفي أموالهم حق للسائل والمحروم (١٩)
وفي الأرض آيات للموقنين (٢٠) وفي أنفسكم أفلا تبصرون (٢١) وفي السماء رزقكم وما توعدون (٢٢) فو رب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون (٢٣) هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين (٢٤)
إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون (٢٥) فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين (٢٦) فقربه إليهم قال ألا تأكلون (٢٧) فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم (٢٨) فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم (٢٩)

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٣٤٩/٩

قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم (٣٠) قال فما خطبكم أيها المرسلون (٣١) قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين (٣٢) لنرسل عليهم حجارة من طين (٣٣) مسومة عند ربك للمسرفين (٣٤)

فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين (٣٥) فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين (٣٦) وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم (٣٧) وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين (٣٨) فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون (٣٩)

فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم (٤٠) وفي عاد إذ أرسلنا عليهم **الريح العقيم** (٤١) ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم (٤٢) وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين (٤٣) فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون (٤٤)

فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين (٤٥) وقوم نوح من قبل إنهم كانوا قوما فاسقين (٤٦) والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون (٤٧) والأرض فرشناها فنعم الماهدون (٤٨) ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون (٤٩)

ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين (٥٠) ولا تجعلوا مع الله إلها آخر إني لكم منه نذير مبين (٥١) كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون (٥٢) أتواصوا به بل هم قوم طاغون (٥٣) فتول عنهم فما أنت بملوم (٥٤)

وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين (٥٥) وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون (٥٦) ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون (٥٧) إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين (٥٨) فإن للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون (٥٩)

فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون (٦٠)." (١)

"لحق، وإن كان نكرة، فقد أجاز ذلك الجرمي وسيبويه في مواضع من كتابه. والنطق هنا عبارة عن الكلام بالحروف والأصوات في ترتيب المعاني. ويقول الناس: هذا حق، كما أنك هاهنا وهذا حق، كما أنك ترى وتسمع، وهذا كما في الآية. وما زائدة بنص الخليل، ولا يحفظ حذفها، فتقول: ذا حق كأنك هاهنا، والكوفيون يجعلون مثلا محلى، فينصبونه على الظرف، ويجيزون زيد مثلك بالنصب، فعلى مذهبهم يجوز أن تكون مثل فيها منصوبا على الظرف، واستدلالهم والرد عليهم مذكور في النحو. ومن كلام بعض الأعراب: من ذا الذي أغضب الخليل حتى حلف، لم يصدقوه بقوله حتى ألجئوه إلى اليمين.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٩/٥٤٥

قوله عز وجل هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين، إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون، فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين، فقربه إليهم قال ألا تأكلون، فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم، فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم، قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم، قال فما خطبكم أيها المرسلون، قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين، لنرسل عليهم حجارة من طين، مسومة عند ربك للمسرفين، فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين، فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين، وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم، وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين، فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون، فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم، وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم، ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم، وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين، فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون، فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين، وقوم نوح من قبل إنهم كانوا قوما فاسقين.

هل أتاك: تقرير لتجتمع نفس المخاطب، كما تبدأ المرء إذا أردت أن تحدثه بعجيب، فتقرره هل سمع ذلك أم لا، فكأنك تقتضي أن يقول لا. ويستطعمك الحديث، وفيه تفخيم للحديث وتنبيه على أنه ليس من علم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما عرفه بالوحي، وضيف الواحد والجماعة فيه سواء. وبدأ بقصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وإن كانت متأخرة عن قصة عاد، هزما للعرب، إذ كان أباهم الأعلى، ولكون الرسل الذين وفدوا عليه جاءوا بإهلاك قوم لوط، إذ كذبوه، ففيه وعيد للعرب وتهديد واتعاظ وتسلية للرسول صلى الله عليه وسلم على ما يجري عليه من قومه. ووصفهم بالمكرمين لكرامتهم عند الله تعالى، كقوله تعالى." (١)

"وفي موسى، وهذا بعيد جدا، ينزه القرآن عن مثله. وقال الزمخشري أيضا: أو على قوله، وتركنا فيها آية «١» ، على معنى: وجعلنا في موسى آية، كقوله:

علفتها تبنا وماء باردا انتهى، ولا حاجة إلى إضمار وتركنا، لأنه قد أمكن أن يكون العامل في المجرور وتركنا.

فتولى بركنه: أي ازور وأعرض، كما قال: ونأى بجانبه «٢» . وقيل: بقوته وسلطانه. وقال ابن زيد: بركنه: بمجموعه. وقال قتادة: بقومه. وقال ساحر أو مجنون: ظن أحدهما، أو تعمد الكذب، وقد علم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا. وقال أبو عبيدة: أو بمعنى الواو، ويدل على ذلك أنه قد قالهما، قال: إن

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٥٥٤/٩

هذا لساحر عليم «٣» ، وقال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون «٤» ، واستشهد أبو عبيدة بقول جرير:

أثعلبة الفوارس أو رياحا ... عدلت بهم طهية والحشايا

ولا ضرورة تدعو إلى جعل أو بمعنى الواو، إذ يكون قالهما، وأبهم على السامع، فأو للإبهام. ومليم : أي أتى من المعاصي ما يلام عليه. العقيم التي لا خير فيها، من الشتاء مطر، أو لقاح شجر. وفي الصحيح: نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور. فقول من ذهب إلى أنها الصبا، أو الجنوب، أو النكباء، وهي ريح بين ريحين، نكبت عن سمت القبلة، فسميت نكباء، ليس بصحيح، لمعارضته للنص الثابت عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنها الدبور.

ما تذر من شيء أتت عليه: وهو عام مخصوص، كقوله: تدمر كل شيء بأمر ربها «٥» : أي مما أراد الله تدميره وإهلاكه من ناس أو ديار أو شجر أو نبات، لأنها لم يرد الله بها إهلاك الجبال والآكام والصخور، ولا العالم الذي لم يكن من قوم عاد. إلا جعلته كالرميم: جملة حالية، والرميم تقدم تفسيره في يس، وهنا قال السدي: التراب، وقتادة:

الهشيم، ومجاهد: البالي، وقطرب: الرماد، وابن عيسى: المنسحق الذي لا يرم، جعل الهمزة في أرم للسلب. روي أن الريح كانت تمر بالناس، فيهم الرجل من قوم عاد، فتنتزعه

---

(١) سورة الذاريات: ٥١/ ٣٧.

(٢) سورة الإسراء: ١٧/ ٧٣، وسورة فصلت: ٤١/ ٥١.

(٣) سورة الشعراء: ٢٦/ ٣٤.

(٤) سورة الشعراء: ٢٦/ ٢٧.

(٥) سورة الأحقاف: ٤٦/ ٢٥.." (١)

"والمرية والمرية بالكسر والضم لغتان مشهورتان. وظاهر كلام أبي البقاء أنهما قراءتان، ولا أحفظ الضم هنا. والضمير في «منه» قيل: يعود على القرآن. وقيل: على الرسول. وقيل: على ما ألقاه الشيطان. قوله: ﴿عقيم﴾ العقيم: من العقم. وفيه قولان، أحدهما: أنه السد يقال: امرأة معقومة الرحم أي: مسدودته عن الولادة. وهذا قول أبي عبيد. والثاني: أن أصله القطع. ومنه «الملك عقيم» أي: لأنه يقطع صلة الرحم

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٥٥٨/٩

بالتزاحم عليه. **ومنه العقيم لانقطاع** ولادتها. والعقم: انقطاع الخير، ومنه «يوم عقيم» . قيل: لأنه لا ليلة بعده ولا يوم فشبه بمن انقطع نسله. هذا إن أريد به يوم القيامة. وإن أريد به يوم بدر فقيل: لأن أبناء الحرب تقتل فيه، فكأن النساء لم تلدهن، فيكن عقما. ويقال: رجل عقيم وامرأة عقيمة أي: لا يولد لهما، والجمع عقم.." (١)

"﴿قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين (٧٠) قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا إني معكم من المنتظرين (٧١) فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين (٧٢) ﴾

يقول تعالى مخبرا عن تمردهم وطغيانهم وعنادهم وإنكارهم على هود، عليه السلام: ﴿قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده [ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين] ﴾ (١) كما قال الكفار من قريش: ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ [الأنفال:٣٢]

وقد ذكر محمد بن إسحاق وغيره: أنهم كانوا يعبدون أصناما، فصنم يقال له: صداء، وآخر يقال له: صمود، وآخر يقال له: الهباء (٢)

ولهذا قال هود، عليه السلام: ﴿قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب﴾ أي: قد وجب عليكم بمقالتكم هذه من ربكم رجس [وغضب] (٣) قيل: هو مقلوب من رجز. وعن ابن عباس: معناه السخط والغضب. ﴿أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم﴾ أي: أتحاجوني (٤) في هذه الأصنام التي سميتموها أنتم وآباؤكم آلهة، وهي لا تضر ولا تنفع، ولا جعل الله لكم على عبادتها حجة ولا دليلا؛ ولهذا قال: ﴿ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا إني معكم من المنتظرين﴾

وهذا تهديد ووعيد من الرسول لقومه؛ ولهذا عقب بقوله: ﴿فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين﴾

وقد ذكر الله، سبحانه، صفة إهلاكهم في أماكن أخر من القرآن، بأنه أرسل عليهم الريح العقيم، ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية * سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية * فهل ترى

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٨/٢٩٥

لهم من باقية﴾ [الحاقة:٦-٨] لما تمردوا وعتوا أهلكهم الله بريح عاتية، فكانت تحمل الرجل منهم فترفعه في الهواء ثم تنكسه على أم رأسه فتثلغ رأسه حتى تبينه من بين جثته؛ ولهذا قال: ﴿كأنهم أعجاز نخل خاوية﴾

وقال محمد بن إسحاق: كانوا يسكنون باليمن من (٥) عمان وحضرموت، وكانوا مع ذلك قد

(١) زيادة من ك، م، وفي هـ: الآية".

(٢) انظر: تفسير الطبري (٥٠٧/١٢) .

(٣) زيادة من م.

(٤) في م، د: "أتجادلونني".

(٥) في م، ك: "بين".." (١)

"وهذا الحديث له شاهد في الصحيح (١)

﴿ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (٧٠) ﴾

يقول تعالى واعظا لهؤلاء المنافقين المكذبين للرسل: ﴿ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم﴾ أي: ألم تخبروا خبر من كان قبلكم من الأمم المكذبة للرسل ﴿قوم نوح﴾ وما أصابهم من الغرق العام لجميع أهل الأرض، إلا من آمن بعبده ورسوله نوح، عليه السلام، ﴿وعاد﴾ كيف أهلكوا بالريح العقيم، لما كذبوا هودا، عليه السلام، ﴿وثمود﴾ كيف أخذتهم الصيحة لما كذبوا صالحا، عليه السلام، وعقروا الناقة، ﴿وقوم إبراهيم﴾ كيف نصره الله عليهم وأيده بالمعجزات الظاهرة عليهم، وأهلك ملكهم النمروذ بن كنعان بن كوش الكنعاني لعنه الله، ﴿وأصحاب مدين﴾ وهم قوم شعيب، عليه السلام، وكيف أصابتهم (٢) الرجفة والصيحة وعذاب يوم (٣) الظلة، ﴿والمؤتفكات﴾ قوم لوط، وقد كانوا يسكنون في مدائن، وقال في الآية الأخرى: ﴿والمؤتفكة أهوى﴾ [النجم: ٥٣،] أي: الأمة المؤتفكة، وقيل: أم قراهم، وهي "سدوم". والغرض: أن الله تعالى أهلكهم عن آخرهم بتكذيبهم نبي الله لوطا، عليه السلام، وإتيانهم الفاحشة التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين. ﴿أتتهم رسلهم بالبينات﴾ أي: بالحجج والدلائل القاطعات، ﴿فما كان الله ليظلمهم﴾ أي: بإهلاكه إياهم؛ لأنه أقام عليهم الحجة بإرسال الرسل وإزاحة العلل ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ أي: بتكذيبهم الرسل

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٤٣٥/٣

ومخالفتهم الحق، فصاروا إلى ما صاروا إليه من العذاب والدمار.

﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم (٧١) ﴾

لما ذكر [الله] (٤) تعالى صفات المنافقين الذميمة، عطف بذكر صفات المؤمنين المحمودة، فقال: ﴿بعضهم أولياء بعض﴾ أي: يتناصرون ويتعاضدون، كما جاء في الصحيح: "المؤمن للمؤمن كالبنان يشد بعضه (٥) بعضا" وشبك بين أصابعه (٦) وفي الصحيح أيضا: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم، كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر" (٧)

---

(١) في صحيح البخاري برقم (٧٣١٩) من طريق محمد بن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في ت، أ: "أصابهم".

(٣) في ت، أ: "تلك".

(٤) زيادة من ك.

(٥) في ت: "بعضهم".

(٦) صحيح البخاري برقم (٤٨١) وصحيح مسلم برقم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٧) صحيح البخاري برقم (٦٠١١) وصحيح مسلم برقم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.." (١)

"﴿ولما جاء أمرنا﴾ وهو [ما أرسل الله عليهم من] (١) **الريح العقيم [**التي لا تمر بشيء إلا جعلته كالرميم] (٢) فأهلكهم الله عن آخرهم، ونجى [من بينهم رسولهم] (٣) هودا وأتباعه [المؤمنين] (٤) من عذاب غليظ برحمته تعالى ولطفه.

﴿وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم﴾ [أي] (٥) كفروا بها، وعصوا رسل الله، وذلك أن من كفر بنبي فقد كفر بجميع الأنبياء، لأنه لا فرق بين أحد منهم في وجوب الإيمان به، فعاد كفروا بهود، فنزل كفرهم [به] (٦) منزلة من كفر بجميع الرسل، ﴿واتبعوا أمر كل جبار عنيد﴾ تركوا اتباع رسولهم الرشيد، واتبعوا أمر كل

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٤/١٧٤

جبار عنيد. فلهذا أتبعوا في هذه الدنيا لعنة من الله ومن عباده المؤمنين كلما ذكروا وينادى عليهم يوم القيامة على رءوس الأشهاد (٧) ، ﴿ألا إن عادا كفروا ربهم [ألا بعدا لعاد قوم هود] ﴾ (٨) .

قال السدي: ما بعث نبي بعد عاد إلا لعنوا على لسانه.

﴿وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب (٦١) ﴾

يقول تعالى: ولقد أرسلنا ﴿إلى ثمود﴾ وهم الذين كانوا يسكنون (٩) مدائن الحجر بين تبوك والمدينة، وكانوا بعد عاد، فبعث الله منهم (١٠) ﴿أخاهم صالحا﴾ فأمرهم (١١) بعبادة الله وحده [لا شريك له الخالق الرازق] (١٢) ؛ ولهذا قال: ﴿هو أنشأكم من الأرض﴾ أي: ابتدأ خلقكم منها، [من الأرض التي] (١٣) خلق منها أباكم آدم، ﴿واستعمركم فيها﴾ أي: جعلكم [فيها] (١٤) عمارا تعمرونها وتستغلونها، لسالف ذنوبكم، ﴿ثم توبوا إليه﴾ فيما تستقبلونه؛ ﴿إن ربي قريب مجيب﴾ كما قال تعالى: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ الآية [البقرة: ١٨٦] .

﴿قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب (٦٢) ﴾

---

(١) زيادة من ت، أ.

(٢) زيادة من ت، أ.

(٣) زيادة من ت، أ.

(٤) زيادة من ت، أ.

(٥) زيادة من ت، أ.

(٦) زيادة من أ.

(٧) في ت: "عليهم على رءوس الخلائق يوم القيامة".

(٨) زيادة من ت، أ، وفي هـ: "الآية".

(٩) في ت: "يستكبرون".

(١٠) في ت، أ: "فيهم".

(١١) في أ: "فأمره".

(١٢) زيادة من أ.

(١٣) زيادة من ت، أ.

(١٤) زيادة من ت، أ.." (١)

"الأشياء من جميع الصنوف، ﴿وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾ كما يشاء وكما يريد، ولما له في ذلك من الحكمة البالغة، والرحمة بعباده، لا على [وجه] (١) الوجوب، بل هو كتب على نفسه الرحمة.

قال يزيد بن أبي زياد، عن أبي جحيفة، عن عبد الله: ما من عام بأمطر من عام، ولكن الله يقسمه حيث شاء (٢) عاما هاهنا، وعاما هاهنا. ثم قرأ: ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾ رواه ابن جرير (٣)

وقال أيضا: حدثنا القاسم، حدثنا الحسن (٤) حدثنا هشيم، أخبرنا إسماعيل بن سالم، عن الحكم بن عتيبة (٥) في قوله: ﴿وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾ قال: ما (٦) عام بأكثر مطرا من عام ولا أقل، ولكنه يمطر قوم ويحرم آخرون وربما (٧) كان في البحر. قال: وبلغنا أنه ينزل مع المطر من الملائكة أكثر من عدد ولد إبليس وولد آدم، يحصون كل قطرة حيث تقع وما تنبت (٨) (٩)

وقال البزار: حدثنا داود -وهو ابن بكر (١٠) التستري -حدثنا حبان (١١) بن أغلب بن تميم، حدثني أبي، عن هشام، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خزائن الله الكلام، فإذا أراد شيئا قال له: كن، فكان" (١٢)

ثم قال: لا يرويه إلا أغلب، ولم يكن بالقوي، وقد حدث عنه غير واحد من المتقدمين، ولم يروه عنه إلا ابنه.

وقوله: ﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾ أي: تلقح السحاب فتدر ماء، وتلقح الشجر فتتفتح عن أوراقها وأكمامها. هذه "الرياح" ذكرها بصيغة الجمع، ليكون منها الإنتاج، بخلاف **الريح العقيم فإنه** أفردها، ووصفها بالعقيم، وهو عدم الإنتاج؛ لأنه لا يكون إلا من (١٣) شيئين فصاعدا.

وقال الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن قيس بن السكن، عن عبد الله بن مسعود في قوله: ﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾ قال: ترسل الرياح، فتحمل الماء من السماء، ثم تمرى السحاب، حتى تدر كما تدر اللقحة. وكذا قال ابن عباس، وإبراهيم النخعي، وقتادة.

وقال الضحاك: يبعثها الله على السحاب، فتلقحه، فيمتلئ (١٤) ماء.

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٤/٣٣١

(١) زيادة من ت، أ.

(٢) في أ: "يشاء".

(٣) تفسير الطبري (١٤/١٤) .

(٤) في ت: "الحسين".

(٥) في أ: "عيينة".

(٦) في أ: "من".

(٧) في هـ، ت، أ: "بما" والمثبت من الطبري.

(٨) في ت: "ينبت".

(٩) تفسير الطبري (١٤/١٤) .

(١٠) وفي مخطوطة مسند البزار: "داود، وهو ابن بكير".

(١١) في هـ، وفي مخطوطة مسند البزار: "حيان"، والمثبت من ت، أ.

(١٢) ورواه أبو الشيخ في العظمة برقم (١٥٥) من طريق محمد بن عبد العزيز، عن حبان عن أبيه به.

(١٣) في ت، أ: "بين".

(١٤) في ت: "فتمتلئ".." (١)

"وقال الحسن: ﴿فمنهم من قضى نحبه﴾ يعني: موته على الصدق والوفاء. ﴿ومنهم من ينتظر﴾ الموت على مثل ذلك، ومنهم من لم يبدل (١) تبديلا. وكذا قال قتادة، وابن زيد.

وقال بعضهم: ﴿نحبه﴾ نذره.

وقوله: ﴿وما بدلوا تبديلا﴾ أي: وما غيروا عهدهم، وبدلوا الوفاء بالغدر، بل استمروا على ما عاهدوا الله عليه، وما نقضوه كفعل المنافقين الذين قالوا: ﴿إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا﴾ ، ﴿ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار﴾ (٢) .

وقوله: ﴿ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم﴾ أي: إنما يختبر عباده بالخوف والزلزال ليميز (٣) الخبيث من الطيب، فيظهر أمر هذا بالفعل، وأمر هذا بالفعل، مع أنه تعالى يعلم الشيء قبل كونه، ولكن لا يعذب الخلق بعلمه فيهم، حتى يعملوا بما يعلمه فيهم (٤) ، كما قال

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٥٣٠/٤

تعالى: ﴿ولنبلونكم حتى نعلم (٥) المجاهدين منكم والصابرين ونبلو (٦) أخباركم﴾ [محمد: ٣١] ، فهذا علم بالشيء بعد (٧) كونه، وإن كان العلم (٨) السابق حاصلا به قبل وجوده. وكذا قال تعالى: ﴿ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب﴾ [آل عمران: ١٧٩] . ولهذا قال هاهنا: ﴿ليجزي الله الصادقين بصدقهم﴾ أي: بصبرهم على ما عاهدوا الله عليه، وقيامهم به، ومحافظتهم عليه. ﴿ويعذب المنافقين﴾ : وهم الناقضون لعهد الله، المخالفون لأوامره، فاستحقوا بذلك عقابه وعذابه، ولكن هم تحت مشيئته في الدنيا، إن شاء استمر بهم على ما فعلوا حتى يلقوه به فيعذبهم عليه، وإن شاء تاب عليهم بأن أرشدهم إلى النزوع عن النفاق إلى الإيمان، وعمل (٩) الصالح بعد الفسوق والعصيان. ولما كانت رحمته ورأفته بخلقه هي الغالبة لغضبه قال: ﴿إن الله كان غفورا رحيما﴾ .

﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا (٢٥) ﴾ .

يقول تعالى مخبرا عن الأحزاب لما أجلاهم عن المدينة، بما أرسل عليهم من الريح والجنود الإلهية، ولولا أن جعل الله رسوله رحمة للعالمين، لكانت هذه الريح عليهم أشد من **الريح العقيم على** عاد، ولكن قال الله تعالى: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم [وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون] ﴾ (١٠) [الأنفال: ٣٣] ، فسلط عليهم هواء فرق شملهم، كما كان سبب اجتماعهم من الهوى، وهم أخلاط من قبائل شتى، أحزاب وآراء، فناسب أن يرسل عليهم الهواء الذي فرق

---

(١) في ت: "من بدل".

(٢) في ت: "وقد".

(٣) في ت: "فيميز".

(٤) في ت: "بما علمه منهم" وفي ف: "بما يعلمه منهم".

(٥) في ت: "يعلم".

(٦) في ت: "يبلو".

(٧) في ف: "قبل".

(٨) في ت: "العالم".

(٩) في ت، ف: "والعمل".

(١٠) زيادة من أ.." (١)

"قال الله مخبرا عن إبراهيم، عليه السلام: ﴿فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط إن إبراهيم لحليم أواه منيب يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود﴾ [هود: ٧٤ -٧٦] .

وقال هاهنا: ﴿قال فما خطبكم أيها المرسلون﴾ أي: ما شأنكم وفيم جئتم؟.

﴿قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين﴾ يعنون قوم لوط.

﴿لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة﴾ أي: معلمة ﴿عند ربك للمسرفين﴾ أي: مكتتبة عنده بأسمائهم، كل حجر عليه اسم صاحبه، فقال في سورة العنكبوت: ﴿قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين﴾ [العنكبوت: ٣٢] .وقال هاهنا: ﴿فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين﴾ ، وهم لوط وأهل بيته إلا امرأته.

﴿فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾ احتج بهذه [الآية] (١) من ذهب إلى رأي المعتزلة، ممن لا يفرق بين مسمى الإيمان والإسلام؛ لأنه أطلق عليهم المؤمنين والمسلمين. وهذا الاستدلال ضعيف؛ لأن هؤلاء كانوا قوما مؤمنين، وعندنا أن كل مؤمن مسلم لا ينعكس، فاتفق الاسمان هاهنا لخصوصية الحال، ولا يلزم ذلك في كل حال.

وقوله: ﴿وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم﴾ أي: جعلناها عبرة، لما أنزلنا بهم من العذاب والنكال وحجارة السجيل، وجعلنا (٢) محلتهم بحيرة منتنة خبيثة، ففي ذلك عبرة للمؤمنين، ﴿للذين يخافون العذاب الأليم﴾

﴿وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين (٣٨) فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون (٣٩) فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم (٤٠) وفي عاد إذ أرسلنا عليهم **الريح العقيم** (٤١) ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم (٤٢) وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين (٤٣) فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون (٤٤) فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين (٤٥) وقوم نوح من قبل إنهم كانوا قوما فاسقين (٤٦) ﴾

يقول تعالى: ﴿وفي موسى﴾ [آية] (٣) ﴿إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين﴾ أي: بدليل باهر وحجة

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٦/٣٩٥

قاطعة، ﴿فتولى بركنه﴾ أي: فأعرض فرعون عما جاءه (٤) به موسى من الحق المبين، استكبارا

---

(١) زيادة من م.

(٢) في م، أ: "وجعل".

(٣) زيادة من م.

(٤) في م: "جاء".." (١)

"وعنادا.

وقال مجاهد: تعزز بأصحابه. وقال قتادة: غلب عدو الله على قومه. وقال ابن زيد: ﴿فتولى بركنه﴾ أي: بجموعه التي معه، ثم قرأ: ﴿لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد﴾ [هود: ٨٠] .

والمعنى الأول قوي كقوله: ﴿ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله﴾ [الحج: ٩] أي: معرض عن الحق مستكبر، ﴿وقال ساحر أو مجنون﴾ أي: لا يخلو أمرك فيما جئتني به من أن تكون ساحرا، أو مجنونا.

قال الله تعالى: ﴿فأخذناه وجنوده فنبذناهم﴾ أي: ألقيناهم في اليم، وهو البحر، ﴿وهو مليم﴾ أي: وهو ملوم كافر جاحد فاجر معاند.

ثم قال: ﴿وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾ أي: المفسدة التي لا تنتج شيئا. قاله الضحاك، وقتادة، وغيرهما.

ولهذا قال: ﴿ما تذر من شيء أتت عليه﴾ أي: مما تفسده الريح ﴿إلا جعلته كالرميم﴾ أي: كالشيء الهالك البالي.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو عبيد الله بن أخي ابن وهب، حدثنا عمي عبد الله بن وهب، حدثني عبد الله -يعني: ابن عياش (١) -القتباني، حدثني عبد الله بن سليمان، عن دراج، عن عيسى بن هلال الصدفي، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الريح مسخرة من الثانية -يعني من الأرض الثانية-فلما أراد الله أن يهلك عادا أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحا تهلك عادا، قال: أي رب، أرسل عليهم [من] (٢) الريح قدر منخر الثور؟ قال له الجبار: لا إذا تكفأ الأرض ومن عليها، ولكن أرسل [عليهم] (٣) بقدر خاتم. فهي التي يقول (٤) الله في كتابه: ﴿ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم﴾

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٤٢٢/٧

هذا الحديث رفعه منكر (٥) ، والأقرب أن يكون موقوفا على عبد الله بن عمرو، من زاملتيه اللتين (٦) أصابهما يوم اليرموك، والله أعلم.

قال سعيد بن المسيب وغيره في قوله: ﴿إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾ قالوا: هي الجنوب. وقد ثبت في الصحيح من رواية شعبة، عن الحكم، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور" (٧) .

﴿وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين﴾ قال ابن جرير: يعني إلى وقت فناء آجالكم.

---

(١) في م: "ابن عباس".

(٢) زيادة من م.

(٣) زيادة من م.

(٤) في م، أ: "قال".

(٥) رواه الحاكم في المستدرك (٤/٥٩٤) وابن منده في كتاب التوحيد (١/١٨٦) من طريق عبد الله بن وهب بأطول منه.

وقال ابن منده: إسناده متصل مشهور ورواته مصريين. وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي بقوله: "بل منكر، فيه عبد الله بن عياس ضعفه أبو داود، وعند مسلم أنه ثقة، ودراج وهو كثير المناكير".

(٦) في م: "اللذين".

(٧) صححه مسلم برقم (٩٠٠) .." (١)

"وقال قتادة في قوله: ﴿الذين هم على صلاتهم دائمون﴾ ذكر لنا أن دانيال، عليه السلام، نعت أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال: يصلون صلاة لو صلاها قوم نوح ما غرقوا، أو قوم عاد ما أرسلت عليهم الريح العقيم، أو ثمود ما أخذتهم الصيحة. فعليكم بالصلاة فإنها خلق للمؤمنين حسن.

وقوله: ﴿والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم﴾ أي: في أموالهم نصيب مقرر لذوي الحاجات. وقد تقدم الكلام على ذلك في "سورة الذاريات".

وقوله: ﴿والذين يصدقون بيوم الدين﴾ أي: يوقنون بالمعاد والحساب والجزاء، فهم يعملون عمل من يرجو الثواب ويخاف العقاب؛ ولهذا قال: ﴿والذين هم من عذاب ربهم مشفقون﴾ أي: خائفون وجلون، ﴿إن

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٤٢٣/٧

عذاب ربهم غير مأمون﴾ أي: لا يأمنه أحد ممن عقل عن الله أمره إلا بأمان من الله تبارك وتعالى.
وقوله: ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ أي: يكفونها عن الحرام ويمنعونها أن توضع في غير ما أذن الله [فيه] (١) ولهذا قال: ﴿إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم﴾ أي: من الإماء، ﴿فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾ وقد تقدم تفسير ذلك في أول سورة (٢) ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ بما أغنى عني إعادته هاهنا.
وقوله: ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾ أي: إذا اؤتمنوا لم يخونوا، وإذا عاهدوا لم يغدروا. وهذه صفات المؤمنين، وضدها صفات المنافقين، كما ورد في (٣) الحديث الصحيح: "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان". وفي رواية: "إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر" (٤) .
وقوله: ﴿والذين هم بشهاداتهم قائمون﴾ أي: محافظون عليها لا يزيدون فيها، ولا ينقصون منها، ولا يكتمونها، ﴿ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾ [البقرة: ٢٨٣] .
ثم قال: ﴿والذين هم على صلاتهم يحافظون﴾ (٥) أي: على مواقيتها وأركانها وواجباتها ومستحباتها، فافتتح الكلام بذكر الصلاة واختتمه بذكرها. فدل على الاعتناء بها والتنويه بشرفها، كما تقدم في أول سورة: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ ؛ سواء لهذا قال هناك: ﴿أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾ [المؤمنون: ١٠، ١١] وقال هاهنا: ﴿أولئك في جنات مكرمون﴾ أي: مكرمون بأنواع الملاذ والمسار.
﴿فمال الذين كفروا قبلك مهطعين (٣٦) عن اليمين وعن الشمال عزين (٣٧) أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم (٣٨) كلا إنا خلقناهم مما يعلمون (٣٩) ﴾

---

(١) زيادة من م.
(٢) في م: "سورة المؤمنون".
(٣) في م: "كما ورد به".
(٤) تقدم تخريج الحديث عند تفسير الآية: ٨ من سورة المؤمنون.
(٥) في أ: "على صلاتهم".." (١)

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٢٢٧/٨

"شيء حفيظ﴾ أي: يحفظ أعمال العباد حتى يجازيهم عليها. وقيل: يحفظني من شركم ومكركم. وقيل: حفيظ من الهلاك إذا شاء، ويهلك إذا شاء.

قوله: ﴿ولما جآء أمرنا﴾ أي: عذابنا، وهو ما نزل بهم من الريح العقيم، عذبهم الله بها سبع ليال، وثمانية أيام، تدخل في مناخرهم وتخرج من أدبارهم وتصرعهم على الأرض على وجوههم حتى صاروا ﴿كأنهم أعجاز نخل خاوية﴾ [الحاقة: ٧] .

﴿نجينا هودا والذين آمنوا معه﴾ وكانوا أربعة آلاف «برحمة منا» بنعمة منا. وقيل: المراد بالرحمة: ما هداهم إليه من الإيمان. وقيل: المراد أنه لا ينجو أحد، وإن اجتهد في الإيمان والعمل الصالح إلا برحمة من الله تعالى.

ثم قال: ﴿ونجيناهم من عذاب غليظ﴾ فالمراد بالنجاة الأولى: هي النجاة من عذاب الدنيا، والنجاة الثانية من عذاب القيامة.

والمراد بقوله: «ونجيناهم» أي: حكمنا بأنهم لا يستحقون ذلك العذاب الغليظ.." (١)

"ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع [المجر] وهو بيع ما في بطون الأمهات.

قال ابن عابس رضي الله عنهما ما هبت ريح قط إلا جثا النبي صلى الله عليه وسلم على ركبتيه، وقال: «اللهم اجعلها رحمةت، ولا تجعلها عذابا، اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا» قال ابن عباس رضي الله عنهما في كتاب الله عز وجل: ﴿إنآ أرسلنا عليهم ريحا صرصرا﴾ [القمر: ١٩] ، ﴿إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾ [الذاريات: ٤١] وقال تعالى: ﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾ [الحجر: ٢٢] وقال تعالى: ﴿يرسل الرياح مبشرات﴾ [الروم: ٤٦] .

قوله تعالى: ﴿فأنزلنا من السمآء ماء فأسقيناكموه﴾ ، قد تقدم أن الماء: هل ننزل من السماء أو من السحاب.

وقوله: ﴿فأسقيناكموه﴾ ، قال الأزهري: «تقول العرب لكل ما في بطون الأنعام، ومن السماء، أو نهر يجري: أسقيته، أي: جعلته شربا له، وجعلت له منها مسقى لشرب أرضه أو ماشيته، فإذا كانت السقيا لسقيه، قالوا: سقاه، ولم يقولوا: أسقاه» .

ويؤكده اختلاف القراء في قوله: ﴿نسقيكم مما في بطونه﴾ [النحل: ٦٦] ، فقرؤا باللغتين، وسيأتي بيانهما في السورة التي بعدها، ولم يختلفوا في قوله: ﴿وسقاهم ربهم﴾ [الإنسان: ٢١] ، وفي قوله: ﴿والذي هو

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥١٠/١٠

يطعمني ويسقين﴾ [الشعراء: ٧٩] .

قال أبو علي: سقيته حتى روي، وأسقيته نهرا، جعلته شربا، وقوله: ﴿فأسقيناكموه﴾ جعلناه سقيا لكم، وربما قالوا في «أسقى» سقى؛ كقول لبيد يصف سحابا: [الوافر]

٣٢٧٣ - أقول وصوبه مني بعيد ... يحط السيب من قلل الجبال

سقى قومي بني مجد وأسقى ... نميرا والقبائل من هلال

فقوله: «سقى قومي» ليس يريد به ما يروى عطاشهم، ولكن يريد رزقهم سقيا لبلادهم، يخصبون بها، وبعيد أن يسأل لقومه ما يروي العطاش به ولغيرهم ما يخصبون به، فأما سقيا السقية، فلا يقال فيها: أسقاه. وأما قول ذي الرمة: [الطويل]

٣٢٧٤ - وأسقيه حتى كاد مما أبثه ... تكلمني أحجاره وملاعبه

[يريد بقوله: «أسقيه» : أدعو له بالسقاء، وأقول: سقاه الله] .." (١)

"عبلة وأبو حيوة بتنوين الصفة وإعمالها في الموصول. والمعنى: أن الله يهدي الذين آمنوا إلى طريق قويم وهو الإسلام.

قوله تعالى: ﴿ولا يزال الذين كفروا في مرية﴾ الآية. لما بين حال الكافرين أولا ثم حال المؤمنين ثانيا عاد إلى شرح حال الكافرين مرة أخرى، فقال: ﴿ولا يزال الذين كفروا في مرية﴾ شك ونفاق «منه» أي: من القرآن، أو من الرسول، أو مم ألقاه الشيطان.

والمرية والمرية بالكسر والضم لغتان مشهورتان، وظاهر كلام أبي البقاء أنهما قراءتان.

قوله: ﴿حتى تأتيهم الساعة﴾ وهذا يدل على أن الأعصار إلى قيام الساعة لا تخلو ممن هذا وصفه. «بغتة» أي: فجأة من دون أن يشعروا، ثم جعل الساعة لكفرهم، وأنهم يؤمنون عند أشراط الساعة على وجه الإلجاء. وقيل: أراد بالساعة الموت. ﴿أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾ . قال الأكثرون: هو يوم بدر. وقال عكرمة والضحاك: هو يوم القيامة. والعقيم من العقم، وفيه قولان:

أحدهما: أنه السد، يقال: امرأة معقومة الرحم أو مسدودته عن الولادة. وهو قول أبي عبيد.

والثاني: أن أصله القطع، ومنه (الملك عقيم) أي: لأنه يقطع صلة الرحم بالتراحم عليه، ومنه العقيم لانقطاع ولادتها. والعقم انقطاع الخبر، ومنه يوم عقيم، قيل: لأنه لا ليلة بعده، ولا يوم فشبه بمن انقطع نسله، وقيل: لأنهم لا يرون فيه خيرا. وقيل: لأن كل ذات حمل تضع حملها في ذلك اليوم، فكيف يحصل الحمل فيه.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٤٧/١١

هذا إن أريد به يوم القيامة.

وإن أريد به يوم بدر فقيل: لأن أبناء الحرب تقتل فيه، فكأن النساء لم يلدنهم فيكن عقما، يقال: رجل عقيم وامرأة عقيم، أي: لا يولد لهما. والجمع عقم.

وقيل: لأنه الذي لا خير فيه، يقال: ريح عقيم إذا لم تنشئ مطرا، ولم تلقح شجرا.." (١)

"وقيل: إنه لا مثل له في عظم أمره، وذلك لقتال الملائكة فيه.

والقول الأول أولى لأنه لا يجوز أن يقال: ﴿ولا يزال الذين كفروا﴾ ويكون المراد إلى يوم بدر، لأن من المعلوم أنهم في مرية بعد يوم بدر.

فإن قيل: لما ذكر الساعة، فلو حملتم **اليوم العقيم على** يوم القيامة لزم التكرار. قلنا: ليس كذلك لأن الساعة مقدمات القيامة، **واليوم العقيم كما** مر نفس ذلك اليوم على أن الأمر لو كان كما قال لم يكن تكرارا، لأن في الأول ذكر الساعة، وفي الثاني ذكر عذاب ذلك اليوم.

وإن أريد بالساعة وقت الموت، وبعذاب يوم عقيم القيامة فالسؤال زائل.

قوله: ﴿الملك يومئذ لله﴾ ، وهذا من أقوى ما يدل على أن **اليوم العقيم هو** هذا اليوم، وأراد أنه لا مالك في ذلك اليوم سواه. و «يومئذ» منصوب بما تضمنه «لله» من الاستقرار، لوقوعه خبرا. و «يحكم» يجوز أن يكون حالا من اسم الله، وأن يكون مستأنفا، والتنوين في «يومئذ» عوض من جملة، فقدرها الزمخشري: يوم يؤمنون. وهو لازم لزوال المرية، وقدره أيضا: يوم نزول مريتهم.

ثم بين تعالى كيف يحكم بينهم وأنه يصير المؤمنين إلى جنات النعيم والكافرين إلى عذاب مهين.

قوله: «والذين كفروا» مبتدأ، وقوله: «فأولئك» وما بعده خبره ودخلت الفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط بالشرط المذكور، و «لهم» يحتمل أن يكون خبرا عن «أولئك» و «عذاب» فاعل به لاعتماده على المخبر عنه. وأن يكون خبرا مقدما وما بعده مبتدأ، والجملة خبر «أولئك» .." (٢)

"قوله: ﴿ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا﴾ لما بين أنهم عند توقف الخير يكونون مبيبين آيسين، وعند ظهوره يكونون مستبشرين بين أن تلك الحالة أيضا لا يدومون عليها بل لو أصاب زرعهم ريح مفسد لكفروا فهم متقلبون غير تأمين نظرهم إلى الحالة لا إلى المآل.

فصل

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٢٨/١٤

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٢٩/١٤

سمى النافعة رياحا، والضارة ريحا لوجوه:

أحدها: أن النافعة كثيرة ألنواع كبيرة الأفراد، فجمعها لأن في كل يوم وليلة (تهب) نفحات من الرياح النافعة، (و) لا تهب الريح الضارة في أعوام بل الضارة لا تهب في الدهور.

الثاني: أن النافعة لا تكون إلا رياحا وأما الضارة فنفحة واحدة تقتل كريح السموم.

الثالث: جاء في الحديث «أن ريحا هبت فقال عليه (الصلاة و) السلام:» اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا «إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يرسل الرياح بشرى بين يدي رحمته﴾ [الأعراف: ٥٧] وقوله: ﴿يرسل الرياح مبشرات﴾ [الروم: ٤٦] وإشارة إلى قوله تعالى: ف ﴿أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾ [الذاريات: ٤١] وقوله: ﴿ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع الناس﴾ [القمر: ١٩، ٢٠] .

فصل

معنى الآية ولئن أرسلنا ريحا أي مضرة أفسدت الزرع فرأوه مصفرا بعد الخضرة لظلوا لصاروا من بعد اصفرار الزرع يكفرون يجحدون ما سلف من النعمة يعني أنهم يفرحون عند الخصب، ولو أرسلت عذابا على زرعهم (جحدوا) سالف نعمتي.

قوله:» فرأوه «أي فرأوا النبات لدلالة السياق عليه أو على الأثر، لأن الرحمة هي." (١)

"عائدة على الإناث والذكور والمعنى يجعل الذكور والإناث أزواجا أي يجمع له بينهما فيولد له الذكور والإناث.

وأما الجواب عن قوله «عقيما» فالعقيم هو الذي لا يلد ولا يولد له يقال: رجل عقيم، وامرأة عقيم، **وأصل العقم القطع** ومنه قيل: الملك عقيم، لأنه يقطع فيه الأرحام بالقتل والعقوق.

وأما الجواب عن الرابع فقال ابن عباس (رضي الله عنهما) : يهب لمن يشاء إناثا، يريد لوطا وشعيبا لم يكن لهما إلا البنات، و ﴿ويهب لمن يشآء الذكور﴾ يريد: إبراهيم لم يكن له إلا الذكور، ﴿أو يزوجهم ذكرانا وإناثا﴾ يريد محمدا صلى الله عليه وسلم كان له من البنين ثلاثة على الصحيح القاسم وعبد الله، وإبراهيم، ومن البنات إربع: زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة ﴿ويجعل من يشآء عقيما﴾ يريد يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام.

وقال أكثر المفسرين: هذا على وجه التمثيل، وإنما الحكم عام في كل الناس؛ لأن المقصود بيان نفاذ قدرة الله تعالى في تكوين الأنبياء كيف شاء، فلا معنى للتخصيص.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٢٧/١٥

ثم إنه تعالى خت الآية بقوله: ﴿إنه عليم قدير﴾ . قال ابن عباس (رضي الله عنهما) : عليم بما خلق قدير ما يشاء أن يخلقه. والله أعلم.." (١)

"قوله: ﴿إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾ وهي التي لا خير فيها ولا بركة، ولا تلقح شجرا، ولا تحمل مطرا لأنها تكسر وتقلع فكيف تلقح؟﴾ .

واعلم أن الفعيل لا يلحق به تاء التأنيث (إن كان بمعنى مفعول وكذلك) إذا كان بمعنى فاعل في بعض الصور. وقد تقدم ذكر سببه، وهو أن فعيلا لما جاء للمفعول والفاعل جميعا ولم يتميز المفعول عن الفاعل فأولى أن لا يتميز المؤنث عن المذكر فيه لأنه (لو تميز) لتميز الفاعل عن المفعول قبل تمييز المؤنث والمذكر، لأن الفاعل جزء من الكلام محتاج إليه، والمفعول فيه فائدة أكيدة وإن لم يكن جزءا من الكلام محتاجا إليه، فأول ما يحصل في الفعل الفاعل ثم التذكير والتأنيث يصير كالصفة للفاعل (والمفعول) تقول: فاعل وفاعلة، ومفعول ومفعولة، ويدل على ذلك أيضا أن التمييز بين الفاعل والمفعول جعل بحرف ممازج للكلمة فقيل: فاعل بألف فاصلة بين الفاء والعين التي هي من أصل الكلمة، وقيل: مفعول بواو فاصلة بين العين واللام والتأنيث كان بحرف في آخر الكلمة، فالمميز فيهما غير نظم الكلمة لشدة الحاجة (وفي التأنيث) لم يؤثر، ولأن التمييز في الفاعل والمفعول كان بأمرين يختص كل واحد منهما بأحدهما فالألف بعد الفاء يختص بالفاعل، والميم والواو يختص بالمفعول والتمييز في التذكير والتأنيث بحرف (واحد عند وجوده يميز المؤنث وعدمه يبقي اللفظ على أصل التذكير فإذا لم يكن «فعيل» يمتاز فيه الفاعل عن المفعول إلا بأمر منفصل كذلك (المؤنث والمذكر لا يمتاز أحدهما عن الآخر إلا بحرف غير متصل به.." (٢)

"قوله: ﴿ما تذر من شيء﴾ فيه وجهان) :

أحدهما: أنه نصب على أنه صفة للريح بعد صفة «العقيم» . قاله الواحدي.

فإن قيل: كيف يكون وصفا والمعرف لا يوصف بالجمل؟ و «ما تذر» جملة فلا يوصف بها النكرات؟ ﴾.

فالجواب من وجهين:

الأول: أن يكون بإعادة الريح تقديرا، كأنه يقول: وأرسلنا عليهم **الريح العقيم ريحا** ما تذر.

الثاني: أنها لما لم تكن معهودة صارت منكرة كأنه يقول: لم تكن من الرياح التي تقع ولا وقع مثلها، فهي

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٢٠/١٧

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٩٥/١٨

لشدتها منكرة، ولهذا أكثر ما ذكرت في القرآن منكرة، ووصفت بالجملة كقوله تعالى: ﴿بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم﴾ [الأحقاف: ٢٤] ، وقوله: ﴿وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال﴾ [الحاقة: ٦ و٧] إلى غير ذلك.

الوجه الثاني: أنه نصب على الحال، تقول: جاءني ما يفهم شيئا فعلمته وفهمته أي حاله كذا.

فإن قيل: لم يكن حال الإرسال ما تذر والحال ينبغي أن يكون موجودا مع ذي الحال وقت الفعل فلا يجوز أن يقال: جاءني زيد أمس راكبا غدا، والريح بعد ما أرسلت بزمان صارت ما تذر شيئا﴾

فالجواب: أن المراد بيان الصلاحية أي التي أرسلناها على قوة وصلاحية لا تذر، وتقول لمن جاء وأقام عندك أياما ثم سألك شيئا: جئتني سائلا أي وقت السؤال بالصلاحية والإمكان.

هذا إن قيل: بأنه نصب على المشهور.

ويحتمل أنه رفع على خبر مبتدأ محذوف تقديره هي ما تذر.

فإن قيل: «ما تذر» لنفي حال المتكلم؛ يقال: ما خرج زيد إلى الآن، وإذا أردت المستقبل تقول: لا يخرج أو لن يخرج. وتقول للماضي: ما خرج ولم يخرج، والريح." (١)

"فالجواب: أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «أتاني جبريل فقال:» إن الله يأمرك أن تقضي مع الشاهد «

وقال: يوم الأربعاء يوم نحس مستمر. ومعلوم أنه لم يرد أنه نحس على المصلحين بل على المفسدين، كما كانت الأيام النحسات على الكفار، لا على نبيهم والمؤمنين.

واعلم أنه تعالى قال ههنا: إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا وقال في الذاريات: ﴿إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾ [الذاريات: ٤١] فعرف الريح هناك، ونكرها ههنا؛ **لأن العقم في** الريح أظهر من البرد الذي يضر النبات أو الشدة التي تعصف الأشجار، لأن **الريح العقيم هي** التي لا تنشىء سحابا، ولا تلقح شجرا وهي كثيرة الوقوع، وأما الريح المهلكة الباردة فقلما توجد فقال: **الريح العقيم أي** هذا الجنس المعروف.

ثم زاده بيانا بقوله: ﴿ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم﴾ [الذاريات: ٤٢] فتميزت عن الريح العقيم، وأما الصرصر فقليلة الوقوع فلا تكون م شهورة فنكرها.

قوله: ﴿في يوم نحس﴾ العامة على إضافة يوم إلى نحس – بسكون الحاء – وفيه وجهان:

أحدهما: أنه من إضافة الموصوف إلى صفته.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٨/٩٦

والثاني – وهو قول البصريين – أنه صفة لموصوف محذوف أي يوم عذاب نحس.
وقرأ الحسن – (رضي الله عنه) بتنوينه ووصفه بنحس ولم يقيده الزمخشري بكسر الحاء. وقيده أبو حيان.
وقد قرىء قوله: ﴿في أيام نحسات﴾ [فصلت: ١٦] بسكون الحاء وكسرها، وتنوين «أيام» عند الجميع ما تقدم تقريره، و «مستمر» صفة «ليوم» أو «نحس» . ومعناه كما تقدم أي عليهم حتى أهلكهم، أو من المرارة. قال الضحاك: كان مرا عليهم وكذا حكى الكسائي أن قوما قالوا هو من المرارة يقال: مر الشيء، وأمر أي كان كالشيء المر تكرهه النفوس، وقد قال: ﴿فذوقوا﴾ [آل عمران: ١٠٦] والذي يذاق قد يكون مرا.." (١)

"وقرأ حمزة، والكسائي هنا» الريح «بالإفراد، والباقون بالجمع، فالجمع لاختلاف أنواعها: جنوبا ودبورا وصبا وغير ذلك، وإفرادها على إرادة الجنس، وكل ريح في القرآن ليس فيها ألف ولام، اتفق القراء على توحيدها، وما فيها ألف ولام، اختلفوا في جمعها، وتوحيدها، إلا **الريح العقيم في** سورة الذاريات [٤١] ، اتفقوا على توحيدها، والحرف الأول من سورة الروم ﴿الرياح مبشرات﴾ [الروم: ٤٦] اتفقوا على جمعها، والرياح: تذكر، تؤنث.
فصل في بيان تصريف الرياح
وأما تصريفها: فإنها تصرف إلى الشمال والجنوب والقبول والدبور، وما بين كل واحد من هذه المهاب، فهي نكباء، وقيل في تصريفها: إنها تارة تكون لينة، وتارة تكون عاصفة، [وتارة حارة] ، وتارة باردة.
قال ابن عباس – رضي الله تعالى عنهما –: أعظم جنود الله تعالى الريح، والماء، وسميت الريح ريحا؛ لأنها تريح النفوس.
قال القاضي شريح: ما هبت ريح إلا لشفاء سقيم، ولسقيم صحيح. والبشارة في ثلاثة من الرياح، في الصبا، والشمال، والجنوب، وأما الدبور، فهي: الريح العقيم، لا بشارة فيها.
وقيل: الرياح ثمانية: أربعة للرحمة: المبشرات، والناشرات، والذاريات، والمرسلات، وأربعة للعذاب: العقيم، والصرصر في البر، والعاصف والقاصف في البحر.
روى أبو هريرة – رضي الله تعالى عنه –: فروح الله سبحانه وتعالى] تأتي." (٢)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٥٥/١٨
(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٣١/٣

"السلام-: «تناكحوا، تناسلوا فإني مكاثر بكم الأمم» «١» انتهى.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١/ ٥٩٩) ، كتاب «النكاح» ، باب تزويج الحرائر والولود، حديث (١٨٦٣) ، من طريق طلحة بن عمرو الحضرمي، عن عطاء، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «انكحوا فإني مكاثر بكم» .

وقال البوصيري في «الزوائد» (٢/ ٧٣) : هذا إسناد ضعيف لضعف طلحة بن عمرو المكي الحضرمي اهـ.

وطلحة بن عمرو: قال عمرو بن علي: كان يحيى وعبد الرحمن لا يحدثان عنه. وقال أحمد: لا شيء متروك الحديث.

وقال البخاري: ليس بشيء.

وقال النسائي: متروك الحديث.

وكذلك ضعفه ابن حبان وغيره.

وله لفظ آخر بإسناد آخر: أخرجه أبو داود (٢/ ٥٤٢) ، كتاب «النكاح» ، باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء، حديث (٢٠٥٠) ، والنسائي (٦/ ٦٠- ٦٦) ، كتاب «النكاح» ، باب كراهية تزويج العقيم، والحاكم (٢/ ١٦٢) ، وأبو نعيم في «الحلية« (٣/ ٦٢) ، من حديث معقل بن يسار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم» .

وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

وأخرجه أيضا ابن حبان (١٢٢٩- موارد) ، والبيهقي (٧/ ٨١) ، كتاب «النكاح» ، باب استحباب التزويج بالودود الولود.

وأخرجه أحمد (٣/ ١٥٨، ٢٤٥) ، وسعيد بن منصور (١/ ١٦٤) رقم (٤٩٠) ، وابن حبان (١٢٢٨- موارد) ، والبيهقي (٧/ ٨١- ٨٢) ، كتاب «النكاح» ، باب استحباب التزوج بالودود الولود، والقضاعي في «مسند الشهاب» رقم (٦٧٥) ، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢١٩) ، من حديث أنس بلفظ: «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأنبياء» .

وصححه ابن حبان.

والحديث ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٦١) ، وقال: رواه أحمد، والطبراني في «الأوسط» ، وإسناده حسن.

وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢١٤٧) ، ومن طريقه البيهقي (٧/ ٧٨) ، من حديث أبي أمامة بلفظ:

«تزوجوا، فإني مكاثر بكم الأمم، ولا تكونوا كرهبانية النصارى» .

وفيه محمد بن ثابت البصري، وهو ضعيف قاله الحافظ في «التقريب» (٢/ ١٤٨) .

وأخرجه ابن ماجة (١/ ٥٩٢) ، كتاب «النكاح» ، باب ما جاء في فضل النكاح، حديث (١٨٤٦) ، من طريق عيسى بن ميمون، عن القاسم، عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «النكاح من سنتي، فمن لم يعمل بسنتي فليس مني، وتزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم، ومن كان ذا طول فلينكح، ومن لم يجد فعليه بالصوم فإن الصوم له وجاء» .

قال البوصيري في «الزوائد» (٢/ ٦٥) : هذا إسناد ضعيف لضعف عيسى بن ميمون اهـ.

وضعفه الحافظ ابن حجر في «تلخيصه» (٢/ ١٠٢) ، وقال: ضعيف. -." (١)

"بالباء المضمومة والشين الساكنة، وروي عنه «بشرا» بضم الباء والشين، ومن جمع الريح في هذه الآية، فهو أسعد وذلك أن الرياح حيث وقعت في القرآن فهي مقترنة بالرحمة، كقوله: ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات [الروم: ٤٦] وأكثر ذكر الريح مفردة إنما هو بقرينة عذاب، كقوله سبحانه: وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم [الذاريات: ٤١] وقد تقدم إيضاح هذا في «سورة البقرة» .

ومن قرأ في هذه الآية «الريح» بالإفراد، فإنما يريد به اسم الجنس، وأيضا فتقييدها ب «بشرا» يزيل الاشتراك.

والإرسال في الريح هو بمعنى الإجراء، والإطلاق، وبشرا، أي: تبشر السحاب، وأما «بشرا» بضم الباء والشين، فجمع بشير، كنذير ونذور، والرحمة في هذه الآية المطر، وبين يدي، أي: أمام رحمته وقدامها، وأقلت معناه: رفعته من الأرض، واستقلت به، وثقالا معناه من الماء، والعرب تصف السحاب بالثقل، والريح تسوق السحاب من ورائه فهو سوق حقيقة، والضمير في سقناه عائد على السحاب، ووصف البلد بالموت استعارة بسبب شعثه وجدوبته.

والضمير في قوله فأنزلنا به يحتمل أن يعود على السحاب، أي منه، ويحتمل أن يعود على البلد، ويحتمل أن يعود على الريح.

وقوله تبارك وتعالى: كذلك نخرج الموتى يحتمل مقصدين:

أحدهما: أن يراد كهذه/ القدرة العظيمة هي القدرة على إحياء الموتى، وهذا مثال لها.

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٣٩٢/١

الثاني: أن يراد أن هكذا نصنع بالأموات من نزول المطر عليهم، حتى يحيوا به، حسب ما وردت به الآثار، فيكون الكلام خبرا لا مثالا.

وقوله سبحانه: والبلد الطيب يخرج نباته ... آية متممة للمعنى الأول في الآية قبلها، معرفة بعادة الله سبحانه في إنبات الأرضين، فمن أراد أن يجعلها مثالا لقلب المؤمن، وقلب الكافر، كما هو محكي عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي «١» ، فذلك مترتب، لكن ألفاظ الآية لا تقتضي أن المثل قصد به ذلك، والطيب: هو الجيد التراب ،الكريم الأرض وخص بإذن ربه مدحا وتشريفا، وهذا كما تقول لمن تغض منه: أنت

(١) أخرجه الطبري (٥/ ٥١٩) برقم: (١٤٧٩٤) ، وذكره ابن عطية (٢/ ٤١٤) ، وذكره ابن كثير (٢/ ٢٢٢) .." (١)

"فطرية، والإنسان هنا: يراد به/ الجنس قاله مجاهد وغيره «١» .

وقال ابن عباس وسليمان: الإشارة إلى آدم لما نفخ الروح في رأسه، عطس وأبصر، فلما مشى الروح في بدنه قبل ساقيه، أعجبته نفسه، فذهب ليمشي مستعجلا لذلك «٢» ، فلم يقدر، والمعنى على هذا فأنتم ذووا عجلة موروثة من أبيكم، وقالت فرقة: معنى الآية:

معاتبة الناس في دعائهم بالشر مكان ما يجب أن يدعوه بالخير.

ت: قول هذه الفرقة نقله ع «٣» غير ملخص، فأنا لخصته.

وقوله سبحانه: وجعلنا الليل والنهار آيتين ... الآية هنا العلامة المنصوبة للنظر والعبرة.

وقوله سبحانه: فمحونا آية الليل قالت فيه فرقة: سبب تعقيب الفاء أن الله تعالى خلق الشمس والقمر مضيئين، فمحا بعد ذلك القمر، محاه جبريل بجناحه ثلاث مرات، فمن هنالك كلفه، وقالت فرقة: إن قوله: فمحونا آية الليل إنما يريد في أصل خلقته، وجعلنا آية النهار مبصرة، أي: يبصر بها ومعها، ليبتغي الناس الرزق وفضل الله، وجعل سبحانه القمر مخالفا لحال الشمس ليعلم به العدد من السنين والحساب للأشهر والأيام، ومعرفة ذلك في الشرع إنما هو من جهة القمر، لا من جهة الشمس، وحكى عياض في «المدارك» في ترجمة الغازي بن قيس قال: روي عن الغازي بن قيس أنه كان يقول: ما من يوم يأتي إلا ويقول: أنا خلق جديد، وعلى ما يفعل في شهيد، فخذوا مني قبل أن أبيد، فإذا أمسى ذلك اليوم، خر لله

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٤١/٣

ساجدا، وقال: الحمد لله الذي لم يجعلني اليوم العقيم. انتهى. «والتفصيل» البيان.

[سورة الإسراء (١٧) : الآيات ١٣ الى ١٥]

وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا (١٣) اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا (١٤) من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا (١٥)

وقوله سبحانه: وكل إنسان ألزمناه طائره قال ابن عباس: طائره ما قدر له

---

(١) ذكره الطبري (٨/ ٤٥) ، وذكره ابن عطية (٣/ ٤٤١) .

(٢) أخرجه الطبري (٨/ ٤٥) برقم: (٢٢١١٧) ، وذكره ابن عطية (٣/ ٤٤١) ، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٢٦) ، والسيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٣٠١) ، وعزاه لابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن المنذر، وابن عساكر.

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٣/ ٤٤١) .." [(١)]

"فتخبت له قلوبهم: معناه: تتطامن وتخضع، وهو مأخوذ من الخبت وهو المطمئن من الأرض كما تقدم.

ولا يزال الذين كفروا في مرية منه أي: من القرآن، والمرية: الشك، حتى تأتيهم الساعة يعني يوم القيامة، أو يأتيهم عذاب يوم عقيم قيل: يوم بدر، وقيل:

الساعة ساعة موتهم، واليوم [العقيم] «١» يوم القيامة.

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٥٨ الى ٦٢]

والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين (٥٨) ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم حليم (٥٩) ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله إن الله لعفو غفور (٦٠) ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير (٦١) ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير (٦٢)

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٤٥٦/٣

وقوله سبحانه: والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ... الآية، ابتداء معنى آخر وذلك أنه لما مات عثمان بن مظعون، وأبو سلمة بن عبد الأسد قال بعض الناس: من قتل من المهاجرين أفضل ممن مات حتف أنفه. فنزلت هذه الآية مسوية بينهم في أن الله تعالى يرزق جميعهم رزقا حسنا، وليس هذا بقاض بتساويهم في الفضل، وظاهر الشريعة أن المقتول أفضل، وقد قال بعض الناس: المقتول والميت في سبيل الله شهيدان، ولكن للمقتول مزية ما أصابه في ذات الله، والرزق الحسن يحتمل: أن يريد به رزق الشهداء عند ربهم في البرزخ، ويحتمل أن يريد بعد يوم القيامة في الجنة «٢» ، وقرأت «٣» فرقة: «مدخلا» - بضم الميم- من أدخل فهو محمول على الفعل [المذكور، وقرأت فرقة: «مدخلا» - بفتح الميم- من دخل فهو محمول على فعل] «٤» مقدر تقديره:

فيدخلون مدخلا، ثم أخبر سبحانه عمن عاقب من المؤمنين من ظلمه من الكفرة، ووعد المبغي عليه بأنه ينصره، وذلك أن هذه الآية نزلت في قوم من المؤمنين لقيهم كفار في

---

(١) سقط في ج.

(٢) ذكره ابن عطية (٤/ ١٣٠) .

(٣) بفتح الميم قرأ نافع، وبضمها قرأ الباقون.

ينظر: «السبعة» (٤٣٩، ٤٤٠) ، و «الحجة» (٥/ ٢٨٤) ، و «إعراب القراءات» (٢/ ٨٣) ، و «العنوان» (١٣٥) ، و «حجة القراءات» (٤٨١) ، و «إتحاف فضلاء البشر» (٢/ ٢٧٨) .

(٤) سقط في ج.." (١)

"قال الثعلبي: ما لكم من ملجإ: أي معقل، وما لكم من نكير أي: من إنكار على ما ينزل بكم من العذاب بغير ما بكم، انتهى.

وقوله تعالى: فإن أعرضوا ... الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم، والإنسان هنا اسم جنس، وجمع الضمير في قوله: تصبهم وهو عائد على لفظ الإنسان من حيث هو اسم جنس.

[سورة الشورى (٤٢) : الآيات ٤٩ الى ٥١]

لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور (٤٩) أو يزوجهم

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ١٣٤/٤

ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير (٥٠) وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم (٥١)

وقوله تعالى: لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء ... الآية، هذه آية اعتبار دال على القدرة والملك المحيط بالجميع، وأن مشيئته تعالى نافذة في جميع خلقه وفي كل أمرهم، وهذا لا مدخل لصنم فيه، فإن الذي يخلق ما يشاء هو الله تبارك وتعالى، وهو الذي يقسم الخلق فيهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الأولاد الذكور، أو يزوجهم أي: ينوعهم ذكرانا وإناثا، وقال محمد ابن الحنفية: يريد بقوله تعالى: أو يزوجهم التوأم، أي: يجعل في بطن زوجا من الذرية ذكرا وأنثى «١» ، و «العقيم» : الذي لا يولد له، وهذا كله مدبر بالعلم والقدرة/ وبدأ في هذه الآية بذكر الإناث تأنيسا بهن ليهتم بصونهن والإحسان إليهن، وقال النبي ع: «من ابتلي من هذه البنات بشيء، فأحسن إليهن، كن له حجابا من النار» «٢» ، وقال واثلة بن الأسقع: من يمن المرأة تبكيرها بالأنثى قبل الذكر «٣» لأن الله تعالى بدأ بذكر الإناث حكاه عنه الثعلبي قال: وقال

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٣) .

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ٣٣٢) كتاب «الزكاة» باب: اتقوا النار ولو بشق تمرة، والقليل من الصدقة (١٤١٨) ، (١٠/ ٤٤٠) كتاب «الأدب» باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته (٥٩٩٥) ، ومسلم (٤/ ٢٠٢٧) كتاب «البر والصلة والآداب» باب: فضل الإحسان إلى البنات (١٤٧/ ٢٦٢٩) ، والترمذي (٤/ ٣١٩) كتاب «البر والصلة» باب: ما جاء في النفقة على البنات والأخوات (١٩١٣) ، وابن حبان (٧/ ٢٠١) كتاب «الجنائز» باب: ما جاء في الصبر وثواب الأعمال، ذكر الاستتار من النار- نعوذ بالله منها- للمسلم إذا ابتلي بالبنات فأحسن صحبتهن (٢٩٣٩) ، وأحمد (٦/ ٣٣) ، والبيهقي (٧/ ٤٧٨) كتاب «النفقات» باب: النفقة على الأولاد.

قال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٣) .." (١)

"والصرة: الصيحة «١» كذا فسره ابن عباس وجماعة، قال الطبري عن بعضهم «٢» : قالت: «أوه» بصياح وتعجب وقال النحاس: في صرة في جماعة نسوة.

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ١٦٨/٥

وقوله: فصكت وجهها: معناه: ضربت وجهها استهوالا لما سمعت، وقال سفيان وغيره: ضربت بكفها جبهتها «٣» ، وهذا مستعمل في الناس حتى الآن، وقولهم:

كذلك قال ربك أي: كقولنا الذي أخبرناك.

وقوله تعالى: حجارة من طين بيان يخرج عن معتاد حجارة البرد التي هي من ماء، ويروى أنه طين طبخ في نار جهنم حتى صار حجارة كالآجر، ومسومة نعت لحجارة، ثم أخبر تعالى أنه أخرج بأمره من كان في قرية «لوط» من المؤمنين، منجيا لهم، وأعاد الضمير على القرية، / وإن لم يجر لها قبل ذلك ذكر لشهرة أمرها، قال المفسرون:

لا فرق بين تقدم ذكر المؤمنين وتأخره وإنما هما وصفان ذكرهم أولا بأحدهما، ثم آخرا بالثاني، قيل: فالآية دالة على أن الإيمان هو الإسلام، قال ع «٤» : ويظهر لي أن في المعنى زيادة تحسن التقديم للإيمان وذلك أنه ذكره مع الإخراج من القرية، كأنه يقول:

نفذ أمرنا بإخراج كل مؤمن، ولا يشترط فيه أن يكون عاملا بالطاعات بل التصديق بالله فقط، ثم لما ذكر حال الموجودين ذكرهم بالصفة التي كانوا عليها، وهي الكاملة التصديق والأعمال، والبيت من المسلمين هو بيت لوط ع وكان هو وابنتاه، وفي كتاب الثعلبي: وقيل: لوط وأهل بيته ثلاثة عشر، وهلكت امرأته فيمن هلك، وهذه القصة ذكرت على جهة ضرب المثل لقريش، وتحذيرا أن يصيبهم مثل ما أصاب هؤلاء.

[سورة الذاريات (٥١) : الآيات ٣٧ الى ٤٤]

وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم (٣٧) وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين (٣٨) فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون (٣٩) فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم (٤٠) وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم (٤١)

ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم (٤٢) وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين (٤٣) فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون (٤٤)

التسمية على الطعام (٣٧٦٥) ، والنسائي (٤/ ١٧٤) ، كتاب «آداب الأكل» باب: ذكر الله تعالى وتبارك عند الطعام (٦٧٥٧/ ١) .

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٤٦٣) ، وذكره ابن عطية (٥/ ١٧٨) ، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٣٦) ، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٣٨) ، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» (١١/ ٤٦٣) . [.....]
(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٤٦٤) برقم: (٣٢٢٠٦) ، وذكره ابن عطية (٥/ ١٧٨) .
(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٧٩) .." (١)

"(هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين (٢٤) إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون (٢٥) فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين (٢٦) فقربه إليهم قال ألا تأكلون (٢٧) فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم (٢٨) فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم (٢٩) قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم (٣٠) قال فما خطبكم أيها المرسلون (٣١) قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين (٣٢) لنرسل عليهم حجارة من طين (٣٣) مسومة عند ربك للمسرفين (٣٤) فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين (٣٥) فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين (٣٦) وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم (٣٧) وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين (٣٨) فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون (٣٩) فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم (٤٠) وفي عاد إذ أرسلنا عليهم **الريح العقيم** (٤١) ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم (٤٢) وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين (٤٣) فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون (٤٤) فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين (٤٥) وقوم نوح من قبل إنهم كانوا قوما فاسقين (٤٦)

* * *

(هل أتاك حديث ضيف إبراهيم)، فيه تعظيم لشأن الحديث، وتنبيه على أنه إنما عرفه بالوحي، (المكرمين): عند الله تعالى، وعند إبراهيم - عليه السلام - والضيف للواحد، والجمع؛ لأنه في الأصل مصدر والحكاية قد تقدمت في سورة " هود "، و " الحجر " (إذ دخلوا عليه)، ظرف للحديث، أو بتقدير اذكر، (فقالوا سلاما):." (٢)

"العذاب الأليم): وقد بقي فيها آثار العذاب، (وفي موسى)، عطف على فيها أي: وجعلنا في موسى آية، فهو من قبيل علفتها تبنا وماء باردا وقيل: عطف على وفي الأرض، (إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين): معجزة ظاهرة، (فتولى): أعرض، (بركنه)، الباء للتعدية، أي: أعرض به نحو: نأى بجانبه، أو للسببية أي: بسبب جنوده وملكه، (وقال ساحر): هو ساحر لما يظهر منه خارق العادة، (أو مجنون): لما يدعي

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٣٠٣/٥
(٢) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ١٩٣/٤

خلاف العقل، (فأخذناه وجنوده فنبذناهم): طرحناهم، (في اليم وهو مليم): حال كونه آت بما يلام عليه من الكفر والفجور، (وفي عاد): آية، (إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم): المفسدة التي لا تنتج نفعا، (ما تذر من شيء أتت): مرت، (عليه إلا جعلته كالرميم): كالشيء البالي المتفتت، (وفي ثمود): آية، (إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين)، وذلك حين عقروا الناقة قيل لهم: (تمتعوا في داركم ثلاثة أيام) [هود: ٦٥] وعلى هذا فالفاء في قوله: (فعتوا عن أمر ربهم) مرتب على تمام القصة، كأنه قيل: وجعلنا في ذلك الزمان آية، ثم أخذ في بيانه، فقال: (فعتوا). فلا يرد أن ما قيل لهم: تمتعوا، مؤخر عن استكبارهم، أو المراد من قوله: " إذ قيل لهم " إلخ فيهم آية، إذ متعناهم في الدنيا مدة وهديناهم، فعصوا واستحبوا العمى على الهدى (فأخذتهم الصاعقة) بعد ثلاثة أيام (وهم ينظرون): إليها عيانا، (فما." (١)

"الفجرة واللام في قوله تعالى ﴿للذين آمنوا﴾ للتبليغ كما في مثل قوله تعالى وقال لهم نبيهم وقيل لام الأجل كما في قوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه أي قالوا لأجلهم وفي حقهم والأول هو الأولى لأن قولهم ليس في حق المؤمنين فقط كما ينطق به قوله تعالى ﴿أى الفريقين﴾ أي المؤمنين والكافرين كأنهم قالوا أينا ﴿خير﴾ نحن أو أنتم ﴿مقاما﴾ أي مكانا وقرئ بضم الميم أي موضع إقامة ومنزل ﴿وأحسن نديا﴾ أي مجلسا ومجتمعا يروى أنهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنونها ويتطيبون ويتزينون بالزين الفاخر ثم يقولون ذلك لفقراء المؤمنين يريدون بذلك أن خيريتهم حالا وأحسنيتهم منالا مما لا يقبل الإنكار وأن ذلك لكرامتهم على الله سبحانه وزلفاهم عنده إذ هو العيار على الفضل والنقصان والرفعة والضعة وأن من ضرورته هوان المؤمنين عليه تعالى لقصور حظهم العاجل وما هذا **القياس العقيم والرأي** السقيم إلا لكونهم جهلة لا يعلمون إلا ظاهرا من الحياة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم فرد عليهم ذلك من جهته تعالى بقوله." (٢)

"سورة الحج (٥٦ ٥٧) لما ألقى الشيطان فى أمنيته فمما لا مساغ له لأن ذلك ليس من هنانهم التي تستمر إلى الأمد المذكور بل إنما هي مريتهم في شأن القرآن ولا يجدي حمل من على السببية دون الابتدائية لما أن مريتهم المستمرة كما أنها ليست مبتدأة من ذلك ليئست ماشئة منه ضرورة أنها مستمرة منهم من لدن نزول القرآن الكريم ﴿حتى تأتيهم الساعة﴾ أي القيامة نفسها كما يؤذن به قوله تعالى ﴿بغتة﴾ أي فجاءة فإنها الموصوفة بالإتيان كذلك لا أشراطها وقيل الموت ﴿أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾ أي يوم

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ١٩٥/٤

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٢٧٧/٥

لا يوم بعده كأن كل يوم يلد ما بعده من الأيام فما لا يوم بعده يكون عقيما والمراد به الساعة أيضا كأنه قيل أو يأتيهم عذابها فوضع ذلك موضع ضميرها لمزيد التهويل ولا سبيل إلى حمل الساعة على أشراطها لما عرفته وأما ما قيل من أن المراد يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمي به لأن أولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كأنهن عقم لم يلدن أو لأن المقاتلين أبناء الحرب فإذا قتلوا صارت عقيما أي ثكلى فوصف اليوم بوصفها اتساعا أو لأنه لا خير لهم فيه ومنه **الريح العقيم لما** لم ينشئ مطرا ولم يلقح شجرا أو لأنه لا مثل له لقتال الملائكة عليهم السلام فيه فمما لا يساعده سياق النظم الكريم أصلا كيف لا وإن تخصيص الملك والتصرف الكلي فيه بالله عز وجل ثم بيان ما يقع فيه من حكمه تعالى بين الفريقين بالثواب والعذاب الأخرويين يقضي بأن المراد به يوم القيامة قضاء بينا لا ريب فيه." (١)

"سورة المؤمنون (٤٢ ٤٤) **الريح العقيم أصيبوا** في تضاعيفها بصيحة هائلة أيضا وقد روي أن شداد بن عاد حين أتم بناء إرم سار إليها بأهله فلما دنا منها بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وقيل الصيحة نفس العذاب والموت وقيل هي العذاب المصطلم قال قائلهم ... صاح الزمان بآل برمك صيحة ... خروا لشدتها على الأذقان ...

﴿بالحق﴾ متعلق بالأخذ أي بالأمر الثابت الذي لا دفاع له أو بالعدل من الله تعالى أو بالوعد الصدق ﴿فجعلناهم غثاء﴾ أي كغثاء السيل وهو حميله ﴿فبعدا للقوم الظالمين﴾ إخبار أو دعاء وبعدا من المصادر التي لا يكاد يستعمل ناصبها والمعنى بعدوا بعدا أي هلكوا واللام لبيان من قيل له بعدا ووضع الظاهر موضع الضمير للتعليل." (٢)

"﴿وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾ وصفت بالعقم لأنها أهلكتهم وقطعت دابرهم أو لأنها لم تتضمن خيرا ما من إنشاء مطر أو إلقاح شجر وهي النكباء أو الدبور أو الجنوب." (٣)

"وقد تقدم أن من لاحساب عليهم- وهم المقربون- يمرون على الصراط ولا يحسون به، وهم الذين يمرون عليه كالطير أو كالبرق، جعلنا الله منهم بمنه وكرمه، وبجاه خير الخلق مولانا محمد نبيه وحبه، آمين. ثم ذكر أحوال من سقط فى جهنم ويبقى فيها جثيا، فقال:

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١١٥/٦

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١٣٥/٦

(٣) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١٤٢/٨

[سورة مريم (١٩) : الآيات ٧٣ الى ٧٤]

وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا (٧٣) وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورءيا (٧٤)

قلت: «هم أحسن» : صفة لكم.

يقول الحق جل جلاله: وإذا تتلى عليهم على الكفرة آياتنا الناعية عليهم فظاعة حالهم ووخامة مآلهم، والناطقة بحسن عاقبة المؤمنين، حال كونها بينات: واضحات في نفسها، أو بينات الإعجاز، أو بينات المعاني، قال الذين كفروا أي: قالوا، ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه على أنهم قالوا ما قالوا كافرين بما يتلى عليهم رادين له، أو: قال الذين تمردوا في الكفر والعتو وهم النضر بن الحارث وأتباعه، قالوا للذين آمنوا، اللام للتبليغ، أي: قالوا مبلغين الكلام لهم، وقيل: لام الأجل، كقوله تعالى: وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه «١» أي: لأجلهم وفي حقهم، والأول أولى لأن الكلام هنا كان معهم بدليل قوله: أي الفريقين أي: المؤمنين والكفار، خير كأنهم قالوا: أينا خير مقاما أي: مكانا:

نحن أو أنتم، وقرىء بالضم، أي: موضع إقامة ومنزل، وأحسن نديا مجلسا ومجتمعا، أو: أينا خير منزلا ومسكنا، وأحسن مجلسا؟.

يروى أنهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنونها، ويتزينون بالزينة الفاخرة، ثم يقولون ذلك لفقراء المؤمنين، يريدون بذلك أن خيريتهم، حالا، وأحسنيتهم، مقالا، مما لا يقبل الإنكار، وأن ذلك لكرامتهم على الله سبحانه وزلفاهم عنده، وأن الحال التي عليها المؤمنون، من الضرورة والفاقة ورثاثة الحال لقصور حظهم عند الله. وما هذا القياس العقيم والرأي السقيم إلا لكونهم جهلة لا يعلمون إلا ظاهرا من الحياة الدنيا، وذلك مبلغهم من العلم، فرد عليهم بقوله: وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا: مالا ومتاعا ورءيا منظرا، أي: كثيرا من القرون التي كانوا أفضل منهم، فيما يفتخرون به من الحظوظ الدنيوية، كعاد وثمود وأضرابهم العاتية قبل هؤلاء،

---

(١) الآية ١١ من سورة الأحقاف.." (١)

"يقول الحق جل جلاله: ولا يزال الذين كفروا في مرية: شك منه من القرآن، أو الصراط المستقيم، حتى تأتيهم الساعة بغتة: فجأة، أو يأتيهم عذاب يوم عقيم، وهو عذاب يوم القيامة، كأنه قيل: حتى تأتيهم

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣/٣٥٥

الساعة أو عذابها، فزاد «اليوم العقيم» لمزيد التهويل. واليوم العقيم: الذي لا يوم بعده، كأن كل يوم يلد ما بعده من الأيام، فما لا يوم بعده يكون عقيما. وقيل: اليوم العقيم: يوم بدر، فهو عقيم عن أن يكون للكافرين فيه فرح أو راحة، **كالريح العقيم لا** تأتي بخير، أو لأنه لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه، ولكن لا يساعده ما بعده، من قوله: الملك يومئذ لله أي: السلطان القاهر، والتصرف التام، يومئذ لله وحده، ولا منازع له فيه، ولا تصرف لأحد معه، لا حقيقة ولا مجازا، ولا صورة ولا معنى، كما في الدنيا، فإن للبعض فيه تصرفا مجازيا صوريا. يحكم بينهم أي: بين فريق أهل المرية وأهل الإيمان.

ثم بين حكمه فيهم، فقال: فالذين آمنوا بالقرآن الكريم ولم يماروا فيه، وعملوا الصالحات امتثالا لما أمر به في تضاعيفه في جنات النعيم، والذين كفروا بالقرآن وشكوا فيه، أو بالبعث والجزاء، وكذبوا بآياتنا الدالة على كمال قدرتنا أو القرآن، فأولئك لهم عذاب مهين، يهينهم ويخزيهم.

ثم خص قوما من الفريق الأول بفضيلة، فقال: والذين هاجروا في سبيل الله: خرجوا من أوطانهم مجاهدين، ثم قتلوا في الجهاد، أو ماتوا حتف أنفهم، ليرزقنهم الله رزقا حسنا، وهو ما لا ينقطع من نعيم الجنان. ومراتب الحسن متفاوتة، فيجوز تفاوت حال المرزوقين، حسب تفاوت أرزاق الجنة.

روي أن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا في سبيل الله قد علمنا ما أعطاهم الله من الخير، ونحن نجاهد معك كما جاهدوا، فما لنا معك؟ فنزلت: (والذين هاجروا ...) الآيتين. وقيل: نزلت في طوائف خرجوا من مكة إلى المدينة، فتبعهم المشركون فقتلوهم.

ثم قال تعالى: وإن الله لهو خير الرازقين، فإنه يرزق بغير حساب، مع أن ما يرزقه لا يقدر عليه غيره، ليدخلنهم مدخلا يرضونه، وهو الجنة لأن فيه ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، قيل: لما ذكر الرزق ذكر المسكن، وإن الله لعليم حليم، عليم بأحوال من قضى نحبه مجاهدا، وآمال من مات وهو ينتظره معاهدا، حليم بإمهال من قاتلهم معاندا.

الإشارة: من لم يصحب العارفين أهل الرسوخ واليقين، لا يمكن أن تنقطع عنه خواطر الشكوك والأوهام، حتى يلقى الله بقلب سقيم، فيفضي إلى الهوان المقيم. والذين هاجروا في طلب محبوبهم لتكميل يقينهم، ثم قتلوا قبل الوصول، أو ماتوا بعد الوصول، ليرزقنهم الله جميعا رزقا حسنا، وهو لذة الشهود والعيان، في مقعد صدق مع." (١)

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥٤٧/٣

"الموت، إن ما هو إلا رجل افترى على الله كذبا فيما يدعيه من الإرسال، وفيما يعدنا من البعث، وما نحن له بمؤمنين: بمصدقين بما يقول.

قال هود، أو صالح- عليهما السلام- بعد ما سلك في دعوتهم كل مسلك، متضرعا إلى الله- عز وجل- :

رب انصرني عليهم، وانتقم منهم بما كذبون أي: بسبب تكذيبهم إياي وإصرارهم عليه، قال تعالى إجابة لدعائه: عما قليل أي: عن زمان قليل، زيدت «ما» ، بين الجار والمجرور لتأكيد معنى القلة، أو نكرة موصوفة، أي: عن شيء قليل ليصبحن نادمين عما فعلوا من التكذيب، وذلك عند معاينتهم العذاب.

فأخذتهم الصيحة، لعلهم، حين اصابتهم الريح العقيم، أصيبوا في تضاعيفها بصيحة هائلة من صوته. أو يراد بها: صرير الريح وصوته. وقد روي أن شدادا حين أتم بناء إرم، سار إليها بأهله، فلما دنا منها بعث الله عليهم صيحة من السماء، فهلكوا، وقيل: الصيحة: العذاب المصطلم، قال الشاعر:

صاح الزمان بآل فدك صيحة ... خروا لشدتها، على الأذقان

وإذا قلنا: هم قوم صالح، فالصيحة صيحة جبريل عليه السلام، صاح عليهم فدمرهم. وقوله: بالحق أي: بالعدل من الله، يقال: فلان يقضي بالحق، أي: بالعدل، أو: أخذتهم بالحق، أي: بالأمر الثابت الذي لا دفاع له، فجعلناهم غثاء أي: كغثاء السيل، وهو ما يحمله من الورق والحشيش، شبههم في دمارهم بالغثاء، وهو ما يرميه السيل، من حيث أنهم مرمي بهم في كل جانب وسهب. فبعدا: فهلاكا، يقال بعد بعدا، أي: هلك هلاكا، وهو من المصادر المنصوبة بأفعال لا تظهر أفعالها، أي: فسحقا للقوم الظالمين، وهو إخبار، أو دعاء، واللام لبيان من دعي عليه بالبعد، كقوله: هيت لك «١» . والله تعالى أعلم.

الإشارة: من عادة الحق- سبحانه-، إذا أكب الناس على دنياهم، واتخذوا إلههم هواهم، بعث من يذكرهم بالله، فيقول لهم: اعبدوا الله، ما لكم من إله غيره، أي: أفردوه بالمحبة، واقصدوه بالوجهة، فما عبد الله من عبد هواه، فيقول المترفون، وهم المنهمكون في الغفلة، المحجوبون بالنعمة عن المنعم، الذين اتسعت دائرة حسهم: ما هذا الذي يعظكم، ويريد أن يخرجكم عن عوائدكم، ألا بشر مثلكم، يأكل مما تأكلون، ويشرب مما تشربون، ومادروا أن وصف البشرية لا ينافي وجود الخصوصية، فإذا تمادوا في غفلتهم، وأيس من هدايتهم، ربما دعا عليهم، فأصبحوا نادمين، حين لا ينفعهم الندم، وذلك عند نزول هواجم الحمام. وبالله التوفيق.

[سورة المؤمنون (٢٣) : الآيات ٤٢ الى ٤٤]

ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين (٤٢) ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون (٤٣) ثم أرسلنا رسلنا تترا كل ما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون (٤٤)

---

(١) من الآية ٢٣ من سورة يوسف.." (١)

"ثم ذكر دلائل القدرة على البعث وغيره، فقال:

[سورة الروم (٣٠) : آية ٤٦]

ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (٤٦)

قلت: (وليذيقكم) : عطف على (مبشرات) على المعنى، كأنه قيل: لتبشركم وليذيقكم، أو: على محذوف، أي: ليغيثكم وليذيقكم.

يقول الحق جل جلاله: ومن آياته الدالة على كمال قدرته: أن يرسل الرياح، وهي الجنوب، والصبا، والشمال، والدبور، فالثلاث: رياح الرحمة، والدبور: ريح العذاب، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «اللهم اجعلها رياحا، ولا تجعلها ريحا» «١» . وقال: «نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور» «٢» ، وهي الريح العقيم. وقرأ ابن كثير والأخوان: بالإفراد، على إرادة الجنس.

ثم ذكر فوائد إرسالها بقوله: مبشرات أي: أرسلها بالبشارة بالغيب وليذيقكم من رحمته ولإذاقة الرحمة، وهي نزول المطر، وحصول الخصب الذي يتبعه، والروح الذي مع هبوب الريح، وزكاء الأرض، أي:

ربوها وزيادتها بالنبات، وغير ذلك من منافع الرياح والأمطار. قال الحسن: لو أمسك الله عن أهل الأرض الريح ساعة لماتوا غما.

ولتجري الفلك في البحر عند هبوبها بأمره بتدبيره، أو بتكوينه، لقوله إنما أمره إذا أراد شيئا ... «٣» الآية.

قيل: إنما زاد بأمره لأنها قد تهب غير مواتية، فتغرق، وهي عند أمره أيضا، فهي على حسب أمره، ولأن الإسناد وقع للفلك مجازا، فأخبر أنه بأمره، ولتبتغوا من فضله، يريد به تجارة البحر، ولعلكم تشكرون هذه النعم فيزيدكم من فضله.

الإشارة: ومن آيات فتحه على أوليائه: أن يرسل رياح الهداية أولا، ثم رياح التأييد، ثم رياح الواردات، تحمل

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥٧٥/٣

هدايا التعرفات، مبشرات بالفتح الكبير، والتمكين في شهود العلي الكبير، وليذيقكم من رحمته، وهي حلاوة معرفته، ولتجري سفن الأفكار في ميادين بحار توحيده، ولتبتغوا من فضله هو الترقي في الكشوفات والعلوم والأسرار، أبدا سرمدا، ولعلكم تشكرون بالقيام برسوم الشريعة وآداب العبودية.

---

(١) أخرجه الشافعي فى مسنده (ح ٥٠٢) ، وأبو يعلى فى مسنده (٤/ ٣٤١) ، والطبراني فى الكبير (١١/ ٢١٣- ٢١٤ ح ١١٥٣٢) ، وابن عدى فى الكامل (٢/ ٧٦٣) من حديث ابن عباس. وانظر: مجمع الزوائد (١٠/ ١٣٥- ١٣٦) .

(٢) أخرجه البخاري فى (الاستسقاء، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم «نصرت بالصبا» ح ١٠٣٥) ومسلم فى (الاستسقاء باب فى ريح الصبا والدبور، ٢/ ٦١٧، ح ٩٠٠) من حديث ابن عباس رضى الله عنه. والصبا: ريح، ومهبها المستوي أن تهب من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار. والدبور: الريح التي تقابل الصبا، وقال النووي: هى الريح الغربية.

(٣) الآية ٨٢ من سورة يس.." (١)

"الإسلام. إنه عليم بذات الصدور أي: عليم بما في صدرك وصدورهم، فيجري الأمر على حسب ذلك من المحو والإثبات.

وهو الذي يقبل التوبة عن عباده. يقال: قبلت الشيء منه: إذا أخذته منه، وجعلته مبدأ قبولك، وقبلته عنه، أي: عزلته وأبنته عنه. والتوبة: الرجوع عن القبيح بالندم، والعزم ألا يعود، ورد المظالم واجب غير شرط.

قال ابن عباس: لما نزل. قل لآ أسئلكم عليه أجرا.... الآية. قال قوم في نفوسهم: ما يريد إلا أن يحثنا على أقاربه من بعده، فأخبر جبريل النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قد اتهموه، وأنزل: أم يقولون افترى على الله كذبا.. الآية، فقال القوم يا رسول الله فإنا نشهد أنك صادق. فنزل: وهو الذي يقبل التوبة.... هـ.

قال أبو هريرة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الله أفرح بتوبة عبده المؤمن من الضال الواجد، **ومن العقيم الوالد**، ومن الظمآن الوارد، فمن تاب إلى الله توبة نصوحا أنسى الله حافظيه، ولو كانت بقاع الأرض خطاياه وذنوبه» «١» .

واختلف العلماء في حقيقة التوبة وشرائطها، فقال جابر بن عبد الله: دخل أعرابي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: اللهم إني أستعيذك وأتوب إليك، سريعا، وكبر، فلما فرغ من صلاته، قال له علي: ما

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣٤٩/٤

هذا؟ إن سرعة الاستغفار باللسان توبة الكذابين، وتوبتك تحتاج إلى توبة، فقال: يا أمير المؤمنين، وما التوبة؟ قال: أسم يقع على ستة معان: على الماضي من الذنوب الندامة، ولتضييع الفرائض الإعادة، ورد المظالم، وإذابة النفس في الطاعة، كما أذبتها في المعصية، وإذاقة النفس مرارة الطاعة، كما أذقتها حلاوة المعصية، والبكاء بدل كل ضحك ضحكته.

وعن السدي: هي صدق العزيمة على ترك الذنوب، والإنابة بالقلب إلى علام الغيوب. وعن سهل: هي الانتقال من الأحوال المذمومة إلى الأحوال المحمودة. وعن الجنيد: هي الإعراض عما سوى الله.

قال الله تعالى: ويعفوا عن السيئات وهو ما دون الشرك، يعفو لمن يشاء بلا توبة، ويعلم ما تفعلون كائنا ما كان، من خير أو شر، حسبما تقتضيه مشيئته.

ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات أي: يستجيب لهم فحذف اللام كما في قوله: وإذا كالوهم» أي: يجيب دعوتهم، ويثيبهم على طاعتهم، أو: يستجيبون له بالطاعة إذا دعاهم إليها. قيل لإبراهيم

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وفى الصحيح: «الله أفرح بتوبة العبد من رجل نزل منزلا وبه مهلكة، ومعه راحلته، عليها طعامه وشرابه، فوضع رأسه فنام نومة، فاستيقظ وقد ذهبت راحلته، حتى اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله، قال: أرجع إلى مكانى، فرجع فنام نومة، ثم رفع رأسه، فإذا راحلته عنده، أخرجه البخاري فى (الدعوات، باب التوبة، ح ٦٣٠٨) ومسلم فى (التوبة، باب فى الحض على التوبة، ح ٢٧٤٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. [.....]

(٢) من الآية ٣ من سورة المطففين.." (١)

"وأقيمت بعده، ويهب لمن يشاء الذكور من ورث علم الأذواق والوجدان، وعمر رجالا، أو يزوجهم من ورثهما، ويجعل من يشاء عقيما لم يترك وارثا، لا من الظاهر، ولا من الباطن، وقد يكون كاملا وهو عقيم، وقد يكون غير كامل وله أولاد كثيرة، لكن الغالب على من له أولاد أن يتسع بهم، بخلاف العقيم. والله تعالى أعلم.

ثم قرر عظمة ملكه، فقال:

[سورة الشورى (٤٢) : الآيات ٥١ الى ٥٣]

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢١٤/٥

وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم (٥١) وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم (٥٢) صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور (٥٣)

يقول الحق جل جلاله: وما كان لبشر أي: ما صح لأحد من البشر أن يكلمه الله بوجه من الوجوه إلا وحيا إلهاما، كقوله عليه الصلاة والسلام: «ألقي في روعي» «١» أو: رؤيا في المنام لقوله صلى الله عليه وسلم: «رؤيا الأنبياء وحي» «٢» كأمر إبراهيم عليه السلام بذبح الولد، وكما أوحي إلى أم موسى، روي عن مجاهد: «أوحى الله الزبور إلى داود عليه السلام- في صدره» . أو من وراء حجاب بأن يسمع كلاما من الله، من غير رؤية السامع من يكلمه، كما سمع موسى عليه السلام من الشجرة، ومن الفضاء في جبل الطور، وليس المراد به حجاب الله تعالى على عبده حسا إذ لا حجاب بينه وبين خلقه حسا، وإنما المراد: المنع من رؤية الذات بلا واسطة.

أو يرسل رسولا أو: بأن يرسل ملكا فيوحي الملك بإذنه بإذن الله تعالى وتيسيره ما يشاء من الوحي. وهذا هو الذي يجري بينه تعالى وبين أنبيائه في عامة الأوقات. روي: أن اليهود قالت للنبى صلى الله عليه وسلم: ألا تكلم الله، وتنظر إليه إن كنت نبيا، كما كلمة موسى، ونظر إليه؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «لم ينظر موسى إلى الله تعالى» فنزلت «٣» .

---

(١) ورد: «إن روح القدس نفث فى روعى أن نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها، وتستوعب رزقها ... » الحديث. أخرجه أبو نعيم فى الحلية (١٠/ ٢٧) من حديث أبى أمامة رضي الله عنه. وجاءت كلمة «ألقى فى روعى» بنصها عن أبي سعيد الخدري فى حديث الرقية بالفاتحة، ذلك عند ما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «وما يدريك أنها رقية» ؟ فقال أبو سعيد: ألقى فى روعى» . الحديث أخرجه أحمد (٣/ ٥٠) .

(٢) أخرجه البخاري فى (الوضوء، باب التخفيف فى الوضوء، ١٣٨) عن عبيد بن عمير (تابعي) موقوفا، وقال الحافظ ابن حجر فى فتح الباري (١/ ٢٨٩) : «رواه مسلم مرفوعا» .

(٣) قال الحافظ ابن حجر فى الكافي الشاف (ص ١٤٦) : «لم أجده» .." (١)

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢٣٠/٥

"ثم ذكر آيات أخرى فى بقية الأمم، فقال:

[سورة الذاريات (٥١) : الآيات ٣٨ الى ٤٩]
وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين (٣٨) فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون (٣٩) فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم (٤٠) وفي عاد إذ أرسلنا عليهم **الريح العقيم** (٤١) ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم (٤٢)
وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين (٤٣) فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون (٤٤) فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين (٤٥) وقوم نوح من قبل إنهم كانوا قوما فاسقين (٤٦) والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون (٤٧)
والأرض فرشناها فنعم الماهدون (٤٨) ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون (٤٩)
قلت: (وفي موسى) : عطف على (وفي الأرض) ، أو على قوله: (وتركنا فيها آية) على معنى: وجعلنا في موسى آية، كقوله:
علفتها تبنا وماءا باردا «١» .
و (إذ أرسلناه) : منصوب بآيات، أو: بمحذوف، أي: كائنة وقت إرسالنا، أو بتركنا.
يقول الحق جل جلاله: وفي موسى آية ظاهرة حاصلة إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين بحجة واضحة، وهي ما ظهر على يديه من المعجزات الباهرة، فتولى بركنه فأعرض عن الإيمان وازور عنه «٢» بركنه بما يتقوى به من جنوده وملكه، والركن: ما يركن إليه الإنسان من عز وجند، وقال في موسى: هو ساحر أو مجنون، كأنه نسب ما ظهر على يديه عليه السلام من الخوارق العجيبة إلى الجن، وتردد هل ذلك باختياره وسعيه، أو بغيرهما. أخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم
، وفيه من الدلالة على عظم شأن القدرة الربانية، ونهاية حماقة فرعون ما لا يخفى، هو مليم
، آت بما يلام عليه من الكفر والطغيان.

---

(١) شطر بيت، تمامه: حتى شتت همالة عيناها.
(٢) أي: مال عنه.." (١)

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥/٤٧٧

"وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم، وصفت بالعقيم لأنها أهلكتهم، وقطعت دابرهم، أو: لأنها لم تتضمن خيرا ما، من إنشاء مطر، أو إلقاح شجر، وهي الدبور، على المشهور، لقوله عليه السلام: «نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور» «١» ، ما تذر من شيء أتت عليه أي: مرت عليه إلا جعلته كالرميم وهو كل ما رم، أي: بلي وتفتت، من عظم، أو نبات، أو غير، والمعنى: ما تركت شيئا هبت عليه من أنفسهم وأموالهم إلا أهلكته.

وفي ثمود آية أيضا إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين، تفسيره قوله تعالى: تمتعوا في داركم ثلاثة أيام «٢» ، روي أن صالحا قال لهم: تصبح وجوهكم غدا مصفرة، وبعد غد محمرة، وفي الثالث مسودة، ثم يصحبكم العذاب، فعتوا عن أمر ربهم استكبروا عن الامتثال، فأخذتهم الصاعقة العذاب، وكل عذاب مهلك صاعقة. قيل: لما رأوا العلامات من اصفرار الوجوه، واحمرارها، واسودادها، التي بينت لهم، عمدوا إلى قتله عليه السلام فنجاه الله تعالى إلى أرض فلسطين، وتقدم في النمل «٣» ، ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالأنطاع، فأتتهم الصيحة، فهلكوا، كبيرهم وصغيرهم وهم ينظرون إليها، ويعاينونها جهرا، فما استطاعوا من قيام من هرب، أو هو من قولهم: ما يقوم بهذا الأمر: إذا عجز عن دفعه. وما كانوا منتصرين ممتنعين من العذاب بغيرهم، كما لم يمتنعوا بأنفسهم.

وقوم نوح أي: وأهلكنا قوم نوح لأن ما قبله يدل عليه، أو: واذكر قوم نوح، ومن قرأ بالجر «٤» فعطف على ثمود، أي: وفي قوم نوح آية، ويؤيده قراءة عبد الله «وفي قوم نوح» من قبل أي: قبل هؤلاء المذكورين، إنهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن الحدود بما كانوا فيه من الكفر والمعاصي وإذاية نوح عليه السلام.

والسماء بنيناها من باب الاشتغال، أي: بنينا السماء، بنيناها بأيد بقوة، والأيد: القوة، وإنا لموسعون لقادرين، من الوسع، وهو الطاقة، والموسع: القوي على الإنفاق، أو: لموسعون بين السماء والأرض، أو: لموسعون الأرزاق على من نشاء، وهو تتميم كما تمم ما بعده بقوله: (فنعم الماهدون) لزيادة الامتنان.

والأرض فرشناها بسطناها ومهدناها لتستقروا عليها، فنعم الماهدون نحن. ومن كل شيء خلقنا زوجين نوعين ذكر وأنثى، وقيل: متقابلين، السماء والأرض، والليل والنهار، والشمس والقمر، والبر والبحر،

---

(١) متفق عليه، وسبق تخريجه عند تفسير الآية ٤٦ من سورة الروم (٤/ ٣٤٩) .

(٢) من الآية ٦٥ من سورة هود. [.....]

(٣) راجع تفسير الآيات ٤٨- ٥٣ من سورة النمل، فى المجلد الرابع (ص ٢٠٢- ٢٠٣) .

(٤) قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف (وقوم) بجر الميم، وقرأ الباقون بنصبها. راجع الإتحاف ٢/ ٤٩٣.." (١)

"الموت والحياة. قال الحسن: كل شيء زوج، والله فرد لا مثل له. لعلكم تذكرون أي: جعلنا ذلك كله، من بناء السماء، وفرش الأرض، وخلق الأزواج، لتذكروا، وتعرفوا أنه خالق الكل ورازقهم، وأنه المستحق للعبادة، وأنه قادر على إعادة الجميع، وتعملوا بمقتضاه. وبالله التوفيق.

الإشارة: وفي موسى القلب إذ أرسلناه إلى فرعون النفس، بسلطان، أي: بتسلط وحجة ظاهرة، لتتأدب وتتهذب، فتولى فرعون النفس بركنه، وقوة هواه، وقال لموسى القلب: ساحر أو مجنون، حيث يأمرني بالخضوع والذل، الذي يفر منه كل عاقل، طبعا، فأخذناه وجنوده من الهوى والجهل والغفلة، فنبذناهم في اليم في بحر الوحدة، فلما غرقت في بحر العظمة، ذابت وتلاشت، ولم يبق لها ولا لجنودها أثر، وهو- أي: فرعون النفس- مليم:

فعل ما يلام عليه من الميل إلى ما سوى الله قبل إلقائه في اليم.

وفي عاد، وهي جند النفس وأوصاف البشرية، من التكبر، والحسد، والحرص، وغير ذلك، إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ريح المجاهدة والمكابدة. أو: ريح الواردات القهرية، ما تذر من شيء من الأوصاف المذمومة إلا أهلكته، وجعلته كالرميم. وفي ثمود، وهم أهل الغفلة، إذ قيل لهم: تمتعوا بدنياكم إلى حين زمان قليل مدة عمركم القصير، فعتوا: تكبروا عن أمر ربهم، وهو الزهد في الدنيا، والخضوع لمن يدعوهم إلى الله، فأخذتهم صاعقة الموت على الغفلة والبطالة، وهم لا ينظرون إلى ارتحالهم عما جمعوا، فما استطاعوا من قيام، حتى يدفعوا ما نزل بهم، ولو افتدوا بالدنيا وما فيها، وما كانوا ممتنعين من قهرية الموت، فرحلوا بغير زاد ولا استعداد. وقوم نوح من قبل، وهو من سلف من الأمم الغافلة، إنهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن حضرتنا.

والسماء، أي: سماء الأرواح، بنيناها ورفعناها بأيد، ورفعنا إليها من أحببنا من عبادنا، وإنا لموسعون على المتوجهين إلينا في المعارف والأنوار، والعلوم والأسرار، والأرض وأرض النفوس، فرشناها للعبودية، والقيام بآداب الربوبية، فنعم الماهدون، مهدنا الطريق لذوي التحقيق، ومن كل شيء من تجليات الحق، خلقنا، أي: أظهرنا زوجين، الحس والمعنى، الحكمة والقدرة، الشريعة والحقيقة، الفرق والجمع، الملك والملكوت، الأشباح والأرواح، الذات والصفات، فتجلى الحق جل جلاله بين هذين الضدين ليبقى الكنز مدفونا، والسر

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥/٤٧٨

مصونا، ولو تجلى بضد واحد لبطلت الحكمة، وتعطلت أسرار الربوبية، فمن لم يعرف الله تعالى في هذين الضدين، لم يعرفه أبدا، ومن لم يفرق بين هذين الضدين، في هذه الأشياء المذكورة، لم تنسج فكرته، فصفاء الغزول هو التمييز بين هذين الضدين، ذوقا، وبينهما تنسج الفكرة، وبالغيبة عن الأول فى شهود الثاني يحصل القرب إلى الله تعالى، كما أبان ذلك فى قوله:." (١)

"ومما يؤيد أنه لا يجوز إتيان النساء في أدبارهن، أن الله تعالى حرم الفرج في الحيض ؛ لأجل القذر العارض له، مبينا أن ذلك القذر هو علة المنع بقوله: قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض [٢ \ ٢٢٢] فمن باب أولى تحريم الدبر للقذر والنجاسة اللازمة، ولا ينتقض ذلك بجواز وطء المستحاضة ؛ لأن دم الاستحاضة ليس في الاستقذار كدم الحيض، ولا كنجاسة الدبر ؛ لأنه دم انفجار العرق فهو كدم الجرح، ومما يؤيد منع الوطء في الدبر إطباق العلماء على أن الرتقاء التي لا يوصل إلى وطئها معيبة ترد بذلك العيب.

قال ابن عبد البر: لم يختلف العلماء في ذلك، إلا شيئا جاء عن عمر بن عبد العزيز من وجه ليس بالقوي أن الرتقاء لا ترد بالرتق. والفقهاء كلهم على خلاف ذلك.

قال القرطبي: وفي إجماعهم هذا دليل على أن الدبر ليس بموضع وطء ولو كان موضعا للوطء ما ردت من لا يوصل إلى وطئها في الفرج، فإن قيل: قد يكون رد الرتقاء لعلة عدم النسل فلا ينافي أنها توطأ في الدبر، فالجواب **أن العقم لا** يرد به، ولو كانت علة رد الرتقاء عدم النسل **لكان العقم موجبا** للرد.

وقد حكى القرطبي الإجماع على **أن العقم لا** يرد به، في تفسير قوله تعالى: فأتوا حرثكم فإذا تحققت من هذه الأدلة أن وطء المرأة في دبرها حرام فاعلم أن من روي عنه جواز ذلك كابن عمر، وأبي سعيد وجماعات من المتقدمين والمتأخرين، يجب حمله على أن مرادهم بالإتيان في الدبر إتيانها في الفرج من جهة الدبر، كما يبينه حديث جابر، والجمع واجب إذا أمكن. قال ابن كثير في تفسير قوله: فأتوا حرثكم أنى شئتم ما نصه: قال أبو محمد عبد الرحمن بن عبد الله الدارمي في «مسنده» : حدثنا عبد الله بن صالح، حدثنا الليث، عن الحارث بن يعقوب، عن سعيد بن يسار أبي الحباب، قال: قلت لابن عمر: ما تقول في الجواري أيحمض لهن؟ قال: وما التحميض؟ فذكر الدبر، فقال: وهل يفعل ذلك أحد من المسلمين؟ وكذا رواه ابن وهب، وقتيبة، عن الليث.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤٧٩/٥

وهذا إسناد صحيح ونص صريح منه بتحريم ذلك، فكل ما ورد عنه مما يحتمل، ويحتمل فهو مردود إلى هذا المحكم منه بلفظه، وقد علمت أن قوله: أنى شئتم،." (١)

"وقوم شعيب ؛ وأن ذنوبهم التي أخذهم بها هي الكفر بالله، وتكذيب الرسل وغير ذلك من المعاصي، كعقر ثمود للناقة، وكلواط قوم لوط، وكتطفيف قوم شعيب للمكيال والميزان، وغير ذلك كما جاء مفصلا في آيات كثيرة كقوله في نوح وقومه: فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون [٢٩ \ ١٤] ، ونحوها من الآيات وكقوله في قوم هود: إذ أرسلنا عليهم **الريح العقيم الآية** [٥١ \ ٤١] ، ونحوها من الآيات. وكقوله في قوم صالح: وأخذ الذين ظلموا الصيحة الآية [١١ \ ٦٧] ، ونحوها من الآيات. وكقوله في قوم لوط: فجعلنا عاليها سافلها الآية [١٥] ، ونحوها من الآيات. وكقوله في قوم شعيب: فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم [٢٦ \ ١٨٩] ، ونحوها من الآيات.

قوله تعالى: قد كان لكم آية في فئتين التقتا الآية، ذكر في هذه الآية الكريمة أن وقعة بدر آية أي: علامة على صحة دين الإسلام إذ لو كان غير حق لما غلبت الفئة القليلة الضعيفة المتمسكة به الفئة الكثيرة القوية التي لم تتمسك به.

وصرح في موضع آخر أن وقعة بدر بينة أي: لا لبس في الحق معها وذلك في قوله: ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة [٨ \ ٤٢] .

وصرح أيضا بأن وقعة بدر فرقان فارق بين الحق والباطل، وهو قوله: وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان الآية [٨ \ ٤١] .

قوله تعالى: والخيل المسومة والأنعام، لم يبين هنا كم يدخل تحت لفظ الأنعام من الأصناف.

ولكنه قد بين في مواضع أخر أنها ثمانية أصناف هي الجمل، والناقة، والثور، والبقرة، والكبش، والنعجة، والتيس، والعنز كقوله تعالى: ومن الأنعام حمولة وفرشا [٦ \ ١٤٢] ، ثم بين الأنعام بقوله: ثمانية أزواج من الضأن اثنين [٦ \ ١٤٣] ، يعني الكبش والنعجة: ومن المعز اثنين، يعني: التيس والعنز إلى قوله: ومن الإبل اثنين [٦ \ ١٤٤] يعني: الجمل والناقة، ومن البقر اثنين، يعني: الثور والبقرة وهذه الثمانية هي المرادة

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ١/٩٤

بقوله: وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج [٣٩ \ ٦] ، وهي المشار إليها بقوله: فاطر السماوات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا." (١)

"ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة: أن الكفار استهزءوا برسل قبل نبينا – صلى الله عليه وسلم – وأنهم حاق بهم العذاب بسبب ذلك، ولم يفصل هنا كيفية استهزائهم، ولا كيفية العذاب الذي أهلكوا به، ولكنه فصل كثيرا من ذلك من مواضع متعددة، في ذكر نوح وقومه، وهود وقومه، وصالح وقومه، ولوط وقومه، وشعيب وقومه، إلى غير ذلك.

فمن استهزائهم بنوح قولهم له: «بعد أن كنت نبيا صرت نجارا» ، وقد قال الله تعالى عن نوح: إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون [١١ \ ٣٨] ، وذكر ما حاق بهم بقوله: فأخذهم الطوفان وهم ظالمون [٢٩ \ ١٤] ، وأمثالها من الآيات.

ومن استهزائهم بهود ما ذكره الله عنهم من قولهم: إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء [١١ \ ٥٤] ، وقوله عنهم أيضا: قالوا ياهود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك الآية [١١ \ ٥٣] ، وذكر ما حاق بهم من العذاب في قوله: أرسلنا عليهم الريح العقيم الآية [٥١ \ ٤١] ، وأمثالها من الآيات.

ومن استهزائهم بصالح قولهم فيما ذكر الله عنهم: ياصالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين [٧ \ ٧٧] ، وقولهم: ياصالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا الآية [١١ \ ٦٢] ، وذكر ما حاق بهم بقوله: وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين [١١ \ ٩٤] ، ونحوها من الآيات.

ومن استهزائهم بلوط قولهم فيما حكى الله عنهم: فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم الآية [٢٧ \ ٥٦] ، وقولهم له أيضا: لئن لم تنته يالوط لتكونن من المخرجين [٢٦ \ ١٦٧] ، وذكر ما حاق بهم بقوله: فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل [١٥ \ ٧٤] ، ونحوها من الآيات.

ومن استهزائهم بشعيب قولهم فيما حكى الله عنهم: قالوا ياشعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز [١١ \ ٩١] ، وذكر ما حاق بهم بقوله: فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم [٢٦ \ ١٨٩] ونحوها من الآيات.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ١٩٨/١

قوله تعالى: وهو يطعم ولا يطعم، يعني: أنه تعالى هو الذي يرزق الخلائق، وهو الغني المطلق فليس بمحتاج إلى رزق، وقد بين تعالى هذا بقوله:." (١)

"رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني حميد [٦٤ \ ٦] ، وقال: كذبت ثمود بالنذر فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه الآية [٥٤ \ ٢٣، ٢٤] ، وقال: ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون [٢٣ \ ٣٤] ، وصرح بأن هذا العجب من إرسال بشر مانع للناس من الإيمان بقوله: وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا [١٧ \ ٩٤] .

ورد الله عليهم ذلك في آيات كثيرة كقوله: وما أرسلنا قبلك إلا رجالا الآية [٢١ \ ٧] ، وقوله: وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام الآية [٢٥ \ ٢٠] ، وقوله: ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا الآية [٦ \ ٩] ، إلى غير ذلك من الآيات.

قوله تعالى: وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا.

لم يبين هنا كيفية إغراقهم، ولكنه بينها في مواضع أخر كقوله: ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر الآية [٥٤ \ ١١] ، وقوله: فأخذهم الطوفان وهم ظالمون [٢٩ \ ١٤] .

قوله تعالى: أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم الآية، لم يبين هنا شيئا من هذا الجدال الواقع بين هود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، وبين عاد. ولكنه أشار إليه في مواضع أخر كقوله: قالوا ياهود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظروني إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم.

قوله تعالى: وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا الآية.

لم يبين هنا كيفية قطعه دابر عاد، ولكنه بينه في مواضع أخر كقوله: وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية الآية [٦٩ \ ٦] ، وقوله: وفي عاد إذ أرسلنا عليهم **الريح العقيم الآية** [٥١ \ ٤١] ، ونحو ذلك من الآيات.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٤٧٣/١

قوله تعالى: فعقروا الناقة الآية.

ظاهر هذه الآية الكريمة أن عقرها باشرته جماعة، ولكنه تعالى بين في سورة القمر: أن المراد أنهم نادوا واحدا منهم، فباشر." (١)

"الله الذي نجاهم من الكفرة الظالمين، ويسألوه أن ينزلهم منزلا مباركا، وذلك في قوله: فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين وقل رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين [٢٣ \ ٢٨، ٢٩] .

وبين في «سورة الزخرف» ما ينبغي أن يقال عند ركوب السفن وغيرها بقوله: والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون [٤٣ \ ١٢ - ١٤] ، ومعنى قوله مقرنين، أي: مطيقين، ومنه قول عمرو بن معدي كرب:

لقد علم القبائل ما عقيل ... لنا في النائبات بمقرنينا

وقول الآخر:

ركبتم صعبتي أشر وجبن ... ولستم للصعاب بمقرنينا

وقول ابن هرمة:

وأقرنت ما حملتني ولقلما يطاق ... احتمال الصد يا دعد والهجر

قوله تعالى: وهي تجري بهم في موج كالجبال الآية.

ذكر الله تعالى في هذه الآية الكريمة: أن السفينة تجري بنوح ومن معه في ماء عظيم، أمواجه كالجبال.

وبين جريانها هذا في ذلك الماء الهائل في مواضع أخر، كقوله: إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية [٦٩ \ ١١، ١٢] ، وقوله: ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر وحملناه على ذات ألواح ودسر تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر ولقد تركناها آية فهل من مدكر [٥٤ \ ١١ - ١٥] .

وبين في موضع آخر: أن أمواج البحر الذي أغرق الله فيه فرعون وقومه كالجبال أيضا بقوله: فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم [٢٦ \ ٣٦] ، والطود: الجبل العظيم.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٣٤/٢

قوله تعالى: ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا الآية.

لم يبين هنا أمره الذي نجى منه هودا والذين آمنوا معه عند مجيئه، ولكنه بين في مواضع أخر: أنه الإهلاك المستأصل بالريح العقيم التي أهلكهم الله بها فقطع دابرهم، كقوله:." (١)

"وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم [٥١ \ ٤١، ٤٢] .

وقوله: وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما الآية [٦٩ \ ٦، ٧] .

وقوله: إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر [٥٤ \ ١٩، ٢٠] .

وقوله: فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي الآية [٤١ \ ١٦] .

قوله تعالى: فلما جاء أمرنا نجينا صالحا الآية.

وبين هذا الأمر الذي جاء بقوله: وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا إن ثمود كفروا ربهم ألا بعدا لثمود [١١ \ ٦٧، ٦٨] ، ونحوها من الآيات.

قوله تعالى: ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما الآية.

لم يبين هنا ما المراد بهذه البشرى التي جاءت بها رسل الملائكة إبراهيم ولكنه أشار بعد هذا إلى أنها البشارة بإسحاق ويعقوب في قوله: وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب [١١ \ ٧١] ؛ لأن البشارة بالذرية الطيبة شاملة للأم والأب، كما يدل لذلك قوله: وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين [٣٧ \ ١١٢] .

وقوله: قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم [٥١ \ ٢٨] ، وقوله: قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم، وقيل: البشرى هي إخبارهم له بأنهم أرسلوا لإهلاك قوم لوط، وعليه فالآيات المبينة لها كقوله هنا في هذه السورة: قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط الآية [١١ \ ٧٠] .

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٢/١٨٤

وقوله: قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين إلا آل لوط الآية [١٥ \ ٥٨، ٥٩] .
وقوله: قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين [٥١ \ ٣٢، ٣٣] ، وقوله: ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا إنا مهلكو أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين [٢٩ \ ٣١] .
والظاهر: القول الأول، وهذه الآية الأخيرة تدل عليه ؛ لأن فيه التصريح بأن إخبارهم بإهلاك قوم لوط بعد مجيئهم بالبشرى ؛ لأنه مرتب عليه بأداة الشرط التي هي «لما» كما." (١)

"أي حملت سحابا ثقالا، فاللواقح من الإبل حوامل الأجنة، واللواقح من الريح حوامل المطر، فالجميع يأتي بخير، ولذا كانت الناقة التي لا تلد يقال لها عقيم، كما أن الريح التي لا خير فيها يقال لها عقيم كما قال تعالى: وفي عاد إذ أرسلنا عليهم **الريح العقيم الآية** [٥١ \ ٤١] وقال بعض العلماء: اللواقح بمعنى الملاقح، أي التي تلقح غيرها من السحاب والشجر، وعلى هذا ففيه وجهان: أحدهما: أن المراد النسبة، فقوله: لواقح، أي ذوات لقاح كما يقال: سائف ورامح، أي ذو سيف ورمح ومن هذا قول الشاعر: وغررتني وزعمت أنك لابن في الحي تامر أي ذو لبن وتمر، وعلى هذا فمعنى لواقح أي ذوات لقاح، لأنها تلقح السحاب والشجر.
الوجه الثاني: أن لواقح بمعنى ملاقح جمع ملقحة، وملقح اسم فاعل ألقحت السحاب والشجر كما يلقح الفحل الأنثى، وغاية ما في هذا القول إطلاق لواقح وإرادة ملاقح، ونظيره قول ضرار بن نهشل يرثي أخاه يزيد أو غيره:
ليبك يزيد ضارع لخصومة
ومختبط مما تطيح الطوائح
فإن الرواية تطيح بضم التاء من أطاح الرباعي، والمناسب لذلك المطيحات لا الطوائح، ولكن الشاعر أطلق الطوائح وأراد المطيحات، كما قيل هنا بإطلاق اللواقح وإرادة الملاقح أي الملقحات باسم الفاعل، ومعنى إلقاح الرياح السحاب والشجر، أن الله يجعلها لهما كما يجعل الذكر للأنثى، فكما أن الأنثى تحمل بسبب ضراب الفحل، فكذلك السحاب يمتلئ ماء بسبب مري الرياح له، والشجر ينفتق عن أكمامه وأوراقه بسبب إلقاح الريح له. قال ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة وأرسلنا الرياح لواقح [١٥ \ ٢٢] أي تلقح السحاب فتدر ماء، وتلقح الشجر فتنفتح عن أوراقها وأكمامها، وقال السيوطي في الدر المنثور: «وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والخرائطي في مكارم الأخلاق عن ابن مسعود – رضي الله

---
(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٢/١٨٥

عنه – في قوله وأرسلنا الرياح لواقح قال: يرسل الله الريح فتحمل الماء فتلقح به السحاب فيدر كما تدر اللقحة ثم يمطر» . وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: يرسل الله الريح، فتحمل الماء من السحاب، فتمري به السحاب، فيدر كما تدر." (١)

"وكقوله تعالى: ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم [٥ \ ٤١] ، والآيات في مثل هذا المعنى كثيرة.

القول الثاني: أن في الآية الكريمة مضافا محذوفا، تقديره: وما منع الناس من الإيمان والاستغفار إلا طلبهم أن تأتيهم سنة الأولين، أو يأتيهم العذاب قبلا.

والآيات الدالة على طلبهم الهلاك والعذاب عنادا وتعنتا كثيرة جدا، كقوله عن قوم شعيب: فأسقط علينا كسفا من السماء إن كنت من الصادقين [٢٦ \ ١٨٧] ، وكقوله عن قوم هود: قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين [٤٦ \ ٢٢] ، وكقوله عن قوم صالح: وقالوا ياصالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين [٧ \ ٧٧] ، وكقوله عن قوم لوط: فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين [٢٩ \ ٢٩] ، وكقوله عن قوم نوح: قالوا يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين [١١ \ ٣٢] .

فهذه الآيات وأمثالها في القرآن ذكر الله فيها شيئا من سنة الأولين: أنهم يطلبون تعجيل العذاب عنادا وتعنتا، وبين تعالى أنه أهلك جميعهم بعذاب مستأصل، كإهلاك قوم نوح بالطوفان، وقوم صالح بالصيحة، وقوم شعيب بعذاب يوم الظلة، وقوم هود بالريح العقيم، وقوم لوط بجعل عالي قراهم سافلها، وإرسال حجارة السجيل عليهم، كما هو مفصل في الآيات القرآنية.

وبين في آيات كثيرة: أن كفار هذه الأمة كمشركي قريش سألوا العذاب كما سأله من قبلهم، كقوله: وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم [٨ \ ٣٢] ، وقوله: وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب [٣٨ \ ١٦] ، وأصل القط: كتاب الملك الذي فيه الجائزة، وصار يطلق على النصيب: فمعنى عجل لنا قطنا أي: نصيبنا المقدر لنا من العذاب الذي تزعم وقوعه بنا إن لم نصدقك ونؤمن بك، كالنصيب الذي يقدره الملك في القط الذي هو كتاب الجائزة، ومنه قول الأعشى:

ولا الملك النعمان يوم لقيته ... بغبطته يعطي القطوط ويأفق

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٢٦٧/٢

وقوله «يأفق» أي: يفضل بعضا على بعض في العطاء، والآيات بمثل ذلك كثيرة، والقول الأول أظهر عندي ؛ لأن ما لا تقدير فيه أولى مما فيه تقدير إلا بحجة." (١)

"على ميراث النبوة، ولهذا قال ويرث من آل يعقوب ؛ كقوله: وورث سليمان داود [٢٧ \ ١٦] ، أي: في النبوة، إذ لو كان في المال لما خصه من بين إخوته بذلك، ولما كان في الإخبار بذلك كبير فائدة، إذ من المعلوم المستقر في جميع الشرائع والملل: أن الولد يرث أباه، فلولا أنها وراثة خاصة لما أخبر بها، وكل هذا يقرره ويثبته ما صح في الحديث: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركنا فهو صدقة» اه محل الغرض من كلام ابن كثير، ثم ساق بعد هذا طرق الحديث الذي أشرنا له «يرحم الله زكريا وما كان عليه من ورثة ماله» الحديث، ثم قال في أسانيده: وهذه مرسلات لا تعارض الصحاح.

واعلم أن لفظ «نحن معاشر الأنبياء» ولفظ «إنا معاشر الأنبياء» مؤداهما واحد، إلا أن «إن» دخلت على «نحن» فأبدلت لفظة «نحن» التي هي المبتدأ بلفظة «نا» الصالحة للنصب، والجملة هي هي إلا أنها في أحد اللفظين أكدت بـ «إن» كما لا يخفى، وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: فهب لي من لدنك وليا، يعني بهذا الولي الولد خاصة دون غيره من الأولياء، بدليل قوله تعالى في القصة نفسها هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة الآية [٣ \ ٣٨] ، وأشار إلى أنه الولد أيضا بقوله: وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين [٢١ \ ٨٩] ، فقوله «لا تذرني فردا» ، أي: واحدا بلا ولد.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة، عن زكريا: وإني خفت الموالي من ورائي، أي: من بعدي إذا مت أن يغيروا في الدين، وقد قدمنا أن الموالي الأقارب والعصبات، ومن ذلك قوله تعالى: ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون الآية [٤ \ ٣٣] ، والمولى في لغة العرب: يطلق على كل من انعقد بينك وبينه سبب يواليك وتواليه به، وكثيرا ما يطلق في اللغة على ابن العم ؛ لأن ابن العم يوالي ابن عمه بالقرابة العصبية، ومنه قول طرفة بن العبد:

واعلم علما ليس بالظن أنه ... إذا ذل مولى المرء فهو ذليل

يعني إذا ذلت بنو عمه فهو ذليل، وقول الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب:

مهلا ابن عمنا مهلا موالينا ... لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٣٠٤/٣

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: وكانت امرأتي عاقرا، ظاهر في أنها كانت عاقرا في زمن شبابها، والعاقر: **هي العقيم التي** لا تلد وهو يطلق على الذكر والأنثى ؛." (١)

"فمن إطلاقه على الأنثى هذه الآية، وقوله تعالى عن زكريا أيضا: وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر [٣ \ ٤٠] ، ومن إطلاقه على الذكر قول عامر بن الطفيل:

لبئس الفتى إن كنت أعور عاقرا ... جبانا فما عذري لدى كل محضر

وقد أشار تعالى إلى أنه أزال عنها العقم، وأصلحها، فجعلها ولودا بعد أن كانت عاقرا في قوله عز وجل: فاستجبنا له ووهبنا له يحيي وأصلحنا له زوجه [٢١ \ ٩٠] ، فهذا الإصلاح هو كونها صارت تلد بعد أن كانت عقيما، وقول من قال: إن إصلاحها المذكور هو جعلها حسنة الخلق بعد أن كانت سيئة الخلق لا ينافي ما ذكر لجواز أن يجمع له بين الأمرين فيها، مع أن كون الإصلاح هو جعلها ولودا **بعد العقم هو** ظاهر السياق، وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير، ومجاهد وغيرهم، والقول الثاني يروى عن عطاء.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة عن زكريا واجعله رب رضيا [١٩ \ ٦] ، أي: مرضيا عندك وعند خلقك في أخلاقه و أقواله وأفعاله ودينه، وهو فعيل بمعنى مفعول.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: فهب لي من لدنك، أي: من عندك، وقوله جل وعلا في هذه الآية الكريمة يرثني ويرث من آل يعقوب [١٩ \ ٦] ، قرأه أبو عمرو والكسائي بإسكان الثاء المثلثة من الفعلين، أعني يرثني ويرث من آل يعقوب وهما على هذه القراءة مجزومان لأجل جواب الطلب الذي هو «هب لي» والمقرر عند علماء العربية، أن المضارع المجزوم في جواب الطلب مجزوم بشرط مقدر يدل عليه فعل الطلب، وتقديره في هذه الآية التي نحن بصددها، إن تهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب، وقرأ الباقون يرثني ويرث من آل يعقوب، يرفع الفعلين على أن الجملة نعت لقوله «وليا» أي: وليا وارثا لي، ووارثا من آل يعقوب، كما قال في الخلاصة:

ونعتوا بجملة منكرا فأعطيت ما أعطيته خبرا وقراءة الجمهور برفع الفعلين أوضح معنى، وقرأ ابن كثير بفتح الياء من قوله: من ورائي وكانت امرأتي، والباقون بإسكانها، وقرأ «زكريا» بلا همزة بعد الألف حمزة والكسائي وحفص عن عاصم، والباقون قرءوا «زكرياء» بهمزة بعد الألف، وبه تعلم أن المد في قوله: «وزكرياء إذ نادى» ، منفصل على قراءة حمزة والكسائي وحفص، ومتصل." (٢)

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٣٦٥/٣

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٣٦٦/٣

"قالوا ياشعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد [١١ \ ٨٤ – ٨٧] وقوله: قالوا ياشعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك الآية [١١ \ ٩١] ، إلى غير ذلك من الآيات.

السابعة: من كذبوا موسى وهم فرعون وقومه، وقد بين تعالى في غير هذا الموضع أن فرعون وقومه كذبوا موسى في آيات كثيرة ؛ كقوله: لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين [٢٦ \ ٢٩] وقوله: ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين [٢٦ \ ١٨ – ١٩] وقوله: وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين [٧ \ ١٣٢] إلى غير ذلك من الآيات، وقوله تعالى في هذه الآية: فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير [٢٢ \ ٤٤] قد بين تعالى نوع العذاب الذي عذب به كل أمة من تلك الأمم، بعد الإملاء لها والإمهال، فبين أنه أهلك قوم نوح بالغرق في مواضع كثيرة ؛ كقوله تعالى: فأخذهم الطوفان وهم ظالمون [٢٩ \ ١٤] وقوله: ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر [٥٤ \ ١١ – ١٢] وقوله: ثم أغرقنا بعد الباقين [٢٦ \ ١٢٠] إلى غير ذلك من الآيات، وبين في مواضع كثيرة أنه بعد الإملاء والإمهال لعاد أهلكهم بالريح العقيم ؛ كقوله تعالى: وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية الآيات [٦٩ \ ٦] وقوله تعالى: وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم [٥٤ \ ٤١ – ٤٢] وقوله: بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم [٤٦ \ ٢٤ – ٢٥] إلى غير ذلك من الآيات وبين أنه أهلك ثمود بصيحة أهلكتهم جميعا ؛ كقوله فيهم: وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين [١١ \ ٦٧] وقوله: وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون الآية [٤١ \ ١٧] إلى غير ذلك من الآيات. وقوم إبراهيم الذين كذبوه هم نمروذ، وقومه، وقد ذكر المفسرون أن العذاب الدنيوي الذي أهلكهم الله به هو المذكور في قوله تعالى في سورة النحل: قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون [١٦ \ ٢٦] وقد بين تعالى أنه أهلك قوم لوط بجعل عالي أرضهم سافلها، وأنه." (١)

"قوله تعالى: ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم، ذكر الله – جل وعلا – في هذه الآية الكريمة، أن الكفار لا يزالون في مرية، أي: شك وريب منه أي: من

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٥/٢٦٨

هذا القرآن العظيم كما هو الظاهر، واختاره ابن جرير وهو قول ابن جريج، كما نقله عنهم ابن كثير: وقال سعيد بن جبير، وابن زيد: في مرية منه أي: في شك مما ألقى الشيطان، وذكر تعالى في هذه الآية: أنهم لا يزالون كذلك، حتى تأتيهم الساعة، أي: القيامة بغتة، أي: فجأة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم. وقد روى مجاهد عن أبي بن كعب: أن **اليوم العقيم المذكور** يوم بدر، وكذا قال مجاهد وعكرمة، وسعيد بن جبير وغير واحد. واختاره ابن جرير كما نقله عنهم ابن كثير في تفسيره ثم قال: وقال مجاهد وعكرمة في رواية عنهما: هو يوم القيامة لا ليل له، وكذا قال الضحاك والحسن البصري، ثم قال: وهذا القول هو الصحيح، وإن كان يوم بدر من جملة ما أوعدوا به. اهـ، محل الغرض من ابن كثير.

وقد ذكرنا مرارا أنا بينا في ترجمة هذا الكتاب المبارك: أن من أنواع البيان التي تضمنها أن يقول بعض العلماء في الآية قولا، ويكون في الآية قرينة تدل على عدم صحة ذلك القول، وذكرنا لذلك أمثلة كثيرة، وبه تعلم أن القرينة القرآنية هنا دلت على أن المراد باليوم العقيم: يوم القيامة، لا يوم بدر، وذلك أنه تعالى أتبع ذكر اليوم العقيم، بقوله الملك يومئذ لله يحكم بينهم الآية [٢٢ \ ٥٦] ، وذلك يوم القيامة وقوله: يومئذ أي: يوم إذ تأتيهم الساعة، أو يأتيهم عذاب عقيم، وكل ذلك يوم القيامة. فظهر أن اليوم العقيم: يوم القيامة، وإن كان يوم بدر عقيما على الكفار ؛ لأنهم لا خير لهم فيه، وقد أصابهم ما أصابهم.

قوله تعالى: الملك يومئذ لله يحكم بينهم، ذكر - جل وعلا - في هذه الآية الكريمة: أن الملك يوم القيامة له، وإن كان الملك في الدنيا له أيضا ؛ لأن في الدنيا ملوكا من المخلوقين، ويوم القيامة لا يكون فيه اسم الملك إلا لله - جل وعلا - وحده، وما ذكره في هذه الآية الكريمة من أن الملك يوم القيامة له، ومعلوم أن الملك هو الذي له الحكم بين الخلق بينه في غير هذا الموضع ؛ كقوله مالك يوم الدين [١ \ ٤] وقوله الملك يومئذ الحق للرحمن الآية [٢٥ \ ٢٦] وقوله." (١)

"وهي: الريح، يعني: عادا، بدليل قوله: وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية [٦٩ \ ٦] ، وقوله: وفي عاد إذ أرسلنا عليهم **الريح العقيم** [٥١ \ ٤١] ، ونحو ذلك من الآيات. وقوله تعالى: ومنهم من أخذته الصيحة، يعني: ثمود، بدليل قوله تعالى فيهم: وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا إن ثمود كفروا ربهم ألا بعدا لثمود [١١ \ ٦٧ - ٦٨] . وقوله: ومنهم من خسفنا به الأرض، يعني: قارون، بدليل قوله تعالى فيه: فخسفنا به وبداره الأرض الآية [٢٨ \ ٨١] . وقوله تعالى:

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٥/٢٩١

ومنهم من أغرقنا، يعني: فرعون وهامان، بدليل قوله تعالى: ثم أغرقنا الآخرين [٣٧ \ ٨٢] ، ونحو ذلك من الآيات.

والأظهر في قوله في هذه الآية: وكانوا مستبصرين، أن استبصارهم المذكور هنا بالنسبة إلى الحياة الدنيا خاصة ؛ كما دل عليه قوله تعالى: يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون [٣٠ \ ٧] ، وقوله تعالى: وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير [٦٧ \ ١٠] ، ونحو ذلك من الآيات. وقوله: وما كانوا سابقين، كقوله تعالى: أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون [٢٩ \ ٤] .

قوله تعالى: مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون.

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة «الأعراف» ، في الكلام على قوله تعالى: فمثله كمثل الكلب الآية [٧ \ ١٧٦] ، وفي مواضع أخر.

قوله تعالى: اتل ما أوحي إليك من الكتاب.

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة «الكهف» ، في الكلام على قوله تعالى: واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته الآية [١٨ \ ٢٧] .

قوله تعالى: وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر.." (١)

"فقوله: ريح صر، أي باردة شديدة البرد.

والأظهر أن كلا القولين صحيح، وأن الريح المذكورة جامعة بين الأمرين، فهي عاصفة شديدة الهبوب، باردة شديدة البرد.

وما ذكره - جل وعلا - من إهلاكه عادا بهذه الريح الصرصر، في تلك الأيام النحسات - أي المشئومات النكدات؛ لأن النحس ضد السعد، وهو الشؤم - جاء موضحا في آيات من كتاب الله.

وقد بين - تعالى - في بعضها عدد الأيام والليالي التي أرسل عليهم الريح فيها، كقوله - تعالى -: وأما

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ١٦٠/٦

عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية [٦٩ \ ٦ - ٨] ، وقوله - تعالى -: وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم [٥١ \ ٤١ - ٤٢] ، وقوله - تعالى -: إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر [٥٤ \ ١٩ - ٢٠] ، وقوله - تعالى -: بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها الآية [٤٦ \ ٢٤ - ٢٥] .

وهذه الريح الصرصر هي المراد بصاعقة عاد في قوله - تعالى -: فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد الآية [٤١ \ ١٣] .

وقرأ هذا الحرف نافع، وابن كثير، وأبو عمر (نحسات) بسكون الحاء؛ وعليه فالنحس وصف أو مصدر، نزل منزلة الوصف.

وقرأه ابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي (نحسات) بكسر الحاء، ووجهه ظاهر.

قد قدمنا أن معنى النحسات المشئومات النكدات.

وقال صاحب الدر المنثور: وأخرج الطستي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن نافع بن الأزرق قال له: أخبرني عن قوله - عز وجل -: في يوم نحس [٥٤ \ ١٩] . قال:." (١)

"فقال: ألا أرى رزقي في السماء وأنا أطلبه في الأرض، فدخل خربة يمكث ثلاثا لا يصيب شيئا، فلما أن كان في اليوم الثالث إذا هو بدوخلة من رطب، وكان له أخ أحسن منه نية، فدخل معه فصارتا دوخلتين، فلم يزل ذلك دأبهما حتى فرق بينهما الموت.

ومن ذلك أيضا: ما ذكره الزمخشري في تفسير هذه الآية، قال: وعن الأصمعي، قال: أقبلت من جامع البصرة فطلع أعرابي على قعود له، فقال: ممن الرجل؟ قلت: من بني أصمع، قال: من أين أقبلت؟ قلت: من موضع يتلى فيه كلام الرحمن، فقال: اتل علي، فتلوت: والذاريات، فلما بلغت قوله تعالى: وفي السماء رزقكم قال: حسبك، فقام إلى ناقته فنحرها ووزعها على من أقبل وأدبر، وعمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما وولى، فلما حججت مع الرشيد طفقت أطوف فإذا أنا بمن يهتف بي بصوت رقيق فالتفت، فإذا أنا بالأعرابي قد نحل واصفر فسلم علي واستقرأ السورة، فلما بلغت الآية صاح، وقال: قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا، ثم قال: وهل غير هذا؟ فقرأت فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون [٥١ \ ٢٣] ، فصاح

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ١٧/٧

وقال: يا سبحان الله من ذا الذي أغضب الجليل حتى حلف، لم يصدقوه بقوله حتى ألجئوه إلى اليمين، قائلا ثلاثا، وخرجت معها نفسه. انتهى.

قوله تعالى: هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما.
إلى آخر القصة، قد قدمنا إيضاحه في سورة الحجر في الكلام على قوله تعالى: ونبئهم عن ضيف إبراهيم [١٥ \ ٥١] ، وفي سورة هود في القصة المذكورة، فأغنى ذلك عن إعادته هنا.

قوله تعالى: وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم.
قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الحجر في الكلام على قوله تعالى: وإنها لبسبيل مقيم [١٥ \ ٧٦] ، وفي غير ذلك من المواضع.

قوله تعالى: وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم.
قد قدمنا الآيات الموضحة لذلك في سورة فصلت في الكلام على قوله تعالى: ف أرسلنا عليهم ريحا صرصرا الآية [٤١ \ ١٦] .." (١)

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٤٤١/٧